

حياة بعد حب

محمد ذكي سليمان - حياة بعد حب ، رواية

ISBN : 978-977-798-089-0

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٣٣٠٣

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .  
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار  
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت  
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .



© دار الحلم للنشر والتوزيع  
عضو اتحاد الناشرين المصريين  
القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar\_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

# حياة بعد حب

روايت

د. محمد زكي





جميع الأحداث والشخصيات الواردة في هذه الرواية هي من وحي خيال المؤلف، وأي تشابه بينها وبين الواقع فهو غير مقصود.



## الفصل الأول

من أنا ؟ ....

من أنا.. من أنا ؟ ..من أنا ..من أنا ....

وأين أنا ؟من أنا؟.

وبينما هو في خضم فكره وجد أناس يقفون بجانب السرير يرتدون معاطف بيضاء وسمع احدهم يقول الحمد لله خدوش بسيطة وكدمات ولكن الوقوع علي رأسه قد تسبب بعض المشاكل وفقدان مؤقت للذاكرة . لا بد من عمل أشعة علي المخ بشكل مستمر .

بدأ يحاول التذكر .. من أنا ؟ ولم يجد إجابة

أين أنا ؟ ولم يجد إجابة.

كيف وصلت لهذا المكان الغريب؟.

من هؤلاء؟ وخدوش ما سببها ؟ ثم قال في عجل فقدان ذاكرة؟ ماذا يعني هذا ؟ وبدأ يجد أناس يأتون إلي سريريه ويذهبون وبعضهم يتحدث إليه والممرضة تقول لهم ألا يتعجبوا فرما يعاني فقدان مؤقت في ذاكرته ويسمع من يقول له أنا بنيامين وأخري تقول أنا زينب جارتك أما الثالث يقول أنا صديقك محمد .. ظل الفتى في حيرة من أمره كطفل صغير يرى

الدنيا لأول وهلة ونظرات من حوله فلا يملك إلا البكاء أو كرجل قام من موته في عالم جديد لا يعلم فيه شيء البتة غير أنه أفاق في عالم مختلف ربما لا يعلم ولا يذكر فيه شيء مما مضى ولا شيء مما هو آت، فقام ونظر في مرآة صغيرة معلقة علي جدار كبير قد بلاه الزمن كما بلى المرآة يتمعن في وجه لعله يعرفه أو يذكره بشيء ولكن دون جدوى

وأخذ يحدث نفسه متعجبا إذ كيف للإنسان ألا يعرف نفسه وبدا في المرآة كطفل صغير تائه بنظراته الساذجة وقال من المؤكد أن لي حياة لا أذكرها .. لي فيها أسم وكذلك كينونة كيف لي أن أنساهم وأين أهلي ؟ كل من أراه أجزم أنه ليس له في قلبي وروحي ذكري... إنني أشعر تجاههم ببرودة وغربة .. أين الأهل الذين يشعروني بالدفء والألفة أب أو أم أو أخ أو حتى عم وخال وأولادهم وهل لي زوجة وأبناء ؟ .

كان البعض ينادي يا يوسف فهل يقصدني أنا ؟  
للأسف لا أدري.

أشعر أن هذا الاسم لا يناسبني كثيرا ولكن لا عجب فهو اسم اختاره لي غيري وليس شيء مطبوع في روحي ونفسي لذا من السهل نسيانه اذ ليس من الممكن نسيان ما هو مطبوع في الروح ولكن من أنا فأين كينونتي لابد أن اشعر بها أولا حتى قبل أن أعرفها .. وشعر برغبة شديدة وملحة لمعرفة من يكون بل ما هو أبعد من ذلك يريد أن يعرف حقيقته .. فالحادث وفقدان الذاكرة قد تسببا في فتح باب لا يغلق أبدا حتي يدخل فيه .

واستمر في هذه الحالة إلي أن دخلت عليه فتاة جميلة اقتربت منه هويانا وهو ينظر إليها ويقول من هذه ؟ يا رب تكون

زوجتي أو حتى حبيبتي وأمسكت بيده ففرح بها ونظرت إليه في عينيه وهي تبتسم ثم شعر بوخز في ذراعه وسمعها تقول بالشفاء وكان هذا هو آخر ما سمع ودخل في ثبات عميق . وظل هكذا عدة أيام حتى تذكر

السيدة العجوز تقترب منه ونظرتها تشعره بالحنان والدفء الذي افتقدتهما منذ زمن بعيد وتنظر إليه نظرة الأم لأبنها وأخذت تقترب منه وهو ينظر إليها حتى وصلت إلي كرسي بجواره فقالت له السلام عليكم وجلست ثم قالت له:  
- كيف حالك يا بني؟.

قال يوسف متعجبا:

- بخير ونظر إليها نظرة المتعجب.

قالت له الأم:

- الدكاترة يقولوا أنك فقدت الذاكرة.

قال لها متسائلا:

- ما معني فقدان الذاكرة يا أمي؟.

فقالت له في هدوء:

- أنت فاكر أسمك ولا لا؟.

قال لها في حيرة:

- ولا فاكر أي شيء.

قالت له بهدوء وثقة:

- هذا هو فقدان الذاكرة يا بني.

قال في نفسه وهو يبتسم والله ذكية قالتها ببساطة فقال لها:

- ماذا علي أن افعل يا حاجة:

قالت له:

- خليها علي الله

- صحيح كله علي الله ولكن من أنت يا حاجة؟.

فقال له في تعجب:

- أنا من أنقذتها من السيارة التي انفجرت حين كنت أريد عبور الشارع ولولا ذلك لكنت قتلت حينما انفجرت السيارة ولقد أتيت لشكرك وللطمئنان عليك.

فقال لها مندهشا:

- أنا لا اذكر أي شيء ولكن عموما لا شكر علي واجب ونظر أمامه فوجد الفتاة التي أعطته الحقنة أمامه وتقترب منه فلم يعرف أيفرح أنها جاءت ليراها أم يحزن لأنها ستعطيه حقنة مرة أخرى فنظر إلي يدها فلم يجد حقنه في يدها ففرح جدا كالأطفال وأخذت الفتاة تقترب حتى وصلت إلي سريره وكانت كلما تقترب منه خطوة يهفو قلبه أكثر وأكثر ثمي لو يحتضنها لعلها تخفف بعض مأساته وقالت له السلام عليكم و حمدا لله علي السلامة.

فرح لأنها تحدثت إليه وقال في نفسه إن صوتها جميل وعذب ليتهما تتحدث ثانية.

بالفعل سمع السيدة تقول يا بنتي كيف حالك؟.

- الحمد لله كيف حالك يا أمي.

فسأل نفسه يا تري هل هي أبنتها حقا؟ وبينما هو يحدث نفسه إذ بالسيدة العجوز تقول بنتي ليلى تعمل في المستشفى هنا , أعرف أن الأمر لا يفرق معك فأنت فاقد الذاكرة.

ظل صامتا ولم يتحدث فهو لا يدري ماذا يقول.

فسألت الأم متعجبة لماذا لا يتكلم يا بنتي؟.

فردت عليها أبنيتها وهي تنظر إليه ربما من أثر الحادثة يا أمي.  
قالت الأم:

- كان يتكلم كالبيغاء.

قالت ليلى في خجل:

- ربما صمت لأنني موجودة

شعر أنه أخرجها ولم يكن يريد لها أن تتركهم رغم توتره فأسرع  
قائلاً أنا أسف الحادث أثر علي وأنا ناسي كل شيء. الشيء الوحيد  
الذي اعرفه أن والدتك ست دمها خفيف

كان يريد أن يقول وانك أجمل وأرق فتاة رأيتها في حياتي ولكنه  
أمسك لسانه وأخذ ينظر إليها في تمعن فهي أشبه ما تكون  
بالعذراء في أجمل ما تفنن الفنانون في أظهار جمالها ورقتها  
وحنانها فلم يستطع أن يخفي هذا فقال لها في برأه وأنت أجمل  
وأرق فتاة رأيتها في حياتي.

ابتسمت الفتاة في خجل وقالت جيد انك تعرف شيء وهمت  
بالانصراف والحمرة تملئ وجهها.

وقالت الأم وهي تستند علي ابنتها لا تغضبي منه يا بنتي فهو لا  
يدري ما يقول ولكنه شاب شهم ,علي العموم شكرا لك يا بني  
علي ما فعلت معي وتقوم بالسلامة

وقالت ليلى وهي تخرج وتنظر إليه في حياء وأنا أشكرك علي ما  
فعلت مع أمي وأمسكت بأمهما وخرجت وقلبتها يخفق.

كان يتمني أن يطول اللقاء بينهما وحزن لفراقها وشعر  
وهي تلتفت لتخرج من الغرفة أن الشمس قد غربت وان الليل  
قد أقبل عليه بهومومه ليتفرد به وكان الوقت يمر بصعوبة والألم  
الجسدية تشتد عليه وزاد الأمر سوء الأم النفسية.

وبينما هو علي ذلك إذ أشرقت الشمس مرة أخرى وسعد بها ولكنها كانت تحمل حقنه في يدها فكانت كشمس الصيف حارقة ولكنه تحملها وسعد بها وشمر ذراعه فهو علي الأقل سيكون أقل إحراجا من غيره وان كان أكثر ألما وابتسم لها وبادلته الابتسامة وتحمل الألم وأستمر يفكر فيها حتى راح في ثبات عميق.

استمر اليوم في بطيء شديد ولكن العجوز بنيامين صديق والده جاء لزيارته وكان يتحدث معه عن الذكريات المشتركة وعن أبيه وأمه وتحدث إليه الرجل العجوز عن أشياء كثيرة حفظها واستوعبها حتى أنه تعب ونام فلما استيقظ أكمل حتى شعر بأنه لن يتذكر شيء وكان قد أنهك فانسحب بهدوء إلي بيته.

انتظر بفارغ الصبر قدوم ليلى ولكن مع الأسف كان هذا يوم عطلة لها وجاءت في المساء ممرضة أخرى و أعطته الحقنة ونام وهو يفكر بها ولم تتركه في أحلامه بل كانت هي البطلة المتفردة دائما.

في الصباح زارته جارته زينب وقد أخذت هي الأخرى تقص عليه تاريخها معه ومع عائلته وكان سعيدا أيضا بتلك الحكايات والتي تحكيها كأنها شهرزاد ، كأنه في ألف ليلة وليلة وتذكر الشاب ليلى وتمني قدومها اليوم ، ولم تخب هي رجاءه فقد جاءته وفي عينها شوق له وقد لاحظته بشدة ولاحظت هي الأخرى الشوق الذي في عينه وانتظرت حتى نام وجلست بجانبه تنظر إليه في تمنع فلم تكن تقدر أن تنظر إليه بهذا التمعن وهو مستيقظ فعينه لامعتين نافذتين لا تستطيع النظر إليهما طويلا مع ما لديها من خجل. ها هي الآن تنظر إليه لتري شاب

وسيما ينام في برأه الأطفال فظلت تنظر إليه طويلا وتحقق به ولم تلحظ هي الأخرى انه متظاهر بالنوم وينظر إليها بعين شبه مغلقة.

كان هو فتى أحلامها فهو شاب قوي البنيان جميل الطلعة له بهاء وجمال بأنف طويل يوحى بعزة وكرامة وعيون لامعة عسلية اللون تعطي للناظر إليها معني القوة لمن يريد أن يراها بهذه الصورة أو طيبة قلب لمن أراد أن يراها هكذا إلا أنها تخبر الناظر إليها بصدق صاحبها.

لم يكن يعرف أن هذا الحب الوليد سيكون سببا لسعادته وتعاسته فهو إن كان لم يعرف الحب الحقيقي من قبل بل كان يتعجب من كثرة الأغاني والروايات و الأشعار فهو لم يشعر به حتى في مراهقته وقد ظلت تراوده الأفكار عنه وهو الذي لا يريح نفسه بل يشغلها دائما بإمعان الفكر حتى سأل أمه ذات مرة عن الحب فقالت له كفاك الله شره لم يفهم جوابها ولكنه كان علي أي حال لا يؤمن بان يتزوج فتاة هو يحبها وهي لا تحبه ولا عكس ذلك لذا فقد أسعده أنها تبادله هذا الشعور فهو إن كان لا يذكر ذلك الآن و لكنه سيتذكره سريعا فالمهم له الآن انه انتابته سعادة الحب فرأي نفسه من الداخل نقية وتحركت روحه سعيدة حتى ملئت المكان بهجة وسمع تغريد العصفير وهمس الزهور ورائحة العطور وشعر بنسمة هواء منعشة.

في الصباح جاء محمد في الصباح في يوم إغلاق الشركة وهو كان يزوره في الأيام السابقة ولكن يرحل سريعا أم اليوم فسيقضيه معه وأخذ هو الآخر يقص وهو يسمع في سعادة بالغة وكان الثلاث يتبادلون الزيارات يوما بعد يوما وأحيانا كانوا

يجتمعون معا في اليوم الواحد ويحاولون سويا تذكيره بأي شيء ولكن دون جدوى وكانت قصة الحب هي الأخرى تزداد يوما بعد يوم وتعلق كلا منهما بالأخر وسعد بهذه الحادثة فقد أعطته بغير حساب.

بدأت الذاكرة تعود إليه يوما بعد يوم وتقبل الأمر الواقع وأن لم يكن راضيا فليس أمامه حل آخر ويكفيه رغم كل هذا الحب الذي جمعه بليلى ولكنه لم يكن يعرف حتى الآن حجم المعاناة لكلا الطرفين فقد اندهشت ليلى من ذلك الأمر فقد كانت زينب ومحمد يزورانها وكانت تحسبهما والدته وأخيه فقد صلت زينب مرة في غرفتها وكان محمد أيضا يصلي في مسجد المستشفى خاصة الجمعة ولم يخطر بالها هذا الأمر فقد عرفت أنه يهودي ولأنها مسلمة فقد حكم علي حبهما بالفناء فالأمر أصعب بكثير من أن يتجاوزها الحب الذي يصنع المعجزات ولكنها في حاجة إلي أكثر من معجزة ولكنها ستعلم في يوم ما أن الأمر كان أبسط مما تظن بكثير.

خرجت ليلى من الغرفة سريعا والدمع يملئ عينيها وهمت أن تذهب مباشرة له لتتحدث معه وعندما كانت علي باب العنبر وجدت الرجل العجوز يجلس أمامه وقد أصبحت شبة متأكدة من ديانته فعادت أدراجها سريعا

لمحها وشعر أن هنالك شيء ما واخذ يفكر فيما قد يكون حدث ، ولم يدور في باله أن تكون قد أكشفت انه يهودي لأنه هو نفسه لم يعد يذكر شيء.

في المساء انتظر يوسف ليلى بفارغ الصبر فقد كان في شغف لرؤيتها فقد ملئ حبهما كل قلبه وكيانه كما كان يريد أن

يعرف لماذا جاءته صباحا ووجهها متغير؟ ولماذا انسحبت سريعا؟  
 طال انتظاره لها حتى فقد الأمل وفي النهاية جاءت  
 صديقتها معها ومعها الدواء كان ينظر إليها وعيناه مملوءة بالأسئلة  
 وهي تنظر إليه وعينها مليئة بالأجوبة ولكن من يبدأ منهما  
 وكلما هم أن يقول شيء يتراجع سريعا حتى أن مها أعطته الدواء  
 ولكنها ظلت واقفة متظاهرة أنها تقيس النبض تارة والضغط  
 تارة أخرى مما شجعه فسألها أين زميلتكم؟.  
 ردت عليه قائلة تقصد عفاف؟.

شعر بأنها تعرف كل شيء ولذلك قال لا بل اقصد ليلى.  
 قالت المريضة:

- ماذا تريد منها؟.

قال بصوت متقطع:

- ولا أي شيء.

قالت مها في هدوء

- ابعدها أفضل لكما أنت لا تصلح لها ثم انسحبت سريعا.

ظل يفكر فيما قالته مها وقال لنفسه كيف نسيت  
 هذا؟ وتغيرت حالته النفسية تماما فبعد الصفاء والحب الذي  
 كان يملئ قلبه أصبح الندم والخوف والحسرة أيضا  
 لم يعد يعرف ماذا عليه أن يعمل وكعادته حمل نفسه  
 مسئولية كل ما حدث وأخذ يؤنب نفسه رغم أنه أحبها و هو  
 فاقد الذاكرة.

غضب من نفسه كثيرا لأنه جرح الفتاة الوحيدة التي  
 أحبها في حياته وهو ربما لم يجرح أحد من قبل . كانت هذه  
 النقطة هي ما أفقدته القدرة علي النوم حتى مع تأثير المنوم

وطال عليه الليل حتى قام يمشي حول العنبر لعله يجدها ولكن دون جدوى فطفق يدعوا الله أن يهديه ويهدي ليلي إلي سواء الصراط.

كان يعلم أن هذه آخر أيام له في المستشفى ولكنه كان علي يقين أنه أيضا آخر أيام له في الجنة وسيخرج منها مطرودا من غير ذنب إلا الحب وكفي به ذنبا لو يعرف في هذا العالم. ولكن كان كل أمله أن يتحدث معها أو علي الأقل يراها ولو للمرة الأخيرة.

قال في نفسه هل أحبته هي كما أحبها ؟ وان كانت أحبته فما موقفها الآن ومني أن يكون الحب من جانب واحد حتى لا يتسبب لها في أي ألم وان كان يؤمن بغير ذلك وبينما هو في خضم هذا الفكر إذ بفتاة بوجه خمري جميل غطي بكثير من الزينة بعيون واسعة كحيلة وانف لا يكاد يظهر من صغره وشفيتين منفوختين كبيرتين شديدي الحمرة واللمعان وجسد ممشوق وخصر نحيل وساقين ملفوفين وقد أظهرت جزء كبيرا من نهديها الكبيرين المشدودين وهي تمشي متبخترة سعيدة بهما وتنظر لمن حولها من النساء وكأنها تقول لهن من منكن مثلي وسعيدة بنظرات الرجال خاصة من يسير مع زوجته ويختلس إليها النظر اختلاسا مقدمة عليه يملئها الشوق والحنين وفي عينيها دمعة وعلي وجهها بسمة وقالت له بصوت ملئه الرقة والديء يوسف حبيبي ماذا حدث لك؟. ظل هو صامتا ينظر إليها فقط فقالت له بصوت متقطع رقيق نعم أنا راشيل يا يوسف أنك لا تحلم.

صمت برهة ثم قالت في صوت أنثوي رقيق وحشتني جدا يا

يوسف واقتربت منه واحتضنته وشعر بدفيء مشاعرها واشتمت عطرها الأنثوي الخلاب فوضح علي وجهه الخجل فهذا أول حزن عاطفي حقيقي يحصل عليه في حياته وكانت الكارثة فقد نظر بطرف عينية فوجد ليلي علي باب العنبر .. شعر أن الدنيا تدور به وشعر الطين ازداد بلا ولم تفعل المسكينة ليلي غير أنها تراجعته وفي عينيها حسرة ودموع . استمرت راشيل في احتضانه ثم نظرت في وجهه ولاحظت الخجل في عينية ووجهه الذي أصبح كالدم وقالت له بابتسامة ما زلت كما أنت يا يوسف الخجل مسيطر عليك لم تتغير.

لم تلحظ راشيل إلي هذه اللحظة أن يوسف لم يتحدث إليها أو يبادلها نفس المشاعر لذلك نهضت سريعا غاضبة وقالت مالك يا يوسف لما لا تكلمني ؟ أنسيتني ؟ وبقدر العواطف التي أظهرتها له في البداية بقدر الغضب الذي هي فيه الآن فقال في هدوء إذا كنت أنا أعرفك فاعذريني أنا لم أعد أتذكر شيء الأطباء قالوا لي أنك فاقد الذاكرة.

فقال في صوت رقيق مرة أخرى معقول تنساني أنا ! أنا !  
قال لها في حيرة:

- معذرة أنا ناسي نفسي.

قالت له ودمعة في عيناها:

- حتى لو نسيت نفسك ما كان ينبغي أن تنساني أبدا.

ابتسم وجلست راشيل علي الكرسي وصمتت قليلا وتوجهت مسرعة إلي أحد الأطباء وهي تبكي وسألته عما حدث ليوسف. أكد لها الطبيب أنه فقد الذاكرة نتيجة للحادث ولكن الذاكرة قد تعود له في أي وقت وخاصة إذا حاول المقربون له مساعدته

بتذكيره بما كانت بينهما من ذكريات.  
فعدت إلي يوسف وارتمت علي الكرسي في أنوثة تخطف الأنظار  
وبدأت تقول له حاول تفتكر لما كنا سوا في البصرة وأخذت تقص  
له الذكريات.

استمرت راشيل في سرد القصص وعيناها في عينه تتابع تأثير ما  
تقوله عليه وتنتظر أن يقول لها أنه تذكرها فقد جاءت له من  
آخر الدنيا لتستأنس به ولتستعيد حبه ليعوضها عما قاسته.  
واستمر يوسف في الاستماع إليها متظاهرا بمحاولة التذكر وعصر  
الذهن ولكنه للأسف لا يتذكر ولكنها حركت مشاعره كرجل إلي  
أقصى درجة مع كل كلمة وحركة بل ونفس وحاول أن يخرج من  
تأثيرها بتذكر ليلي ولكن كان الأمر صعبا فكم الأحضان الدافئة  
والقبلات الساخنة والحركات الرشيقة كادت تنسيه نفسه.

لم تفقد راشيل الأمل ووعدته بزيارة في الصباح الباكر لتساعده  
علي التذكر وخرجت من الغرفة وهي تنثر عطرها ورائحتها  
والجميع ينظر إليها وهي تسير مبرزة جمالها وأنوثتها سعيدة  
بهذه النظرات واستمرت زيارات راشيل بشكل يومي وبعدت  
ليلي عن المشهد تماما وكان يحاول أن يراها ولكن دون جدوى.  
جاءت اللحظة الفارقة فقد تماثل للشفاء والتأمت جروحه  
الجسدية وان كانت جروحه الحقيقية مازالت تنزف بل وتزداد  
يوما بعد يوما كلما التأمت جروحه الجسدية

اجتمع أجباء يوسف وعلي رأسهم راشيل  
ليصطحبوه لبيته. أما حبه الحقيقي فقد فارقه وأخذ ينظر حوله  
لعله يراها ولو للمرة الأخيرة ولكن من دون أمل وكان يشعر أن  
جسده يخرج من المستشفى ولكن روحه تدخل إليه حتى فارق

الروح الجسد فتركها ورائه ومشي مع راشيل وهي تنظر إليه متعجبة مما يفعل ومما تشعر به تجاهه ولكن لم تقدر علي فهم شيء .

عاد يوسف إلي البيت فعاوده الشعور بالغربة والوحشة ولم تستطع راشيل أن تخرجه من أزمته أو تنسيه ليلي وقد أصبح علي ثقة من أنه لن يراها ثانية.

وكان يذهب كثيرا لرؤية ليلي في المستشفى خاصة أنه قريب منه ولكن سرعان ما يتراجع تجنباً لعدم إشعال النار ثانية سواء في قلبه أو قلب ليلي بعدما خمدت قليلاً وأصبحت كالرماد الذي ينتظر أن يشتعل بشكل أكبر وأعظم بمجرد أن تمسه النار أو يجري الهواء من فوقه .

استمرت راشيل في زيارة يوسف يوماً بعد يوماً حتى توطدت بينهم العلاقة وتحدثت معه ذات مرة عن إسرائيل واستقرارها ومستوي المعيشية فيها . وتقديرهم للعلم والعلماء ووقوفهم معهم . ومساعدة أصحاب الأموال علي استثمارها بنجاح . وعن الديمقراطية وقوة المجتمع وانصياع الدولة لها وقدرة الشعب علي تغيير الحكومات ومحاسباتها.

قال في نفسه كم كنت أمني أن يكون وطني هكذا بل وأفضل وقال لها يا راشيل أنا أعرف هذا عن إسرائيل وأكثر وأعرف الكثير عن فساد النخبة واستشراء الفساد في مختلف إدارات الدولة وانحدار المستوي الأخلاقي وصعود المتطرفين بشكل يهدد علمانية الدولة. فضائح كبار الضباط وكبار مسئولو الدولة الجنسية.

فقال له بثقة وهدوء فعلي الأقل أفضل مائة مرة من أي دولة محيطة بها في الشرق الأوسط . ولأن عندنا ديمقراطية كل

هذه الأمور تكشف ويحاكم المتورطين فيها أما في دول الشرق الأوسط الأخرى يخدع الشعب في صلاح النخبة الحاكمة ومحاولة ظهورهم الدائم بالرقى الأخلاقي والمحافظة علي التقاليد وربما أتباعهم لتعاليمهم الدينية وتحافظ علي هذا الشكل الطاهر مهما كلف بلادهم من خسائر مادية وتتستر علي الفساد والمفسدين لتحافظ علي الشكل المثالي مما شجع كثيرون ممن هم محسوبين علي هذه الأنظمة علي ارتكاب شتي أنواع الجرائم لأنهم علي يقين أن الأنظمة ستقف معهم ضد مصلحة البلد لتحافظ علي شكل وهيبة النظام من ناحية ولأنهم علي ثقة أيضا أن بقاءهم مرتبط ببعضهم البعض من ناحية أخرى وللأموال التي يصدقوها عليهم من ناحية ثالثة. أما عندنا فمستحيل فبمجرد أن يكشف أي فساد لا يجرئ أي شخص أن يسانده خوفا علي نفسه من أن يحسب عليه ويتسبب في ضياعه معه.

كان يوسف يعمل أن كثيرا مما قالته صحيحا ولكنه قال لها أنت بقيت منهم وبتكلمي مثلهم وتقولي الشرق الأوسط. فقالت ضاحكة العرب أنفسهم نسوا الكلام عن العروبة والقومية العربية من زمان و حارب بعضهم بعض واستعانوا بالغرب علي بعضهم. وأصبح بينهم حروب سياسية علي الزعامة والنوم في حضن أمريكا والغرب وإسرائيل. وأصبح كلهم يؤكد لشعبه أن سبب انحطاطهم وتخلفهم هي دولة عربية أخرى وهي تساعد الدول الغربية ضدهم وأن نظامه هو الشريف المعادي للغرب وأمريكا وإسرائيل وهو في الليل يشرب خمر معهم والصبح يهاجمهم. دعك من هذه المثاليات وعش علي أرض الواقع . لقد كنت أنت نفسك ضحية أحد الانفجاريات في العراق وان كنت

خرجت منها هذه المرة فغدا لا نعلم ما سيحدث . اسمع كلامي  
وتعالى نبدأ معا هناك.

فقال لها غاضبا واترك العجوز هنا في العراق بمفرده؟.

فقال متبسمة متعجبة يا يوسف أولاده تركوه وأنت خائف  
عليه وعموما أحب أن أطمئنك انه سيسافر معنا.

فتعجب وقال لها معقول أنا لا اصدق

- أنا زرتة وتحدثت معه بنفسى وأكد لي انه سيسافر معنا

فتعجب وقال لها:

- اتفقتما علي كلاكما.

- لأننا نحبك ونظرت إليه نظرة عاشقة.

- القرار الصحيح يعني أن أسافر لإسرائيل.

قالت راشيل وهي تبكي:

- أرجوك يا يوسف وافق.

قال وهو يمسح دمعها بيده وهي تقبلها

- أنا أرجوك لا اقدر علي رؤية دموعك.

قالت له بصوت يملئه الأمل:

- سأمر عليك غدا وأرجوك لا تخيب أملي.

في وقت الغداء ذهب إلي العجوز بنيامين وتناول معه

الغداء وتحدثت معه عن السفر لإسرائيل وقال له أن هذه الخطوة

هي التي أمامه وليس هنالك شيء آخر حتى يحافظ علي نفسه

وممتلكاته. تعجب مما قاله الرجل العجوز شعر أنه يخفي شيء

ما فقال له

- أنا أشعر أن بداخلك شيء ما ولكني رغم معرفتي الشديدة بك

لم أستطيع أن اعرفها؟.

قال العجوز بهدوء:

- يا بني ليس هنالك أي شيء و راشيل تحبك وقد جاءت لك لكي تأخذك لتعيش معها في إسرائيل حياة هادئة بعيدا عن المشاكل وأنت شاب مسالم ولا تحب المشاكل ولا تقدر عليها.

قال يوسف وهو ينظر له بوقار:

- انك تعلم أنني احبك واحترم وجه نظرك ولكنني في هذا الأمر لا استطيع أن أطيعك

فقال العجوز بصوت يقطعه سعلات متكررة:

- لا ستسمع ما أقوله لك ولا تناقشني . يا يوسف هل تشك في أنني أريد مصلحتك؟.

قال يوسف مطمئنا:

- بالطبع أثق في انك تريد مصلحتي ولكن ....

قال العجوز محاولا إغلاق المناقشة لصالحه:

- تمام اسمع ما أقوله لك وسافر معي و راشيل لإسرائيل يا يوسف أنا رجل خبر الحياة واعرف أكثر منك ولا بد أن تسمع الكلام.

قال يوسف سأحاول وانصرف والرجل العجوز ينظر إليه نظرة الأب الخائف علي ابنه و قال في نفسه ليتك تعلم ما اعلم.

في الصباح وفي أثناء ذهابه إلي متجره إذ به يسمع صوت انفجار ولأنه قد عاينه من قبل فقد ارتقي علي الأرض وغطي رأسه بيديه وقال في نفسه أنا متأكد أنني سأموت في العراق. جري سريعا فإذا بسيارة مفخخة قد انفجرت أمام متجره مباشرة. صعق إذ قد أنجاه الله للمرة الثانية وحمد الله علي ذلك وظل ينظر حوله ليطمئن علي المتجر وعلي العاملين معه والمارة في

الحي، تأكد أن ما يشعر به من ناحية العجوز و راشيل صحيح وأنهما كانوا يخافون عليه من أمر ما.

دخل يوسف إلي المتجر وهو يمشي ألهوينا وتكاد قدمه لا تستطيع أن تلمس الأرض فكل شبر من الأرض عليه أشلاء من بضاعته وكان يمشي والدمع في عيونه والحسرة علي وجهه وقلبه بخفق ورجليه ترتعش كلما دهس علي قطعة متناثرة من بضاعته وأخذ محمد ينظر إليه ويخفق قلبه كلما شعر بخفقان قلب يوسف حتى كاد أن يحمله حتى لا يري ما به وأستمر يوسف في التقدم حتى تعثرت قدمه في أول تليفزيون مكتمل ولكنه مكسور فحمله كأنه يحتضن ابنه المريض في صدره.  
قال له محمد:

- أرجوك يا يوسف تحمل الصدمة إن قلبي يتقطع عليك أرجوك سيعوضك الله عن خسارتك.

فقال يوسف وهو يبحث عن مكان أمين يضع فيه ابنه وقد انهمرت دمعة من عينه  
- الخسارة كبيرة جدا وخراب . كل شيء ضاع يا محمد كل شيء ضاع.

قال محمد محاولا طمأنته:

- خيرا إن شاء الله يا يوسف ربنا موجود وسيعوضك إن شاء الله .

جاء عدد من مسئولي شركة التأمين واخذوا يحصروا الخسائر حتى يستطيعوا تقدير قيمة التعويض المناسب وأخذ يوسف في أظهار الخسائر المادية الكبيرة التي تعرض لها ويعرض كل جهاز مدمر أكثر من مرة حتى جاء بأجهزة مكسورة قديمة من المخزن

ليظهر أن الخسائر كبيرة وكان محمد واقف ولا يستطيع أن يخفي  
الابتسامة و خاصة عندما لاحظ أحد مسئولي الشركة أن هذه  
الأجهزة عليها كميات كبيرة جدا من الأتربة ومن موديلات عفي  
عليها الزمن وقال له:

- إن هذه الأجهزة مكسورة من قبل الحادث.

فلم يوافقه يوسف الرأي واستمر في أقناعاته انه تدمر من أثر  
الحادث فقال له الموظف

- أن هذا التليفزيون موديل الستينيات من القرن الماضي وانه كان  
أول تليفزيون اشتراه جده لأبيه . ورغم هذا لم يفقد الأمل واستمر  
في إحضار أجهزة من المخزن.

طلب أحد الموظفين من محمد اصطحاب يوسف بعيدا عنهم  
حتى يستطيعوا إكمال عملهم وإلا سوف ينسحبون.  
امسك محمد بيد يوسف وقال له:

- تعالي معي

ولكن يوسف قال له:

- اتركني يا محمد حتى أقنعهم بوجهة نظري ولكن محمد جذبة  
من يده وقال له أنا سأتابع معهم وانصرفا والموظفون بيتسمون.

فأعاد يوسف السؤال بشكل آخر وقال

- بشكل مبدئي كم ستكون القيمة؟.

فلم يرد عليه أحد لكنه قال

- القيمة هذه اقل بكثير من الخسائر حرام عليكم اتقوا الله.

انصرف أعضاء اللجنة وهم بيتسمون وقال له رئيسها

- والله يا سيد يوسف لو دفعنا ثمن المحل والبضاعة كلها لن  
ترضي

جري يوسف ورائهم ومحمد يمسه من يده ليمنعه من الوصول إليهم  
 - ألن تدفعوا ثمن المحل والبضاعة كاملا؟. حرام عليكم الخسائر  
 بالملايين أنا سأرفع عليكم قضية اتقوا الله  
 استمر محمد في إمساك يوسف وهو يبتسم ويقول له  
 - يا يوسف المحل والبضاعة أمامك سليمة لماذا كل هذا؟.  
 فقال وهو غاضب :

- يا محمد أنت معي ولا معهم أنت تري كم جهاز مدمر وهذا  
 غير الموجود في المخزن.  
 قال محمد وهو مازال يبتسم :

- يا يوسف هم مشوا أنت تمثل علي أنا؟. يا رجل أين وجدت  
 هذا التلفزيون؟ أنا أول مرة أراه وأنا معك طوال عمري . من  
 المؤكد أن هذا التلفزيون كان في جهاز بيت والدك ووالدتك.  
 ابتسم يوسف وقال :

- لو لم افعل هذا فلم يعطوني قيمة جيدة للتعويض.  
 - أنا افهم ذلك ولكنك بالغت كثيرا في تصرفاتك. ودع عنك كل  
 هذا لابد أن اذهب سريعا لإحضار من يصلح الأبواب وينقل  
 البضاعة إلي المخزن الكبير السلام عليكم. ضحك في نفسه وقال،  
 قدرة غريبة علي التمثل لم أكن أعرف أنني أملكها ويبدو أن لدي  
 مواهب كثيرة لم تخرج للحياة بعد لم أكن أظن يوما ما أنني  
 أملكها , يبدو أن بداخل كل إنسان مواهب وقدرات كثيرة غالبا  
 ما يموت دون أن يكتشفها أو حتى يشعر بها.

بعد هذه الليلة الطويلة استيقظ يوسف في الصباح وبدا  
 عليه الإجهاد وكانت ملابسة بحالة سيئة ووجهه مجهد ورائحة  
 بدنه سيئة و مجرد ما استيقظ إذ بليلى وأمها أمامه وأمها تقول

له يا عيني عليك يا بني هو أنت موعود بالتفجيرات إن شاء الله الخسائر تكون قليلة ربنا يعوض عليك يا بني.  
كان يوسف في وضع شديد الحرج فما هي حبيته أمامه ولكنه في وضع محرج وتمني ألا تراه في مثل هذا الشكل واخذ يهنم في ملبسه وشعر أن شكله أسوء مما كان فيه بكثير ونظر إلي ليلي فوجد الشوق والقلق عليه في عينيها وتمني لو سمع صوتها فلم تخيب أمله وقالت له حمدا علي السلامة يا سيد يوسف وربنا يعوض عليك.

خفق قلبه لما سمع صوتها حاول أن يتكلم ولكنه لم يستطيع.  
فقال له أم ليلي ماذا حدث يا بني؟ هل الحادث أفقدك النطق ولا أنت حزين علي الخسارة؟.

ابتسم يوسف وقال لهما تفضلا بالجلوس فقالت أم ليلي لا شكرا يا بني لقد كنا مارين هنا بالصدفة ورأينا حالة المتجر فأصررت أن ادخل وأطيب خاطرك رغم أن ليلي كانت رافضة حتى لا تتأخر علي عملها.

نظر يوسف إلي ليلي فوجد الخجل علي وجهها ثم قال لهما مرة أخرى وقد تناول كرسيين تفضلا بالجلوس وتمني لو توافق ليلي حتى أن تجلس دقيقة واحدة ليستأنس بها ونظر إليها مرة أخرى نظرة فهمت منها انه يتمني أن تجلس ولكنها رفضت بشدة إلا أن أمها قالت إنا متعبة قليلا وطلبت كوب من الماء.

قالت ليلي يا أمي سأتأخر عن عملي.

قالت أمها سأجلس دقيقة واحدة وامضي معك إن ركبتني تؤلمي.  
أخذ يوسف ينظر إليها ثم يخفض رأسه ثم يعاود النظر إليها كأنه يملئ عينيه منها ولكنه كان كالذي يشرب من ماء البحر

فكلما شرب كلما زاد عطشا. شعرت ليلى بالحرّج وأصرت علي الرحيل رغم أن قلبها كان يسحبها للأسفل لتجلس ولكن كان عقلها يسحبها لأعلي لتقوم وترحل وشربت أمها الماء سريعا وبدأت تهض بصعوبة وبينهما هم علي هذا الوضع إذ براشيل تدخل المتجر والدمعة في عينيها وهي تجري علي يوسف حتى احتضنته. كان الخجل قد ملئ وجه بل وكل جسد ه واخذ ينظر إلي ليلى وأمها. استجمعت أم ليلى قوتها وهي تنظر إليهما باستغراب ثم قالت هيا يا ابنتي وسارت مع ابنتها التي أسرع والدمع في عينيها ولكن عقلها كان يمنع دمعها من الانهمار.

قالت السيدة العجوز وهي تمشي:

- ربنا يعوض عليك يا بني.

التفت راشيل سريعا إلي ليلى ووالدها ثم قالت من هؤلاء ؟ ثم نظرت بعين ثاقبة وقالت أليس هذه ممرضة المستشفى ؟ لماذا هما هنا عندك ؟ أنا اشعر أن شيء بينكما؟.

قال يوسف وهو غضبان والدمع في عينية

- رأيت ما حدث؟ كل شيء ضاع يا راشيل وأنت تتحدثي في أمور تافهة.

نظرت راشيل إلي عيني يوسف وهي تدمع ثم قالت وهي تقترب منه وتحضنه:

- لا تحزن علي أي شيء المهم انك بخير وانهمرت دمعة من عينيها.

فقال يوسف وهو يبتعد عنها ويجلس علي الكرسي التي كانت تقف بجواره ليلى:

- كل شيء ضاع يا راشيل كل شيء ضاع.

وقالت راشيل وهي تدور عينيها في المتجر:

- لم تحترق إلا الواجهة ومسافة قليلة داخل المتجر ولكن أين البضاعة هل احترقت؟ ولكن كيف؟  
قال يوسف وهو حزين:  
- احترق منها ما احترق والباقي نقلناه إلي المخازن.  
قالت راشيل:  
- هل أحصيت الخسائر يا يوسف؟  
قال يوسف في حسرة:  
- شركة التامين حصرت كل شيء والله اعلم كم ستدفع أنا خسرت كل شيء يا راشيل.  
وحاولت راشيل جاهدة أن تخرجه من هذه الحالة ولكنه قال لها إن الخسائر كبيرة  
وجلس علي أحد الكراسي واضعا يديه فوق رأسه.  
أقبلت راشيل عليه وجلست علي الأرض إلي جوار الكرسي وقالت له وقد أمسكت بيديها الناعمتين يده:  
- يا يوسف أنسي كل شيء وتعالى نذهب إلي إسرائيل ونعيش هنالك في سعادة بعيدا عن كل المشاكل.  
فقال يوسف في تشاؤم المشاكل لا تنتهي في بلد ولا وقت معين  
- أنا سأكون إلي جوارك دائما ولن أتركك وحبنا سيساعدنا علي تخطي المصاعب ونعيش مع بعض في حب وسلام.  
قال يوسف:  
- سأفكر في الأمر جديا.  
- الأمر لا يستحق كل هذا التفكير لابد من اتخاذ القرار سريعا والبعده عن كل الأخطار  
نظر إليها متعجبا أي إخطار تقصدين؟

في المساء دق الجرس فظن يوسف أنها راشيل فذهب ليفتح الباب فوجد العجوز بنيامين بالباب وهو مضطرب ودخل سريعا وقال ليوسف الحمد لله انك بخير يا بني واحتضن يوسف. تعجب يوسف منه وقال له هذه أول مرة تحضني فيها. قال العجوز:

- كنت خائف جدا عليك الحمد لله انك بخير.  
قال يوسف:

- أتفضل يا عمي أستريح.

ذهب العجوز علي مهل للكرسي وجلس بهدوء وقال له:  
- ماذا حدث يا يوسف؟

قال يوسف في حسرة:

- انفجار في سيارة أمام المتجر . كيف عرفت ؟ لقد قال العاملون بالمحل انك مسافر.

قال العجوز:

- لقد اتصلت بالمتجر لأطمئن علي سير الأمور فأخبروني بما حدث. أريد أن اطمئن علي الخسائر المادية.

قال يوسف:

- الخسائر كبيرة يا عمي وإني اشعر أن وراء هذا الانفجار لغز.

قال العجوز بمجهود كبير:

- يا بني دعك من كل هذا وعود لإسرائيل واسترح من كل هذا.

قال يوسف موضحا موقفه:

- إذا كان الله قد حكم علينا بالشتات فلماذا علينا أن نخالف أمره.

قال العجوز بحسم:

- يا يوسف كفانا نقاش لقد تعبت وأنا رجل عجوز لا أطيق هذا وكل ما أطلبه منك أن تسمع كلامي. هل تشك أني أريد مصلحتك؟.

قال يوسف :

- لا اشك ولكن أخاف إن خالفت أمر الله أن يعاقبني.

قال العجوز مغلقا النقاش:

- أنا عجوز و قدرتي علي النقاش لم تعد موجودة من الأساس وستسافر معي لإسرائيل تحت أي وضع سواء كنت موافق أم لا.

فقال يوسف وهو يبتسم

- غصبا يا عمي؟.

قال العجوز وقد بدي التعب والإجهاد عليه

- نعم وعليك أن تستعد للسفر من الآن ولا بد أن تكون متأكد أني اعرف مصلحتك أكثر منك واخشي عليك من أمور كثيرة.

قال يوسف في يقين:

- هذا هو ما اشعر به انك تخفي عني شيء ما.

قال العجوز في هدوء:

- يا بني سأقول لك شيء اليهود يعلمون جيدا انك تحب وطنك العراق ولا يمكن أن تتعامل معهم فيما يضر العراق لذلك أصبح من المنطقي جدا وأنت الشاب الغني الذي تمتلك ملايين الدولارات أن يستفيدوا منك بان تهاجر إلي إسرائيل وتستثمر أموالك في أي مجال خاصة التجارة أو الزراعة فتستفيد من أموالك وعلمك وتزوج وتنجب أطفال كل هذا مهم جدا فهم يجلبون كل عام أعداد كبيرة من خارج إسرائيل رغم الشك فيهم وعلي اختلاف الجنسيات والأعراق والثقافات والمستوي التعليمي لتسد

العجز مع الفلسطينيين الذين ينجبون أعداد كبيرة من الأطفال سنويا برغم كل التضيق عليهم وعلي العكس الشباب في إسرائيل عازف عن الزواج والإنجاب فماذا تفعل إسرائيل إذا كان عندهم شاب متعلم و يهودي وغني ومتدين ومن مجتمع شرقي يقدر الزواج ويحب أن ينجب الأطفال . هل عرفت يا يوسف لماذا لن يتركوك؟.

قال يوسف متعجبا:

- في النهاية أنا واحد.

قال العجوز مستدركا:

- أنت هنا تساوي واحد ولكن هناك ربما تساوي عشرة إذا تزوجت وأنجبت ثم تزوج أبناءك وهكذا وعندها ربما تساوي مائة.

وربما تساوي أكثر من مائة حين تستثمر أموالك فتشغل عدد كبير من اليهود خاصة القادمين حديثا الذين يسارعون بالعودة لبلادهم الأصلية بمجرد أن يصلوا لإسرائيل ارض الموعد والأحلام فلا يجدوا أي شيء سوي البطالة والنزاع مع الفلسطينيين والعرب . ولكن عندما يجد عمل مناسب سيستقر ويحب إسرائيل ويتزوج وينجب وتدور العجلة وعندها ربما تساوي ألفا.

ربما تساوي أكثر من ألف إذا ساعد استثمارك في الوصول لتكنولوجيا جديدة في الزراعة فرمما عندما تكون عندهم أفضل من عشرة آلاف .

كان يستمع له وهو مذهول ويقول في نفسه يا ليت بلدي تفكر كما يفكرون ولكنهم للأسف يفكرون كيف يضعون شبابهم فقط واستمر العجوز يقول:

- ثروتك أكثر بكثير من المتجر وأنت تعرف ذلك. يكفيك ما تملك غيره سواء في البنك وخلافة أما المتجر فسلمه لمحمد كما فعلت عندما سافرت لمصر.

كانت كلمة العجوز عن الثروة قد شغلت كل فكره وبدأ يبحث بهدوء في المنزل وخلع كل الصور المتهالكة من الحائط فلم يجد شيء وراءها وبدأ يبحث في الأرض وحرك الأساس قطعة قطعة فلم يعثر إلا علي الخزنة القديمة التي وصل إليها من قبل فجلس علي الأرض ثم استلقي علي الأرض وهو ينظر للسقف المتهالك الذي يكاد ينطبق عليه وقال لنفسه إذا وضعت حزينة علي الأرض فلا يمكن أن تكون الأخرى أيضا علي الأرض.

ممکن أن تكون علي الحائط؟. ثم انتبه وقال في السقف وأخذت عينيه تدور فيها ولكن دون جدوى ثم تحرك من غرفة إلي أخرى أيضا دون جدوى.

ثم جلس علي الأرض واستلقي علي ظهره واخذ ينظر بعينيه ويقول لنفسه أين وضعت ثروتك يا يوسف؟.

استمر لفترة طويلة ينظر في السقف وفقد الأمل ولكن ظهره كان يؤلمه لذا استمر مستلقي علي الأرض. فجاءه نهض سريعا وجلب سلم متهالك وصعد عليه بحذر حتى امسك بنجفة في السقف قديمة جدا وليس بها أي مصباح مضيء واخذ يفكها ثم نزل من السلم وجلس علي الأرض بجوار النجفة وبدأ يتفحصها بهدوء. أخرج منها جورب قديم ولما فتحة وجد قطع كبيرة من الألماس وبدا عليها أنها ثمينة جدا ووجد أيضا عدد آخر من الماسات الأصغر حجما

نهض يوسف فجأة وانطلق إلي المتجر بدون ارتداء

الحذاء ثم عاد مسرعا وامسكه في يده وانطلق يرتدي علي السلم حتى انه لم يسمع تحية حارس العقار الذي قال في نفسه خسارة المال أفقدته عقله وعندما سمع يوسف هذا لم يكثرث وأكمل مسرعا إلي المتجر. دخل سريعا إلي مكتبه ولم يري أي شخص واقف حتى محمد الذي قال له صباح الخير يا يوسف مالك؟ لماذا أنت متعجل؟ هل نسيت شيء فقال له وهو يمشي متعجلا تقدر تذهب لبيتك لترتاح قليلا أنت وكل العاملين.

فقال محمد وهو يبتسم :

- أنا فعلا متعب وسأترك بمفردك في المتجر ولعله خير ثم انصرف.

أغلق الباب الجديد وباب المكتب ودخل إلي المكتب وجلس علي الكرسي و قال أنا انفردت بك أيها المكتب وسنري أين أدخر وبدأ يفكر أين يمكن أن يخبأ أمواله ؟

ظلت عيني يوسف تدور في المكتب الصغير جدا فهو لا يزيد عن مترين ونصف في ثلاثة ومع هذا كان يوسف يشعر انه كبير جدا لدرجة انه لا يقدر علي استيعابه أحيانا وأحيانا انه صغير جدا لدرجة انه لا يراه إلا انه كان يراه غامضا في كل الأحوال وهو لا يريد أن يبحث بل يعرف أين وضع هو ماله واستمر لفترة طويلة يفكر دون أن يتحرك.

ثم نهض وقال وجدتها وفتح الخزينة ثم رفع قاعها بقوة وأخرج مفتاح من ميداليته وفتح خزينة أخرى وأخرج منها صندوقا كبيرا وجلس ليفتحه وهو سعيد جدا.

كسر القفل الصغير ثم لم يفتحه وقال في نفسه ماذا في الصندوق؟.

واخذ يفكر ثم قال ذهب ونقود بعملات مختلفة منها محلية ليشتري بها بضائع هامة في حالة الضرورة القصوى عندما تكون

الصفقة لا تعوض . سلاح ومفاتيح هامة ونسخة احتياطية للخزينة المنزلية وسبائك ذهبية.

فتح الصندوق ووجد كل ما قال ولكنه وجد أيضا صور كثيرة لراشيل وخطابات كانت بينهما تاريخها بعيد بعد سفرها لإسرائيل مباشرة ولمدة عام تقريبا. هدى يوسف قليلا بعدما كان قلبه ينبض بشدة وشعر بسعادة غامرة لم يعكرها إلا انه لم تخطر راشيل بباله أصلا.

حاول مرات عديدة أن يرى ليلي دون أن تراه نجح أحيانا وفشل أحيانا وحين يرها تغمره سعادة لا يمكن وصفها فأقل وصف لها أنه يشعر كأنه في الهواء الذي أخذه من حرارة الأرض إلي برد السحاب ويشعر أن نفسه سعيدة يرى بقلبه كل شيء جميل بديع يتنفس الهواء فيشعر بانتعاشة شديدة ويحب الناس كلهم ولا يكره أحد ولا يفكر إلا في هذه اللحظة ولكن سرعان ما تمر من أمامه وينقطع طيفها فيعود لحالته الطبيعية وتعاوده الهموم والأفكار ولكن علي الأقل يستمر هذا الشعور لفترة من الزمان تجعله يتحمل الظروف التي يمر بها.

## الفصل الثاني

تحركت الطائرة واهتز قلبه مع اهتزاز الطائرة وبدأ القلق علي وجهه وشعرت راشيل بتوتره فأمسكت بيده وقبضت عليها فلم يعيرها انتباهها فاقتربت منه ووضعت رأسها علي صدره لم يستطع أن يقاوم إغراءها ولكنها لم تحرك عواطفه فتمني وقتها أن تكون راشيل ليلي وكان علي يقين أنها كانت ستشعره بالطمأنينة والهدوء والثقة أما راشيل فكانت تزيد من توتره وان كانت صدرا حانيا في هذه اللحظات التي تشعر فيها المرأة بضعف حبيبها فتحتضنه كأمة لا حبيبته . كانت راشيل تنظر في عيني يوسف فتري فيهما الحب فتظن انه حبه لها فتزاد ثقة وسعادة وتقول لنفسها لقد منعت نفسي عنه في العراق ليكون أكثر شوقا وطواعية لي ويهاجر مع إلي إسرائيل ولكنني سأكون له بمجرد الوصول . كان العجوز سعيدا وهو ينظر إلي راشيل وهي في حضن يوسف ويشعر أنهما سيرتبطان بمجرد الوصول إلي إسرائيل بل ربما في مصر

اقتربت الطائرة من مطار القاهرة ونظر يوسف من الطائرة رأي القاهرة صغيرة جدا وشعر انه اكبر منها وكان

قلبه ممتلئ شوقا إليها فتمني أن يحتضنها لعلها تطفئ لهيب قلبه فقد أنسته الغربة كل معاناته فيها ولم يبق إلا حبه لها وقف علي سلم الطائرة ينظر علي إرجاء المطار وقد انفتح صدره واستنشق الهواء حتى كاد يجهز عليه كله وفتح يديه حتى لم يستطع أحد المرور من حوله

أمسكت راشيل بيده التي كان يمدها بأقصى درجة وقالت - له أفسح الطريق يا يوسف أل هذه الدرجة وحشتك مصر؟ أنت لم تمكث فيها إلا قليلا.

انتبه يوسف وقد استدرك الموقف وقال لها - أنا حبتها جدا يا راشيل كأني من أهلها.

قالت راشيل أكيد شربت من نيلها كما يقولون ولا الناس أصبحت تشرب مياه معدنية؟ لو كان النيل عندنا في إسرائيل كنا سنستغله أفضل استغلال و كنا سنكون اكبر دولة زراعية وصناعية في العالم. قال يوسف وهو يبتسم:

- دائما تظنون أنكم الأفضل والأذكي في العالم. قالت راشيل مبتسمة:

- طبعا هذه حقيقة والحقيقة الأخرى التي تغفل عنها دائما أنك منا . وأنا علي يقين انك ستدهش من تقدمنا في كل المجالات وأصبحنا نصدر منتجاتنا لدول كبيرة ومنها ما تقول عليها الدول العربية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر واكبر دولة عربية وأعرقها وأقواها عسكريا أصبحت تحت سيطرتنا وأنت هنا في القاهرة لتطير منها علي متن طائرة مصرية إلي إسرائيل.

تعجب مما سمع منها وشعر بالغضب من حديثها ثم تذكر العجوز فقال لراشيل:

- عمي يا راشيل أين هو؟ ودخل مسرعا إلى الطائرة وامسك بيده وقال له اعذرني يا عمي.

قام العجوز بتأني وقال ليوسف وهو يبتسم

- لقد تركتني يا يوسف ونحن في القاهرة فماذا ستفعل بي في إسرائيل.

ابتسم يوسف ولم يستطع الإجابة وتحرك بهدوء معه حتى خرجا من الطائرة

كان موعد الطائرة التي ستقلهم إلى تل أبيب في اليوم التالي وكان سعيدا لأنه سيبقى ليلة في القاهرة وكان علي يقين أنها ستكون الليلة الهادئة الأخيرة في حياته وهو يعلم انه لن يستطيع أن ينام بهدوء في إسرائيل لذا عندما وصل إلى فندق في المطار أصر أن ينام ولكن العجوز قال له أن السفير الإسرائيلي بمصر عازم علي أن يلقاهما الليلة في الثامنة مساء بمقر السفارة وسيُرسل لنا سيارة تابعة للسفارة ستقلنا إلى هناك.

في السابعة وصلت سيارة السفارة وكانت محاطة بعدد كبير من الحراسة المصرية والإسرائيلية ولكنها لم تكن تحمل علما. استقل مع العجوز السيارة والتي تحركت بسرعة وكان الطريق يفتح لها مباشرة أينما مرت كأنها سيارة رئيس الدولة وليس اثنان من الإسرائيليين وصلت السيارة إلى السفارة وتعجب يوسف من كثرة الحراسة والاستعدادات الأمنية ولكن ما أدهشه أكثر هو عدد المصريين الذين يدعون أنهم رجال أعمال وطيون ينتظرون أن يمن عليهم السفير بلقائهم بينما هو قد دخل مباشرة إلى السفير. استقبلهم السفير استقبال حافلا تعجب منه وأخذ يتحدث عن أمور كثيرة ويوسف والعجوز لا يناقشونه فيما يقول من

شدة التعب ويكتفون بالابتسام وهز الرؤوس حتى تحدث أنهم يستطيعون أن يقيموا مشروعات مشتركة مع رجال أعمال مصريين بل مع المؤسسات الحكومية المصرية وخاصة وزارة الزراعة المصرية وأكد السفير علي يوسف أن يفكر جيدا في الاستثمار في المجال الزراعي في إسرائيل فهو مجال متقدم من ناحية ومن ناحية أخرى لأنه هنالك مشاريع مشتركة مع مصر ستربحه الملايين بسهولة وقال له أي مشورة أو استشارة في هذا الأمر ستكون السفارة بأكملها في خدمته

حزن يوسف من جرأة السفير الإسرائيلي الذي شعر انه يتحدث كأنه ملك مصر وليس سفير إسرائيل فيها ولكنه وعده أن يفكر جيدا فيما قال وشكره.

كانت راشيل غاضبة لأن الدعوة للسفارة لم تشملها وتجاهلتها تماما رغم علمها أنها كانت وراء هجرة يوسف والعجوز ولم تدعها معهما أو حتى بمفردها لتشكرها علي مجهودها وكان هذا سببا لأرقها طوال الليل وأخذها تفكيرها في اتجاهات كثيرة حتى هداها تفكيرها إلي أن عليها أن تفعل أي شيء للارتباط بيوسف بمجرد الوصول لأنها من ناحية تحبه وهو الشخص الوحيد القادر علي إسعادها وتعويضها عما لاقته في علاقتها الأخيرة ومن ناحية أخرى ثروة يوسف كبيرة والمجتمع الإسرائيلي مجتمع رأسمالي وهذا كان يعني أنه سيكون ليوسف وبالطبع هي وضع خاص وراقي في المجتمع بدا ذلك جليا في لقاء السفير الإسرائيلي في القاهرة.

ولكنها كانت قلقة من ناحيتين أيضا أولهما أن ينهر يوسف بالمجتمع هناك ويفكر في الارتباط بفتاة من الطبقات الغنية

وخاصة أن عدد من اليهود الشرقيين كانوا من قبل هجرتهم لإسرائيل وحتى الآن أثرياء جدا ومنهم المتمسك بعاداته وتقاليده ومنهم أيضا المتدين الذي يرفض نمط الحياة المفتوح في إسرائيل فينجذب يوسف إليهم ويختار فتاة من هذا الوسط ,ومن ناحية أخرى أن يعرف يوسف علاقتها مع الشاب اليهودي جاكوب والتي استمرت سنوات طويلة ومن المؤكد أنه سيعرف وبالتالي لن يقبل وهو اليهودي المتدين المتمسك بتقاليده وعاداته أن يرتبط بها وحينها ستكون خسرت كل شيء وبالعكس فقد جاءت به لإسرائيل هدية علي طبق من ذهب لأمره أخري .

جن جنون راشيل من هذه الفكرة وقالت في نفسها يا ليت وافقته علي البقاء في العراق وعدم السفر لإسرائيل وكنت حاولت أن أقنعه بالتعاون مع إسرائيل في العراق ولم تستطع راشيل النوم جيدا وأخذ الفكر يشغلها عن النوم لتبقي معه ومهما حاولت البعد عنه اقترب منها شغلها عن النوم.

استيقظ يوسف في الصباح سعيدا من هذه الليلة الهادئة فقد استطاع أن ينسي كل شيء ولم يفكر إلا في النوم فقط واتصل يوسف بالعجوز وطلب منه أن يلقاه في المطعم فقال له لقد تناولت إفطاري منذ أكثر من ساعة وعليه هو و راشيل أن يذهبا للإفطار سريعا ويعودا بسرعة حتى يجهزوا للسفر. تذكر السفر لإسرائيل فخفق قلبه وشعر بدنو الأجل وجلس قليلا ليستجمع قوته ثم اتصل براشيل وشعر بتغير نبرتها فقال لها:

- ماذا بك؟.

قالت راشيل وهي حزينة:

- لا شيء.

قال يوسف محاولا فهم الموقف:

- أ لم تنامي جيدا بالأمس؟.

- لم انم أصلا.

قال في تعجب:

- لماذا ؟ لقد نمت جيدا جدا.

قالت راشيل في غضب:

- طبعا لا بد أن تنام جيدا لقد قابلت السفير وقضيت ليلتك في بلدك.

قال يوسف متعجبا:

- بلدي!.

قالت راشيل في سخرية:

- طبعا أستم تقولون علي مصر دائما وطنكم الثاني.

هدأ يوسف وقال لها دعك من كل هذا وتعالى معى لنتناول الإفطار.

حاولت راشيل أن ترفض الدعوة ولكنه ألح عليها حتى وافقت . فقد كان يحب أن يتحدث مع أي أحد حتى لو كانت راشيل ولو في هذه الحالة المزاجية .

انتظر يوسف راشيل في مطعم الفندق و أقبلت عليه راشيل بأعين منتفخة حمراء ووجه شاحب وشفاه غليظة سمراء متدلّية. اضرب لما رآها وخاف منها وقال في نفسه أعوذ بالله وقال لها بعفوية وهو يبتسم أيكون شكلك هكذا عند الاستيقاظ من النوم ؟

فقالت راشيل بغلظة ووجه متجهم:

- ماذا تقصد؟.

قال يوسف وقد ظهر الخوف في صوته:

- لا اقصد شيء يا راشيل أنا أمزح معك ماذا بك؟:

قالت راشيل وهي حزينة:

- لا شيء وجلست.

لم يتكلما معا كثيرا ولكن كل واحد كان يتكلم مع نفسه. كان هو متعجب من هذا الشكل الذي بدت به راشيل ليس من الخارج فقط ولكن من الداخل أيضا فقد بدت متغيرة كثيرا كانت راشيل أيضا تتحدث مع نفسها وتقول ماذا يقصد يوسف بما قال؟ هل يعنيه حقا أم مجرد كلمة؟ وإذا كان هذا قوله هنا فماذا سيكون في إسرائيل؟.

اقترب موعد الطائرة وتقابل الجميع علي باب الفندق وتعجب يوسف من راشيل فقد بدت في شكل جميل وأنيق واختفت كل عيوبها الخارجية والداخلية. وعادت راشيل التي عرفها في العراق بل أكثر رقة وأكثر جمالا. وأقبلت علي يوسف وهي تبتسم مستعرضة نفسها.

كان يوسف يحب أن يقول لها ما كل هذا الجمال ليعوضها عما قاله في الصباح ولكنه امسك لسانه ولكن العجوز قال لها وهو ينظر إلي يوسف هل هنالك عروس بمثل هذا الجمال؟.

ابتسمت راشيل ونظرت إلي يوسف وعينها تقول له قل شيء يا يوسف إن العجوز قد نطق وأنت لم تقل شيء. صمت قليلا ثم قال وهو يبتسم في خجل هيا راشيل لقد تأخرنا كثيرا علي الطائرة .

ظلت راشيل وافقه مكانها وقالت له ألم تصالحنى بعد ما قلت في الصباح؟ أم أنك قادر فقط علي إغضابي؟.

قال العجوز :

- لا تغضبي يا راشيل فالحياء يمنع يوسف من الكلام

قالت راشيل في حسرة :

- كان يملئ أذني عندما كنا صغار بكلمات الحب فما الذي أسكته الآن ؟

قال يوسف محاولا تلطيف الموقف :

- ليس لجمالك حدود يا راشيل ولكن الوقت ضيق وعلينا الإسراع وأمسك بيدها وسحبها و هي تنظر إلي وجه الخجول وتقول له وهي سعيدة يا يوسف أنا سأقع علي الأرض الحذاء بكعب عالي وكان العجوز سعيدا بما يراه ويظن كما يظن الرأي أنهما يحبون بعضهم البعض وكم هما سعداء.

وقف وحيدا فقد تركته راشيل لتصلح زينتها

وتركه العجوز إلي الحمام واخذ يفكر فيما سيحدث له في إسرائيل . وبينما هو كذلك إذ بعامل من عمال المطار يقبل إليه وأخذ

الحقيبة من علي الأرض وحملها دون حتى أن يسأله .

نظر يوسف مستغربا ثم ابتسم له وقال أين ستأخذ الحقيبة.

نظر إليه الرجل وقال إلي أين تظن أن سأخذها ! سأحملها عنك ولا تدفع أي شيء الي أين ستسافر يا باشا؟.

يوسف وهو مازال مندهشا وتنحنح قليلا وقال له إلي تل أبيب.

فهمهم العامل كنت علي يقين من ذلك.

بعد قليل قال يوسف:

- قف هنا شكرا أعطني الحقيبة.

وقف العامل ينتظر أن يعطيه شيء من المال فلما لم يجد منه استجابة قال له:

- توصل بالسلامة يا باشا وانتظر.

قال يوسف بمكر:

- شكرا لك.

أعاد الرجل الحديث بشيء من الحنق والغضب.

- توصل بالسلامة توصل بالسلامة يا باشا.

فلما لم يجد بداً أخذ يوسف يبحث عن أي نقود صغيرة في جيبه حتى عثر علي جنية مصري أخرجه كان معه منذ أن كان في مصر وأعطاه للرجل وقال له شكرا.

امسك الرجل الجنية وأخذ يقلب فيه علي كل جانب ويقول كيف وصل هذا الجنية إليك وماله قديم لهذه الدرجة وهل هنالك أحد يدفع جنية في هذه الأيام؟. أبحث مرة أخرى لعلك تجد له أخوة متعفين في محفظتك فلم ينفعوك في إسرائيل.

استمر يوسف صامتا بينما قال الرجل له كله بثوابه عند الله توصل بالسلامة يا باشا الغلط عندي أنا من الغد سأطلب نقلي من هنا إلي مبني ركاب أخر حتى لو داخلي أنا تعبت وانصرف. هبطت الطائرة في المطار وكانت راشيل تشرح له معالم

تل أبيب وتصف جمالها ولكن كان جمال بلده غطي عينية عن رؤية غيرها كما كان حب ليلي يغطي عليه فلا يري جمال راشيل. نزلوا من الطائرة جميعا وكان في انتظارهم يوشع وسارة أبناء الرجل العجوز.

سأل يوسف بعدما سارت السيارة لفترة طويلة إلي أين سنذهب فقال له العجوز لا تسأل عن شيء هناك مفاجأة لك.

قال يوسف متسائلا:

- ما هي؟

قال العجوز مبتسما.

- ألم اقل لا تسأل انتظر قليلا حتى نصل.

قال يوسف وقد أصابته الدهشة:

- القدس؟.

قال يوشع:

- أورشليم يا يوسف وهذا هو مكان هيكل سليمان الذي بني عليه المسلمين مسجدهم وأنا نعمل علي هدمه وبناء الهيكل وهذا هو حائط المبكي كل ما تبقي لنا من الهيكل ثم أعطاه غطاء الرأس اليهودي وقال له البسه لنصلي ونبكي عند حائطنا. وقفت السيارة ونزلوا منها ووضعوا غطاء الرأس واضطر يوسف أن يضعه علي رأسه وقال العجوز لقد أصرت أن أول شيء نفعله في إسرائيل أن نصلي هنا لعل الله أن يوفقنا.

وأخذ يصلي ويجاهد من اجل أن يبكي وكذلك فعل الجميع وقال له العجوز لهذا صلي يا يوسف وابكي وأدعو الله وأعطاه كتاب. كان يوسف في كل هذا مذهولا لا يصدق ما يحدث و ظلت هذه الحالة مع يوسف طويلا وأخذت الدموع تنهمر من عينه وإذ بالعجوز يقول له وهو يبكي ألم اقل لك انك ستبكي كثيرا هنا نظر إليه يوسف ولم يتحدث بينما عاد العجوز إلي الصلاة والبكاء. ارتطم جسمه بجسد أحد اليهود فقال له أنا أسف ولكنه لم يره ونظر إليه يوسف فوجده يبكي ويهز جسمه بقوة ولا يشعر بما حوله وعلم انه من المتشددين من ملابسهم و هيئته ونظر إلي العجوز و راشيل وأبناء العجوز وهم يبكون والي الجموع الواقفة فقال في نفسه أنا ابكي وأعرف لماذا أبكي ولكنكم لماذا تبكون ؟ ليت لي أن أعرف؟.

في طريق العودة تحدث مع يوشع انه يريد شقة صغيرة للإقامة فيها وشعرت راشيل بالغضب وقالت له - لما شقة صغيرة ستعيش معي مؤقتا حتى نجد شقة فاخرة أو فيلا تصلح لنا.

قال يوسف موضحا:

- لا تنسي يا راشيل أي يهودي شرقي متدين ولا يمكن لي أبدا أن أقيم معك بدون زواج.

قال راشيل بنوع من الأنوثة لتؤثر عليه:

- أذا نتزوج قريبا ونبدأ حياتنا معا في إسرائيل ولا بد أن تثق يا يوسف أن زواجنا سيعطيننا دفعة للأمام وليس كما تظن.

قال يوسف بحنق:

- لا تضغطي علي يا راشيل أريد أولا أن استقر في إسرائيل ماديا ومعنويا ثم ابدأ أفكر في أي شيء آخر.

قالت راشيل بصوت مختنق وكيف ستستقر ماديا ومعنويا ؟.

- أجد سكن مناسب وعمل مناسب أكتسب منه خبرة عن طبيعة الشعب وعمما يحتاج وأفضل استثمار لأموالي . أنك يا راشيل لا تتخيلي حجم المعاناة التي شعرت بها لتركي استثماري الناجح ومغامرتي بحياة جديدة ؟.

قالت راشيل حزينة:

- بل أنت الذي لا تشعر بمعاناتي منذ خروجنا من العراق حتى وصولنا ؟ وكيف عانيت لما تركتني وذهبت منفردا للقاء السفير كأني كلبه مريضة لا تريد الظهور معها.

قال يوسف في دهشة:

- لا أفهم لما تلمحين ؟ ماذا كان يمكنني أن افعل جاءتني دعوة

من السفير الإسرائيلي في مصر ولم يكن مخطط لها من الأصل ولكن لقاء اقتصادي بحث يدعوني فيه للاستثمار في مجال الزراعة في إسرائيل ومنها إلي مصر . فماذا كنت أقول له لا مؤاخذه معي صديقة لابد أن تحضر هذا الاجتماع.

قالت راشيل منزعجة:

- ها أنت تسخر مني وتؤكد لي في نفس الوقت وجهة نظري لو كنت زوجتك لكنت معك بشكل طبيعي.

قال يوسف في غضب:

- لا طبعاً لما ستحضرين معي أنها ليست دعوة لعشاء عمل حتى اصطحبك معي ولو كنت زوجتي حقاً لما حضرت عشاء العمل ولبقيت في بيتي لرعاية أبناءي وتنتظريني في بيتك.

قالت راشيل وقد سيطر عليها الغضب:

- هل ستريدي جارية لك . أنا لست هذه الفتاة من المجتمعات العربية المتخلفة التي لا تعمل وتبقي لتخدم زوجها وأولادها وبمجرد ما يدخل الزوج تجري لتخلع عنه ملابساً وحذاءه وتغسل له قدمه.

قال يوسف محاولاً توضيح رأيه:

- لا أريد منك أي من هذا ولكن أيضاً لا أريد فتاه متحررة علي الطريقة الغربية.

قالت راشيل بحسم:

- أنا لست هذه الفتاه.

قال يوسف بحسم أيضاً:

- ولا أنا أيضاً هذا الرجل.

قالت راشيل في حزن:

- أي رجل يا يوسف.

قال يوسف مؤكدا:

- الرجل الذي يترك الحبل علي الغارب لزوجته ويمشي في ظلها ويكون كالخاتم تحركه كيف يشاء , وتسهر طوال الليل تضحك مع الرجال وتحسني الخمرور.

قالت راشيل بصوت متقطع:

- أنت تريد أن تتهرب مني يا يوسف لذلك تقول ما تقول.

قال يوسف بصوت هادئ:

- بل أنت التي نسيت يوسف.

قالت راشيل والدمع ينهمر من عينيها:

- بل أنت الذي نسيت حبك لراشيل واستمرت في تبكي.

احتضنتها سارة و قالت ليوسف لا داعي للنقاش الآن كفاكم ما حدث وتحدثوا في أمر آخر.

حاول يوشع أن يخرج عن هذا الموضوع وأخذ يتحدث

مع يوسف عن خطئه للمستقبل . كانت راشيل ترقب هذا وهي تنظر إلي يوسف والدمع في عينيها والقلق يملأ رأسها حتى تكاد تنفجر وكانت سارة تمسك بيدها لتهدئها.

كان يوسف أيضا ينظر إليها خلسة من حين لآخر لينظر حالها وقد هاله التغير الغريب في وجهها فقد جرفت دموعها تلال الزينة التي في عينيها وحولها وتركتها علي خدودها كالوحل وأصبحت عيناها كرة حمراء من النار تقذف كل دقيقة نظرات كأنها شظايا من النار علي يوسف. كان يوسف في حيرة من أمرها فهي عندما تكون سعيدة تشعر معها أنك في الجنة وحين تغضب تكون بالفعل في النار فقال في نفسه أنت حقا جنة ونار وقانا

الله شر جنتك و نارك . أنا مشفق علي من يكون زوجها . ثم قال  
لماذا ؟ لعله يكون نار فقط .

فتح يوسف باب الشرفة و نظر إلي خارجها فرأي مدينة تل  
أبيب بأكملها ووجدها مدينة جميلة في الليل ولكنه شعر بالغرابة  
فيها ولم يالفها.

دخلت إلي الغرفة متبخرة ووجدت كرسي مريح  
فجلست عليه مستعرضة أنوثتها ونظرت إلي يوسف فرأت نظرة  
الإعجاب في وجهه فابتسمت وشعرت بالثقة فأراحت ظهرها وقالت  
له هل أيقظتك يا يوسف؟.

قال يوسف في توتر:

- لا.... لا أنا لم أنم جيدا أصلا.

قالت له في أنوثة وهدوء

- لماذا لم تنم جيدا يا حبيبي؟.

فقال يوسف في توتر ملحوظ:

- لأني غيرت مكان نومي وأنا معتاد علي ذلك.

قالت وهي مستمرة في أظهر أنوثتها

- لقد جاءت لتناول الإفطار معك . هلا استبدلت ملابسك  
لنذهب سويا.

- سأستبدلها في الحمام.

قالت وهي تضحك

- هل تستحي مني ؟ لو كان الوضع معكوسا لما استحييت منك  
بل لأسعدني هذا.

نظر إليها نظرة حياء ممزوجة بتعجب من جرأتها وأخذ ملابسها  
ودخل الحمام وعاد بعد قليل فوجد راشيل تنام في السرير وقد

خلعت ملابسها الخارجية وبدت في قميص نوم لا يخفي شيئاً تقريباً وأخذت تغريه بجسدها الجميل الدافئ في جو الغرفة البارد وقالت وهي تتقلب في السرير وصوتها لا يكاد يسمع أريد أن أنام قليلاً فيا ليت نتناول الإفطار معاً في الغرفة.

ظل صامتا وجسده يرتجف ونفسه تدفعه إليها ولكنه يقاوم، فهمت راشيل ما يدور في نفسه فقامت من السرير وأقبلت عليه بلهفة المحب لا يستطيع أي رجل أي يقاومها حتى أمسكت بيده المرتعشة وأدخلت أناملها بين أنامله.

جرت رعشة في جسدها وجسده وهم أن يهرب منها ولكنها اقتربت منه أكثر ولمس جسدها الدافئ العاري جسده البارد. ازدادت رعشته فهي أول مرة مع فتاه وبهذه الأنوثة التي تغني عن الجمال وبجمال يغني عن الأنوثة.

احتضنته و وضعت قلبها علي قلبه وقالت له هل تسمع صوت قلبي انه يقول بحبك يا يوسف بحبك يا يوسف. ضعف واحتضنها هو الآخر والدمع في عينيه لأنه لا يستطيع المقاومة وانتظر برهان ربه.

شعرت بما في نفسه فقالت له أتظن نفسك يوسف بني إسرائيل هلم إلي الفراش ولا تسمع لسخافات القصص وعش هذه اللحظة التي لن تتكرر أبداً.

كان يعلم حقا انه ربما لن تتكرر لحظة رغبة بين رجل وامرأة مثل هذه ولكنه خاف لقاء ربه فحاول يائسا البعد عنها.

لم تعطي الفرصة وأخذت تقبله بعنف وتدخل جسدها داخل جسده وتمسك بيده وتضعها علي جسدها والذي بدا منها راسماً تماماً. لم يشعر إلا وسفارات الإنذار تدق وجرت راشيل إلي خارج الغرفة

وهي عارية بلا استحياء فقد كانت تخاف الموت بينما سقط هو علي الأرض لا يقدر علي الحركة ثم عادت سعيدة بنظرات الإطراء الذي ينظر بها الرجال ونظرة الغيرة التي تنظر بها النساء بعد فترة وقد اصفر وجهها وقالت له كان حريقا صغيرا كدت أموت من الخوف لقد ذهب دمي.

قال يوسف في استرخاء:

\_ لقد ذهب دمي أيضا نحمد ربنا علي ذلك فلنذهب للإفطار نظرت إليه متفحصة وقالت في مكر:

- نعم لنذهب للإفطار لتشحن طاقتك فقد بدا انك لا تملك من الأعصاب ولا أنا للحب.

قطع عليها يوسف خطتها هذه المرة منذ البداية وان كانت نفسه ترجو غير هذا فقالت له - سيبدو انك ستكون من الحار يديم قريب.

- حار يديم؟ تقصدين المتشددين؟ إنني لا أعرفهم حتى أكون معهم أو ضدهم وكل ما سمعت هو كلام فقط عنهم.

قالت راشيل

- لا تقلق ستتعرف عليهم إن عاجلا أو أجملا فهم في كل مكان وينشرون أفكارهم بين الناس والدولة ترعاهم وتساندهم. المهم هيا يا يوسف أننا سنتناول الإفطار معا في المطعم وعليك أن تذكر يا يوسف ألا تحاول خديعتي والبعد عني وقتها سأقتلك واقتل نفسي.

قال يوسف وهو ينظر إليها بتعمق:

- نعم أنت مجنونه وتفعلينا.

قالت راشيل بثقة وغرور:

- نعم أنا مجنونة وأفعلها.

في مطعم الفندق ابتسمت راشيل وقالت له أصدقاءك قد جاءوا نظر يوسف فوجد المتشددين من حوله فشرع بغثيان وقال لراشيل

- هلم نخرج من هنا يا راشيل.

قالت له وهي تبتسم:

- انتظر حتى أكمل إفطاري .

امسك يوسف بيدها فقالت له تعالي أعرفك عليهم وهي تضحك.

قال لها في حسم:

- لا أريد أن أتعرف علي أحد أريد فقط أن أخرج من هنا.

مشي يوسف سريعا و راشيل في عقبه ولكن أوقفها أحد المتشددين وقال لها:

- لماذا هذا التبرج والبهرجة يا أنستي ؟ عليك أن تتمسكي بزي دينك اليهودي.

قالت راشيل وهو تضحك بصوت عالي:

- دعك من هذا كفاكم كذب أنا أكثر تديننا منكم وأنتم كلكم كاذبون.

بصق الرجل علي الأرض فنظرت إليه راشيل وبصقت أيضا وأخذت تضحك

عاد يوسف مسرعا إليها وأمسك بها وأخذها من يدها ليخرج من هذا المكان ولكن راشيل نظرت إلي الرجل وقالت هذا خطيبي يوسف من أغني يهود العراق وغدا سيكون زوجي وستتوسل لي لأعطيك المال لتقتات منه أنت وأهلك.

سحبها يوسف بقوة وهي مازالت تتحدث له وتقول كذاب.

خرج يوسف و راشيل من الفندق وقال لها يوسف ماذا حدث؟  
- كنت في السابق يبصقون علي فأبكي ولكني اليوم أصبحت أقوي  
وأذكي إن هو بصق أنا أيضا ابصق.

قال يوسف في دهشة:

- أنا لا اصدق ما أري واسمع إسرائيل الدولة العلمانية المتمسكة  
بالتقاليد الغربية يحدث فيها هذا.

قالت راشيل في حسرة:

- مع الأسف نعم يا يوسف.

قال يوسف وقد زادت الدهشة علي وجهه:

- ولماذا تتركهم الدولة من غير حساب.

قالت راشيل في حزن:

- قلت لك أنها أيضا تدعمهم.

قال يوسف وقد ملأته الدهشة والحيرة:

- ولماذا؟.

قالت راشيل بهدوء:

- لأنها حضرت الجن ولكن لم تعد قادرة علي صرفة فاضطرت  
التعامل معه وتحمل أذيته.

قال يوسف وقد ارتسمت كل علامات التعجب علي وجهه:

- أنا لا أصدق.

قالت راشيل بارتياح:

- صدق وستري أكثر فهناك صديقة لي قد أخرجوا ابنتها التي لا  
تتجاوز الثامنة من العمر أكثر من مرة وبصقوا عليها ونعتوها  
بالعاهرة حتى لم تعد تقدر أن تذهب للمدرسة بمفردها رغم أن  
المدرسة تبعد خطوات فقط.

قال يوسف في نفسه هكذا المتشددون في كل أنحاء العالم كلا منهم بدلا من أن يحاسب نفسه ويرى عيوبها وذنوبه يظن أن الله أعطاه الحق في أن يحاسب الناس علي الأخطاء ويقول لهم لن تدخلوا الجنة والنار مثواكم كأنه جلس فوق العرش وبدأ يختار من يدخله الجنة ومن يدخله النار ونسي أن الله هو مالك الجنة والنار يدخل من يشاء في رحمته ويدخل من يشاء النار فهو الأعلم بقلوب الناس وإخلاصهم وليس يدخلهم بلحاهم إذا كانت قلوبهم قاسية وأمر من الصبر.

كيف يقولون أن هذا في الجنة وهذا في النار؟.

من أين جاؤوا بهذه الجرأة علي الله . أن احدهم ليرفض أن يتدخل أحد في شئونه وهو بكل قوه يقول أنا حر أفعل ما أشاء فكيف لهم أن يظنوا أنهم يستطيعون أن يتدخلوا في إرادة الله قاطعت راشيل أفكاره وقالت له أين تحب أن تذهب؟.

جلس معها ينظر للبحر حتى أنه فكر أن يتقرب من المتشددين لعلها تبعد عنه ولكنه قال أن نار راشيل أفضل مائة مرة من جنة هؤلاء وان اقتربت منهم لن يستطيع الابتعاد عنهم وأيضا لن تتركني راشيل بل علي العكس ربما ستنضم إليهم وتصبح أكثر تشددا منهم ومن قياداتهم النسائية فهي أمراه قوية.

كانت راشيل تتحدث إليه وهولا يسمع لها حتى أخرجت من حقيبتها زجاجة عطر ورشته علي وجهه فانتبه وقال لها - مالك يا راشيل ؟.

قالت راشيل متعجبة:

- مالك أنت يا يوسف! انك تسرح بعيدا عني وأمسكت برأسه

بين يديها وقالت ليتني اعرف ما تفكر به وتغير وجهها الجميل  
البريء إلي وجه قبيح.

قال يوسف وقد تملكه الحيرة والخوف:

- أنني قد غبت عنك دقيقة واحدة ففعلت هذا فكيف إن لم  
أسمعك عشر دقائق ماذا كنت ستفعلين بي؟.

قالت له راشيل بوجه يملئه الخبث

- لا سأجعلها لك مفاجأة فظل وجه متجهما و متحير من أمره.

عاد يوسف إلي الفندق واخذ يفكر في أفضل طريقة

للتعامل مع راشيل. وهدهاه تفكيره بتحبيدها مؤقتا قبل الاصطدام  
بها. فعليه أن يشعرها بأنه متعب ومحبط من وجوده في  
إسرائيل لعدم وجود عمل مناسب له أو مشروع خاص به حتى  
يشعر بالاستقرار وأنه يحب أن ينتقل لبيت يستقر فيه وعليه أن  
يعمل بعيدا عن تل أبيب حتى يكون بعيدا عنها لعله بذلك أن  
يتخلص منها.

في الصباح جاءته راشيل وقضت معه اليوم الأخير قبل

عودتها لعملها في اليوم التالي وقالت ليوسف

- ربما لن أقدر أن أراك غدا لأنه أول يوم بعد الأجازة فسيكون  
مرهق لي.

قال يوسف مخفيا سعادته:

- لا مشكلة علي حسب قدرتك.

قالت راشيل وهي تخفي حنقها:

- إني اشعر انك سعيدا بذلك.

قال يوسف في غضب:

- أنت تفكري في أمور بسيطة و تافه وأنا أفكر في أمور أكثر

أهمية منها بكثير أنا اشعر بالغرابة والإحباط.  
قالت راشيل بأنوثة:

- لو كنت معي ما شعرت بشيء من هذا.  
قال يوسف في نفسه لو كنت معك كنت سأشعر أني في النار ثم  
قال لها مستدركا:

- يا راشيل تحدثي بجدية فإنني أحب أن أجد بيت يشعري  
بالخصوصية وعدم الغربة وأريد أن اعمل حتى اشعر بالاطمئنان.  
قالت راشيل محاولة طمأنته:

- كلنا مررنا بهذا الإحساس عندما جننا إلي هنا حتى ونحن بين  
عائلتنا هذا أمر طبيعي المهم هو ما سيحدث بعد ذلك . ثق يا  
يوسف أنك ستحب إسرائيل جدا فهي بلد تستحق ذلك مهما  
كان فيها من عيوب ستشعر أن الشعب قوي ومع ذلك لا يطغي  
علي الحكومة والحكومة قوية لا تطغي علي الشعب كلا يعرف أن  
مصلحة الوطن بالتكاتف مهما كان سبب الاختلاف وليس كالعرب  
الذين يخلقون المشاكل البينية ليقتل بعضه بعضا لا تجد كذب  
ولا نصب ولا خداع إلا من عدد قليل علي رأسهم المتشددين  
وليس كالعرب الذي يكذب كل شخص علي الآخر بسب وبدون  
سبب.

ستجد كل شخص بعمل بإخلاص ويتقن عمله وإذا فشل أعاد  
سبب فشله إلي نفسه وليس إلي من حوله كما يفعل العرب.  
ستجد السياسي مهما كان منصفة يحترم القانون ويترك السلطة  
ويسلمها إلي غيره غير مستأثر بها لنفسه لأنه يعلم انه زائل  
أما وطنه فلا بد أن يستمر له ولأبنائه وأحفاده وليس كالعرب  
الذين يستأثرون بالسلطة لهم طوال حياتهم وإذا ماتوا أعطوها

لأولادهم.

مهما كان فساد مسئول من المنفعة والرشوة والعمولات فلن تزيد أبدا عن فساد موظف صغير في الدول العربية وفساد رئيس الوزراء مثلا إن وجد ومهما علي لن يزيد عن فساد رئيس مدينة صغيرة في الدول العربية.

إننا لا نملك دستورا مكتوبا ومع هذا يحترمه الجميع أما العرب فيضع الرئيس الدستور بنفسه و يكون هو أول الخارجون عليه . أنظر يا يوسف كم جامعة لنا في أفضل مائة جامعة في العالم وانظر كم جامعة عربية في أفضل ألف جامعة في العالم حتى البنوك أنظر أيضا على وضعها. إن الفرق كبير جدا يا يوسف كما بين السماء والأرض نحن نعمل بجد وإخلاص أما هم فلا.

هذا يا يوسف هو جوهر إسرائيل الدولة العلمانية وتعمل بجد بغير مزايدات في حب الوطن أو أظهار التدين لأن الوطنية و الدين يجب أن يقود الناس إلي الخير وليس الشر.

قال يوسف متعجبا

- صدقتي من أين جئت بكل هذه الحكمة يا راشيل؟!

قالت راشيل ضاحكة ومعجبة بنفسها

- من تجارب الحياة أنا عشت في العراق حيث الحديث عن القومية والوطنية والعروبة ثم لا تجد شيء علي ارض الواقع ولما جاءت إلي هنا وجدتهم اقل كلام وأكثر فعلا.

قال كشخص تائه ولكن ماذا سنفعل الآن أريد الاستقرار.

فقالت وهي تضع رأسه في صدرها:

- سأحاول أن أتدبر شيء لك في الأيام التالية وعليك أيضا بعمك العجوز وأولاده فهم قادرون علي إدخالك إلي المجتمع الإسرائيلي

بسهولة سواء السفر يديم أو أشكناز فهم يملكون علاقات ممتازة مع الكثيرين ولا بد أن تعرف أنه مجتمع رأسمالي وأن ثروتك لن تجعلك تشعر بأنك من السفر داين وستفتح لك كل الطرق وتستطيع أن تصادق الأغنياء من مختلف الأعراق بل حتى أن تتززز... ثم سكتت.

فقال مبتسما:

- حتى أنني أستطيع ماذا؟.

قالت راشيل وهي غاضبة وتحمل حقيبتها في يدها:

- تستطيع أن تفعل كل شيء وأخذت حقيبتها وانصرفت.

كانت راشيل تأتي إليه كل يوم بعد انتهاء عملها وتبقي معه حتى موعد نومها وكانت تحاول أن تبيت معه ولكنه كان يصددها دائما رغم إغراءاتها الشديدة والذي كشاب كان يحزن كثيرا عندما تفارقه ويندم انه لم يصغي إليها ولكن خوفه من الله وحبه ليلي كان الحامي.

بعد أن تناول إفطاره وهم بالخروج قابله الرجل الحار يدي الذي تشاجر مع راشيل فأوقفه. استجمع يوسف قوته وأصر أن يواجهه وألا يهرب منه حتى وان كان يثير اشمئزاه. قال له المتشدد يهوذا:

- أي لا أريدك أن تكون متضجر مما حدث معها فهي المخطئة.

قال يوسف وقد ظهر علي وجه علامات الدهشة:

- لماذا هي المخطئة؟.

قال المتشدد يهوذا بثقة:

- لأنها لا تلتزم بملابس اليهوديات المحتشمة وكذلك كانت عنيفة عندما نصحتها بذلك.

قد يوسف وهو يحرك رأسه غير موافق:

- ولكنك كنت عنيف جدا معها ولا يمكن أن يتقبل أحد النصح بهذه الطريقة.

قال المتشدد برضا تام عن فكره:

- هذا هو الصواب وعليها أن تفعله وبمجرد أن اخبرها بذلك علي أي وجه ولا يجب أن تكابر.

قال يوسف غاضبا:

- ولكنك بصقت عليها ونعتها بالعاهرة.

قال المتشدد متعجبا:

- وماذا في ذلك أن أريد لها الخير فعليها الانصياع . إننا شعب الله المختار وإذا عدنا إلي شريعتنا عاد الله إلينا وعدنا شعبه وهو ربنا وحدنا فهو ألهدنا نحن فقط وليس غيرنا. لذلك نحن سنجر الناس بكل طريقة علي أتباع تعاليم الله حتى يكون الرب إلهنا ويحارب معنا أعدائنا وينزل علينا المسيح الحق الذي يعلي كلمتنا علي الأمم كلها تلك الأمم الضالة وخاصة مصر التي عقد معها جهلاءنا العلمانيون اتفاقية سلام مخالفة لتعاليم الرب بأن نعادي هذا الشعب. إننا ننجب الكثير من الأبناء وسيأتي اليوم قريبا الذي يصبح لنا الكلمة العليا في إسرائيل وسنحكم نحن منفردين بدون أي ليبرالي أو علماني أو أي من التيارات الكافرة التي تحاربنا اليوم حتى أصبحت تعاملنا كما كان النازي يعامل اليهود. وعندما سنحكم إسرائيل سيرضي عنا الله ويأتينا المسيح الحق ونقيم مملكة الرب علي كل الأرض.

ذهب يوسف إلي السيارة التي انطلقت مسرعة

إلي بيت سيمش . ظل يفكر فيما قاله الحر يدي ومن ثقته

الغريبة بنفسه وفكره وثقته العجيبة من أنه مؤيد من الله وان الله هو الذي أعطاه السلطة لينفذ مشيئته و كأنه ليس بشرا يخطي ويصيب بل معصوم من الخطأ ولا يجرأ أحد علي أن يناقشه وان فعل مثل الآخرين فانه غير مخطأ فلماذا كل هذا الغرور وأين الخوف والرجاء؟.

فجاءه وجد نفسه يوسف في تورابورا فقال للسائق كيف وصلت إلي هنا؟.

قال له السائق لم تقل لي انك تريد أن تذهب لبيت شيمش؟.

قال يوسف نعم فلماذا أتيت بي إلي تورابورا؟.

ضحك السائق وقال له هذه هي بيت شيمس؟.

-ولكن ما بال النساء تلبس كما يلبس نساء طالبان؟.

قال السائق وهو يضحك هن نساء الحر يديم يرتدين نفس الملابس التي ترتدها نساء طالبان فعلا ونسميهم نساء طالبان ونسمي بيت شيمس أفغانستان ولكن تورابورا أفضل بكثير. كان يوسف متعجبا مما يري ويكاد لا يصدق نفسه.

وصل يوسف إلي المتجر واستقبله حزقيال

بالترحيب ولكن كان يوسف يشعر بالضيق من كثرة الحار يديم الذين يمرون أمام المتجر فقال له حزقيال كلنا تعجبنا أول ما جئنا هنا ولكن مع الوقت اعتدنا عليهم . وهم يطلبون أمور بسيطة لا تعني شيء إلا لمن يرفض تسلطهم وأفكارهم.

فقال يوسف

- صديقي يوشع قال لي انك مستعد أن اعمل معك أو أشاركك فأريد أن اعرف التفاصيل.

قال حزقيال في شيء من السخرية:

- عليك تحديد هدفك سواء كنت ستشاركني أو تعمل معي لأنه بناء علي ذلك سأستطيع أن أسهل عليك الأمور.

قال يوسف في ثقة:

- أنا لم اعمل من قبل تحت أمره أحد لأنني كنت مالك ملتجر كبير في العراق و وصلت من فترة قصيرة ولم احدد أهدافي ولكن في النهاية لا بد أن استثمر أموالني بنفسني ولكن بعد دراسة السوق والمجتمع لأنني لا أثق كثيرا في دراسات الجدوى التي تقوم بها الشركات .

قال حزقيال في ثقة:

- أنا اعرف عنك الكثير ولكن دراسات الجدوى في إسرائيل مهمة جدا ومفيدة وتعطيك معلومات ودراسات ممتازة وأنا شخصا اعتمدت علي احدي الشركات .

قال يوسف في هدوء:

- أنني أريد أن اطلع علي دراسة جدوى المشروع.

قال حزقيال في سخريه:

- هذا معناه انك ستشاركني.

قال يوسف بهدوء:

- لا بل أريد أن أخذ القرار الصحيح سواء هكذا أو هكذا.

قال حزقيال في غرور:

- يا سيد يوسف لا بد أن تحدد أهدافك أولا ودراسة الجدوى موجودة وتستطيع اطلاع عليها بمجرد أن تحدد أهدافك .

قال يوسف في هدوء:

- نعم سأفكر جيدا.

بينما هما علي ذلك إذ تغير وجه حزقيال وصدق نظره علي

الباب وصمت قليلا. تعجب من نظرة حزقيال ونظر إلي ما ينظر فرأي ثلاثة من الحريديم يدخلون إليهم. شعر يوسف بضيق نفس ولكنه كان قد اتخذ قرار ألا يهرب من أمامهم. دخلوا علي حزقيال وقال واحد منهم له بصرامة وثقة:

- نريد أن نتفحص البضائع التي عندك لنري إذا كان علي أي منها صور مخلة للآداب.

قال حزقيال في توتر ملحوظ:

- إن البضائع التي وصلت قليلة جدا وأنا تفحصتها بهدوء وليس عليها أي صور مخلة.

قال أحدهم وقد ملئه الغرور والغضب:

- نحن الذين نقرر وليس أنت.

قال حزقيال وقد ازداد توتره:

- ولكن ...

قال أحدهم بحنق:

- إما نفحصها بأنفسنا وإما لن يدخل عليك أحد هذا المتجر.

قال حزقيال قال في خوف:

- تفضلوا المتجر كله أمامكم وأخرج من جيبه مفتاح مخزن داخلي وأعطاه لهم وقال هذا مفتاح المخزن ولكن رجاء لا تؤذوا البضائع .

كان يوسف مندهشا مما يري ويسمع ولا يصدق وتذكر بعض أصدقاءه عندما كانوا يحكون عن الخليج وخاصة السعودية بان المطوعين يمنعون أي صور للنساء علي المنتجات وشعر بضيق نفس واستأذن مسرعا من حزقيال الذي هرول وراءه ممسكا بنسخة لدراسة الجدوى ويقول له

- خذ هذه النسخة لقد أعددتها لك وافحصها جيدا وفكر في الأمر ثم اتصل بي أو أنا من سيتصل بك.

قال يوسف وهو يغادر:

- أشكرك لا أظن أنني سأشارك.

قال حزقيال وقد أقرب منه وقد بدا الانكسار علي وجهه:

- فكر ومعك دراسة الجدوى ولا تجعل هذا الموقف التافه يؤثر عليك.

قال يوسف وإحساس الاختناق يزداد

- لا تعتمد علي يا حزقيال.

قال حزقيال متلهفا

- سأتصل بك بعد يومين . أظن أن هذا وقت كافي.

أدار السائق السيارة وانطلق مسرعا وكان كلما يبتعد عن مركز المدينة يشعر يوسف بالراحة حتى خرج منها وشعر أنه يتنفس جيدا . بدأ يوسف يسترجع ما حدث ويقول لماذا كل هذا التشدد ولماذا يشعرون أنهم أوصياء علي الناس؟. ليس هنالك أحد يمكنه أن يمنع الناس من الخطأ ولكن الخطأ أن نظن ذلك والأسوأ أن نظن أنه لا يجب أن تخطأ الناس إن المخطئ يشعر بان خطيئته تذله فيستغفر ربه واضعا خطيئته أمام عينه يدمع كلما ذكرها مع الخوف والرجاء.

أما من يريد أن يحاسب الناس سيعميه الشيطان عن عيوب نفسه وخطاياهم ويؤمن انه أفضل من الآخرين كإبليس الذي قال لله وهو الذي يخلق أنه خير من آدم لأنه مخلوق من نار وهو مخلوق من طين ناسيا أن الله هو الذي أمر ولا علاقة لأدم بالأمر وهو يفعل ما يشاء ولا يسأل . الغريب أن إبليس كان يظن

أن النار أفضل من الطين من قال له هذا؟ الله أم نفسه؟  
ومن قال أن الله أمر بالسجود لأدم الطين لما ليس لنفخه الله  
من روحه فيه؟.

و لما يظن من يؤدي الفرائض أنها أصبحت مقبولة عند الله  
وبناء عليه فهو من أهل الجنة.

أمر عجيب من قال أنها قبلت وان قبلت من قال أنها لا تحبط  
بعد ذلك.

هم يدعون أنهم أتقياء وان الله أمرهم بان يصلحوا العالم ولكنهم  
يعلمون أن الله لم يأمرهم بذلك بل الشيطان سول لهم هذا  
وتأمر مع أنفسهم السيئة علي أنفسهم فادعوا الباطل واعتبروها  
الحقيقة وظنوا أنهم علي الحق المبين جالسين فوق العرش بيدهم  
مفاتيح كل شيء يدخلون الجنة و النار بإرادتهم.

سبحان الله ما أسهل أن يضيع الإنسان نفسه ويخسر الدنيا  
والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

وجاءت في ذهنه فكرة ماذا لو صدق الحر يدي الذي قابلة في  
الفندق وحكم هؤلاء إسرائيل وتصادف أن حكم المتشددين في كل  
العالم في وقت واحد وكلا منهم يري الآخر كافرا ولا بد من التقرب  
إلي الله بقتله.

لا بد أن التصادم سيحدث ستكون النهاية القبيحة للعالم حيث أن  
الناس علي دين ملوكهم وهم يستطيعوا أن يشكلوا أفكار وميول  
العالم وخاصة أن العامة ينتظرون دائما من يوضح لهم الطريق  
ولكن للأسف لا أحد يوضح الطريق بل يسوقهم سوفا إلي ما  
يريد

وجد يوسف دراسة الجدوى في يديه فضحك و تذكر كيف كان

يتحدث حزقيال قبل وبعد قدوم الحار يديم لقد تغير تماما  
وأصبح متلهفا أن أشاركه تبدل الغرور انكسارا فقال ما أتفه  
الإنسان!.

## الفصل الثالث

ذهب يوسف حسب الموعد المحدد لبيت العجوز وقد ارتدي احدي بزلاته الجديدة من الماركات العالمية والعمود الراقية و وجه مبتسم يملئه الثقة والغني.  
سعد العجوز بيوسف الجديد المهندم وقال :

- له أنت اليوم بدأت تضع نفسك علي الطريق الحقيقي والسريع للنجاح هنا في إسرائيل فهو مجتمع طبقي يحترم ذوي الثروات الكبيرة. لذا اشترت أنا أيضا هذا البيت الجديد ليكون مكان لاستضافة صفوة المجتمع السياسي والاقتصادي بل والعسكري لأن هذه الروابط الاجتماعية ستفتح لي ولأبنائي الطريق للاستثمار الكبير في هذه البلاد ولذلك دعوتك الليلة لتستفيد معي من هذه العلاقات ولكن لا تتعجل في اتخاذ القرار.

قال يوسف بثقة:

- اطمئن جيدا يا عمي لقد اكتسبت خبرة كبيرة في الأيام القليلة الماضية من التعامل مع الآخرين ومن التفكير العميق مع النفس ومن أيضا البحث علي الإنترنت . لذلك فقد قررت أن أجد طريقي

بهدوء وبنظرة علمية ثاقبة وألا أعيش حياة اليهودي الشحيح حتى علي نفسه حتى أن بخله يضيع عليه المكاسب الكبيرة . بل سأعيش حياة اليهودي المنفتح علي الآخر الذي ينفق الدولار ولكنه يعرف كيف يعود إليه مضاعف فقال له العجوز وفي عينيه نظرة أعجاب:

- نضجت يا يوسف في الأيام الأخيرة ولو انك نجحت فيما تقول ربما تكون من أكبر رجال الأعمال في إسرائيل و ربما في العالم ولكن لا يأخذك الغرور إلي نهايتك.  
ابتسم يوسف وقال له:

- لا تخاف أنني مازلت علي يقين أنني لم أحقق شيء مما اصبوا إليه لذلك لن يكون هنالك غرور الآن.  
أقدم يوشع عليهما وقال لهما لماذا تجلسان منفردان كل الضيوف تريد التعرف عليكما ثم نظر إلي يوسف وقال له:  
- ما كل هذه الأناقة يا يوسف ستجعلني أغير منك ستجذب نظر كل فتيات الحفل إليك.  
قال يوسف وهو يضحك:

- لا تخاف أنني لست منشغل بهم اليوم.  
قال يوشع وهو يبتسم:  
- ربما هم ينشغلوا بك أكثر فالنساء يتعلقن أكثر بمن لا ينشغل بهم خاصة إذا كان وسيما أنيقا غنيا مثلك.  
ابتسم يوسف وقال لهما.  
- تعالي لنختلط بالضيوف.  
قال يوشع

- أنت هنا كأنك في سوق كبير به كل شيء ولكن الذكي هو ما

يأخذ ما يريد فقط

قال يوسف بهدوء

- نعم ثم أخذهم بعد ذلك بمفردهم في سلتي إلي بيتي  
أخذ يوسف يتعرف علي عدد كبير من الضيوف ولكنه كان يبحث  
عن أشخاص يعملون في الزراعة أو ضباط جيش. وكان ينظر من  
حين لآخر إلي سارة ابنة العجوز التي أصبحت تنظر إليه كأنها  
تعرفه من جديد وكان كلما نظر إليها وجدها تحديق فيه ولا  
ترفع نظرها عنه فتعجب منها فانه لم يشعر بها تنظر إليه من  
قبل باهتمام وهاهي الآن ترك من تقف معهم وتقترب منه  
وتقول له:

- لقد سعدت بحضورك اليوم يا يوسف لقد أعطيت للحفل روح  
جميلة.

نظر إليها يوسف متعجبا ثم قال لها بثقة:

- بل أنت اليوم جميلة الحفل.

سعدت سارة بما قاله وقالت له:

- لقد تغيرت يا يوسف .

ضحك يوسف قليلا ثم قال لها:

- أين تعملين الآن يا سارة؟.

قالت سارة بثقة:

- مركز أبحاث الطاقة النووية؟.

فقال يوسف متعجبا وسعيدا في وقت واحد:

- الطاقة النووية ؟ عجيب أننا لم نجلس ونتحدث معا من قبل.

قالت سارة وهي سعيدة:

- ولكنني علي يقين أننا سنجلس سويا كثيرا فيما بعد.

أقبلت روزا صديقة سارة عليهما وقالت لسارة بينما تنظر لـيوسف:  
- لم أراك مهتمة بأي من ضيوف الحفل مثل هذا الشاب الأنيق  
فمن هو؟.

التفت إليها سارة وقالت لها:

- هو يوسف صديق قديم جدا لي ولأسرتي ولكن احذري فصديقتك  
راشيل تحبه وأنت تعرفي من راشيل.

قالت سارة وهي تنظر ليوسف بعين مأكرة وبعمق كأنها تحاول  
أن تكتشف ما داخله:

- ليس المهم من تحبه ولكن المهم من يحب هو؟.

لم يجب يوسف علي السؤال وقال:

- سعدت برؤيتك يا روزا.

كانت سارة سعيدة انه لم يرد علي سؤالها وشعرت أنه لا يحب  
راشيل.

قالت روزا إنني اعمل مع أبي في مزرعته واحمل شهادة جامعية  
في مجال الزراعة

فقال يوسف سعيدا وأنا أيضا احمل نفس الشهادة وأفكر جيدا  
في الاستثمار في هذا المجال.

قالت سارة في سعادة:

- أنني سأكون سعيدة إذا قبلت زيارتنا في المزرعة.

قال يوسف متوددا:

- بل أنا سأكون سعيدا بهذا وخاصة أيضا أن أتعرف علي والدك.

غضبت سارة من هذا الحديث وقررت أن تنسحب بيوسف  
فقالت له تعالي لتري الحديقة الخليفة معي وأمسكت بيده

وجذبتة معها.

انصرف يوسف معها وهو يودع روزا بينما استمرت سارة في الإمساك به .

جلست سارة علي كرسي بالحديقة وطلبت من يوسف الجلوس في مقابلها أخذت تنظر ليوسف الشاب الوسيم ثم قالت له يا يوسف احذر من روزا .

أخذ هو يدقق النظر فيها فهي ليست كجمال راشيل أو روزا فكلاهما متضادين بين خمره اللون وبياضه بين الطول والقصر بين الملامح الأنثوية الطاغية والرقة المتناهية أم سارة فهي متوسطة في كل شيء لا يمكن وصفها بالجميلة ولا القبيحة وان كانت ثقافتها ووضعها الاجتماعي يعطيها جمال من نوع آخر فقال مستدركا لماذا؟.

قالت سارة:

- لأنها لا تفعل شيء بلا مقابل.

قال يوسف:

- كل ما أريده منها أن تعرفني علي والدها و أن ادخل مزرعتها واعرف منها طرق الزراعة وأنواع الزراعات ونوعية الأرض وغير هذا من أمور تتعلق بالعمل فقط فماذا ستريد مني؟.

صمتت سارة قليلا ثم قالت له:

- أنا حذرت وحسب ويجب عليك أن تعرف طريقك ولا بد أن تذكر أنها ليست من يهود العراق أو الشرق بل من يهود الغرب تحيي كما يحيي أهل الغرب ولا تعرف أي من تقاليدنا أو عاداتنا أو أخلاقنا وأنت كنت تنتقد راشيل في هذا فما بالك بروزا.

قال يوسف وهو يضحك:

- أنت تفكرين بعيدا جدا عما أفكر فيه وأنا لا أفكر حاليا إلا في

- مستقبلي فقط وأنت تعرفين انك عزيزة علي.  
 سعدت سارة بما سمعت ولكنه فجاءها بقوله ولن يكون هنالك  
 جديد بدون أن أطلعك عليه  
 حزنت سارة مما قاله يوسف ولكنها قالت علي الأقل أنه لم يقل  
 أسوء كلمة أنني اعتبرك أختي ثم قالت له ربما أنت تفكر هكذا  
 ولكنك لا تعرف فيما يفكر الآخر.  
 تعرف يوسف علي جنرال إسرائيلي يدعي بنيامين بن متى ولكنه  
 قرر أن تكون علاقته معه محدوده في البداية.  
 في السابعة صباح الثلاثاء مر عليها واصطحبها في سيارته  
 كانت روزا أعجبت بالسيارة فهنأته علي ذوقه الراقى وقالت له:  
 - يبدو انك تحب الراقى الرقيق الصغير.  
 - نعم يا روزا.  
 قالت بدهاء:  
 - في كل شيء ؟  
 قال يوسف وقد فهم ما ترمي إليه فقال مبتسما:  
 - ماذا تقصدين؟  
 قالت وهي تنظر إلي نفسها بعين متفحصة:  
 - أقصد حتى في النساء.  
 ابتسم يوسف وقال لها  
 - ما بال ذلك بذلك؟  
 - الإنسان يتقارب ذوقه في كل شيء.  
 قال يوسف وهو يبتسم  
 - ربما  
 - ولكنك تحب راشيل.

- راشيل رقيقة جدا.

قالت روزا وهي تنظر لجسدها بتمعن وسعيدة به:

- ولكنها ضخمة الجسد.

ضحك يوسف ضحكة عالية ثم قال:

- الأهم أن تكون روحها جميلة ملائمة لي وتضفي علي بيتها روح

جميلة ورونق خاص فروح الإنسان تعطي جمال أكثر بكثير من

جمال الجسد.

قالت في سخرية:

- هل تعتقد أن راشيل ستفعل ذلك؟

- لما تقحمين راشيل في كل شيء؟. أنا مهاجر جديد إلي هنا وكل ما

يهم الآن هو أن أنجح في حياتي العملية أولا ثم بعد ذلك أفكر

في الارتباط.

قالت متعجبة:

- أنت مازلت تفكر كالشركيين أولا تريد تأمين نفسك ثم ارتباط

عائلي بلا معني وأطفال وتأمين الحياة للأطفال و أيضا يفعل

الجيل الثاني مثل ذلك والثالث وهكذا وتظلوا دائما تحملون هم

أولادكم وتنسون أنفسكم .قل لي يا يوسف متى ستعيش أنت

حياتك أنت جئت للحياة لتعيش فيها لا لكي يعيش أبنائك.

قال يوسف مندهشا:

- كلامك يحتوي علي الكثير من الأنانية يا روزا.

- ليس أنانية ولكني مؤمنة أن أعيش حياتي ولا أجور علي نفسي

من أجل أي أحد.

قال يوسف متعجبا

- ولا زوجك وأولادك؟.

- لماذا تشعرني بأننا يجب أن نضحى . الحياة ليست تضحيات وحسب بل أوسع من ذلك بكثير فيها متع كثيرة.  
 - ومآسي أيضا كثيرة هذه هي الحياة بكل ما فيها من التضاد.  
 - التضاد يشعرنا بأهمية الآخر فلولا البرد ما شعرنا بأهمية الدفء ولولا الأحزان ما شعرنا بطعم السعادة ولا أهميتها.  
 - صدقتي.

قالت روزا وهي تبسم

- هناك مشكلة ربما كبيرة.

- مشكلة ما هي؟.

- لقد تجاوزنا المزرعة بكثير وسنضطر للعودة لمسافة كبيرة . لقد أخذنا الحديث لقد كان ممتعا حتى لو لم نتفق في الرأي.  
 - الحديث معك شيق وممتع ولكن ستواجهك مشكلة مع والدك.  
 - لا تقلق علي سأصرف.

وقفت روزا أمام المزرعة وأخذت تشرح ليوסף

حدود المزرعة وطرق الزراعة في المزرعة وعن نجاحات والدها في تهجين النباتات وأخذت تجيء وتروح أمام المزرعة حتى اقبل عليها والدها وسلم علي يوسف في ابتسامة هادئة وقال لروزا لماذا تأخرت؟.

- كنا نتفحص المزارع من حولنا ومزرعتنا من الخارج وكنا سنفحصها من الداخل . لقد اشتقت إليك كثيرا يا أبي.  
 قال والدها:

- دعك من شغل المصريين ويوسف هو ضيفي أنا وليس أنت أنت أنا سأصطحبه حيث شاء.

سار يوسف ببطء في المزرعة فلاحظ أمران

اغرب من بعضهما البعض فقد لاحظ أحدث التقنيات الزراعية في مزرعة ايزاك ولكن الأغرب هو وجود عدد من المصريين في المزرعة عرفهم من شكلهم وطريقة حديثهم.

انتبه يوسف للسيد ايزاك الذي قال له:

- أين كنت يا يوسف؟.

قال يوسف وهو ينظر إليه:

- معك ولكنني متعجب.

- من ماذا؟.

- من طرق الزراعة في إسرائيل.

- أننا نمتلك أعلي تكنولوجيا في العالم ونصدر لأوربا ودول متقدمة أخرى

- ولكن ما أعرفه هو إنكم تصدرون للدول العربية تقاوي تسبب دمار الأرض التي تزرع فيها وأيضا دمار صحة من يستهلكها.

- حكوماتهم تريد هذا.

قال يوسف متعجبا:

- حكوماتهم تريد هذا؟.

- نعم.

قال يوسف غير مصدق:

- مستحيل.

قال ايزاك واثقا:

- هي تعرف أن هذه التقاوي مضرّة للبيئة ومضرّة للصحة ومع هذا تقبل استيرادها.

- ربما لا تعلم.

- بل تعلم وتريد ذلك.

- ولماذا تريد ذلك؟.

- أنا لا أعلم ربما تريد إضعاف شعبها وإرهاقه ماديا وجسديا ثم ترمي الحمل علي إسرائيل رغم أنها هي المسئولة وتستطيع منع ذلك.

- مستحيل!.

قال ايزاك:

- ليس هنالك مستحيل في السياسة والاقتصاد فرجال الأعمال أيضا يتهافتوا علي هذه التقاوي لأن الشركات الإسرائيلية تعطيها لهم بسعر رخيص.

- أذا إسرائيل أيضا متورطة في الأمر.

قال حزقيال:

- أنا اعرض منتجي وأنت تقبل أو ترفض والأمر كله ليس شرا فهناك منتجات من التقاوي والمبيدات تكون جديدة ولكن المطلوب تجربتها فتباع لمصر مثلا ومنتظر النتائج.

قال يوسف غاضبا:

- فئران تجارب؟.

- لماذا تقبل الدول بهذا يمكنها أن ترفض؟.

قال يوسف واثقا:

- أنتم تضغطون عليه.

- دعك من كلامهم هم يريدوا أن يدمروا شعوبهم.

-أنتم تقولوا هذا وهم يقولوا عكس ذلك.

ابتسم حزقيال وقال:

- ستثبت الأيام أننا نحن نقول الحقيقة الغالبية في إسرائيل لا تريد معادة العرب خاصة مصر ولذلك يرفض البعض التعاون

الاقتصادي مع مصر لأنه دائماً يشوبه الفساد ويلقي علينا نحن اللوم ولا نريد أن نعادي الشعب المصري لأننا في الصورة السيئة دائماً و المتسببون دائماً في ضياع المصريين وبدلاً من أن تحاكم الدولة المفسدين تقف إلى جانبهم وتضعهم في خانة المستضعفين وتأخذ الأعلام معهم ليدافعوا عنهم إني أخاف من اليوم الذي سنصطدم بالمصريين ثانية وخاصة أن هذه المرة ستكون أراداه شعبية حقيقية وليس أرادة سياسية لا تعرف شيء عن نفسها وشعبها ولا أعداءها.

قال يوسف:

- عندما التقيت مع الحاريدم أصبحت متأكد أن التصادم قادم لا محالة فهم يرون عكس ما تري فمصر هي العدو الأول ولكن لماذا تخاف التصادم القادم رغم أن إسرائيل الأكثر تقدماً عسكرياً وعلمياً واقتصادياً وأكثر استقرار سياسي ودعم عالمي.

- لأن إرادة الشعوب لا يقدر عليها أحد وخاصة مع شعب مثل الشعب المصري فهو يملك القوة علي النصر ولكن حكامه دائماً يخافونه علي أنفسهم لذا يدمرونه ويحيدونه لأنهم يؤمنون أن الحرب مع العدو الخارجي ستكون أسهل بكثير من العدو

الداخلي

قال يوسف متعجباً:

- العدو الداخلي؟.

قال حزقيال:

- لا تنظر لكلمة عدو علي أنها غريبة فلا تنسي أن العسكر هم من يحكموا في النهاية وهم يستخدموا هذا اللفظ كثيراً العدو الداخلي وربما يظن البعض أنهم يقصدون الخونة ولكنهم حقيقة

يقصدون الشعب.

قال يوسف:

- أنت تجعل الصورة سوداء قاحلة وأنا عشت في مصر لفترة  
وليست الصورة كما تدعي.

قال حزقيال:

- ستعرف هذا مع الوقت ولتعرف الصورة الحقيقية بإبعادها لابد  
أن تنظر من خارجها. دعك من كلام عن القومية العربية وتذكر  
دائما ما أوصلت القومية العربية العراق وأنت كنت فيها لقد  
كانت الدول العربية وعلي رأسها الخليجية من اكبر المناصرين  
لأمريكا وحلفائها للتخلص من صدام نهائيا لأنهم يرونه خطرا  
علي عروشهم وهذا حقا فهو يدعي القومية العربية ليسيطر بها  
علي البلاد الأخرى وعلي خيرات الشعوب ولكنهم لا يخافون من  
أمريكا بهذا الشكل لأنهم يعرفون أنهم يطمعون في ثروتهم لذلك  
يمكن التفاوض معهم. أنظر إلي هؤلاء الشباب المصري يمكنك  
الاقتراب من منهم في فترة الراحة والتحدث معهم ولكن الآن  
تعال لي نزي المزرعة معا.

اصطحبه ايزاك إلي غرف بها تقاوي وامسك في يديه بعضا منها  
وأخذ يشتمها وقال ليوسف هذه تقاوي قمح ذو إنتاجية عالية  
وجودة ممتازة ومقاوم للأمراض آه يا يوسف لو نمتلك ارض مصر  
ومياها لكان الوضع غير الوضع.

ابتسم يوسف لأيزاك وقال له ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

كان وقت الغداء قد جاء فذهب يوسف إلي مجموعة من  
المصريين وطلب منهم أن يجلس معهم.

لم يرفض الشباب ولكنهم سألوه من أنت؟.

قال أنا يوسف شاب يهودي من العراق هاجرت حديثا لإسرائيل  
فمن انتم ومن أين؟.

قالوا نحن شباب من مصر.

قال يوسف لهم لماذا لا تعرفوني عليكم فردا فردا.

قال احدهم له ما الفرق إننا لن نتقابل فيما بعد وعلي العموم  
أنا أمجد وهؤلاء خالد وهاني وسعيد.

قال يوسف أهلا بكم منذ متى وانتم في إسرائيل؟.

قال امجد ثلاث سنوات.

قال له يوسف وما مؤهلك؟.

قال كلية زراعة دفعة خمسة وثمانين ظللت انتظر جواب القوي  
العاملة ولكنهم نسوني بجملة ما نسوا وظللت اعمل في وظائف  
مختلفة في تخصصي وخارج تخصصي وعملت في دولة خليجية  
أدوني فيه كثيرا بسبب نظام الكفيل واستهتار حكومتنا بأبنائها  
حتى قال لي صاحب العمل لن يقف أحد معك هنا سواء من  
بلدنا أو بلدكم فتركت العمل وعدت إلي مصر حتى أكرمني الله  
بالعمل هنا.

قال يوسف في تعجب لماذا كل هذا الحديث .

قال امجد مبتسما هو كلام أقوله دائما فالجميع يسألوني لماذا  
جئت للعمل في إسرائيل سواء اليهود أو المصريين أو أجهزة الأمن  
المصرية لقد اعتدت علي ذلك.

قال يوسف في تعجب:

- ولكن قلت أن الله مني عليك بذلك.

قال امجد:

- بالطبع أنا أتقاضي راتب ممتاز و أعمل في تخصصي في دولة

متقدمة تكنولوجيا في مجال الزراعة ثم إني لا اغضب إذا أذاني أحد اليهود لأني انتظر ذلك منهم أما في مصر أو الخليج فهذا يؤمني كثيرا فاني لا أومن بما يقوله البعض عن تحمل البهدة في بلدهم عن الخارج بل العكس هو الصحيح فالوطن هو المكان الذي يجب أن يشعر فيه الشخص بالأمان بكل معني الأمان.

- ولا تخاف منهم.

- لماذا أخاف؟.

- انك تتكلم بحرية عنهم.

- وما في ذلك هم معتادون علي ذلك ويتقبلون النقد أكثر من صاحب العمل في مصر أو الخليج فهو يعطي لنفسه صفات الصلاح وبالتالي لا يقبل أحد أن يقول له غير ذلك . أما هنا فهو لا يريد أن يكون صالحا بل رابحا.

قال يوسف:

- وأنت يا خالد ما قصتك؟.

قال خالد:

- مثل صديقي وأنا سعيد هنا لأن المصريين متحدون معا عكس ما يفعلوا في الدول الأخرى.

قال يوسف وهو ينظر لسعيد:

- وأنت يا سعيد.

قال سعيد:

- أنا أخذ معي كل مرة أسافر فيها إلي مصر بطيخة فيسألوني لماذا هذه البطيخة فأقول لهم نفسي أهلي يكلوا بطيخة من غير مرض. أنا سعيد أي أكل طعام جيد بلا أمراض في إسرائيل و أتمني أن يأكل أهلي مثل ذلك.

قال يوسف مشيرا لهاني:

- وأنت يا هاني.

قال هاني بنبرة حزينة:

- أنا تزوجت من فتاة فلسطينية من عرب ١٩٤٨ منذ أشهر ولكن الجميع في مصر يقول لي أنني تزوجت من إسرائيلية ومهما حاولت أن أوضح لهم الحقيقة بما فيها الجهات الأمنية لا يقبلون. لست افهم هل المخابرات المصرية ضد إسرائيل؟. فلماذا إذا رئسها يأتي شبهه يومي ويحتضنهم ويسلم عليهم أمام الناس ثم يريد أن يقنعنا أنهم أعداءه ونجد الطوب المصري يأتي لإسرائيل ولا أحد يتهم من يبيعهم تراب مصر بالخيانة وكذلك الحديد المصري الذي يباع لليهود بأقل من سعره في مصر وكذلك المنتجات المصرية في كل المجالات أليس هم خونة أم نحن فقط الخونة الذين جننا لنكتسب قوت يومنا بعد أن ضاقت بنا السبل ولماذا يضحكهم رئيس الدولة ويجالسهم كأنهم أكثر من أهلة بينما يعطينا نحن الوجه الجبس. إذا صادقتهم الدولة سموها سياسة وإذا عملنا نحن لكسب قوتنا سموها خيانة.

تركهم يوسف وسار وهو يتحدث يوسف لنفسه هل هذا الرجل محق في أن الحكومات العربية هي التي تريد تدمير شعبها؟. هل هؤلاء الشباب علي حق في العمل في إسرائيل؟ فمثلها مثل غيرها حتى الفلسطينين يعملون معهم؟ فلماذا محرم عليهم؟. هل الدول التي بينها عداوة عسكرية وسياسية لا يكون بينهم علاقات اقتصادية؟

هل فكرة الناصرية برفض قبول وجود إسرائيل حلا واقعيًا أم دفنا لرؤوسنا في الطين كما تفعل النعامة؟. هل الأديان تطالبنا

بمقاطعة الآخر تماما؟ إنني أريد أن أقف ولو علي حقيقة واحدة منطقية ابني عليها الباقي ولكن كل شيء اجتهادي وطني. أنهت روزا عملها وجاءت إلي يوسف الذي كان غارقا في أفكاره فوقفت أمامه قليلا ولكنه لم يشعر بها فوضعت يدها برفق علي شعره وملست عليه فانتبه يوسف ونظر إليها مبتسما وقال لها: - روزا! كيف حالك؟.

- بخير.... كيف أمضيت يومك اليوم في المزرعة؟.

- كان يوما جيدا ولكنني لم أراك.

قالت روزا ولكنني كنت أراك من شرفت مكتبي حتى جاكوب أيضا راءك.

يوسف مندهشا

- جاكوب؟ من جاكوب؟.

قالت روزا وهي تنظر اليه لتري ردة فعله

- جاكوب... صديق راشيل السابق أليس تعرفه؟.

تظاهر يوسف بأنه لا يعلم شيء عن الأمر وقال:

- أكان لراشيل صديق في إسرائيل؟.

- أنا أسفه لم أكن اعلم انك لا تعرف أرجوك لا تسئ فهمي

وأرجو أيضا ألا تغضب مني راشيل.

- أنا أسألك هل كان لراشيل صديق من قبل؟.

قالت روزا محاولا الخروج من الموقف:

- اسألها أنت يا يوسف ولا تضعني في مواجهة راشيل . أنا اعلم أن

هذا الأمر لن يمر معها علي خير فهي صديقتي من زمن طويل

واعرفها جيدا.

أعاد عليها يوسف السؤال ولكنها طلبت منه ألا يقحمها في الأمر

وطلبت منه أن يصطحبها في سيارته إلى بيتها. كان يوسف سعيدا أن روزا حدثته في الأمر فهو كان يعرف أن لراشيل قصة حب ولكن كان لا يريد أن يواجهها بها إلا بعد أن يخبره أحد بها .  
اصطحبها يوسف في سيارته وسألها عن المصريين وأوضاعهم و كفاءتهم في العمل فقالت له:

- هم يعملون جيدا مادام هنالك مبدأ الثواب والعقاب أو العصا والجزرة ولكن أعجب صفاتهم انك إذا فرضت عليهم عمل لا يريدون القيام به فإنهم لا يتصادمون معك ولكنهم يفعلونه بطريقة سيئة والغريب أيضا أن بعضهم معتز بكرامته جدا. وبعضهم علي العكس ولكنهم يستطيعون الابتكار والإبداع ويجدون حلول عملية غريبة ويغزلون برجل حمار كما يقولون.  
ضحك يوسف وقال لها:

- هم كذلك فقد عملوا معي ومع أبي في العراق من قبل وعرفتهم عندما سافرت أيضا إلى مصر وهو متمرسون في إفساد ما لا يريدون وخاصة من قاداتهم عندما يتركون أحلامهم وأمالهم وينغمسون هم في أحلامهم ونزواتهم فيفسد لهم الشعب أحلامهم كما أفسدوا هم أحلامهم وأمالهم.

ذهب يوسف إلى حفل في بيت العجوز ولاحظ أن سارة قد تغيرت كثيرا وأصبحت أكثر جمالا وأناقة وإشراقا وشبابا وقد تحدث معها لفترة طويلة ولكنه لاحظ أن روزا غير موجودة ولكنه لم يتعجب ولم يرد أن يسألها حتى لا تغضب ولكنها هي من سألت إن كان قابل أباهما؟.

قال يوسف:

- نعم مرتين.

قالت سارة:

- طبعا مع روزا؟.

قال يوسف موضحا وهو ينظر في غيناها ليقراً ما بهما:

- لا كانت تتركنا لعملها.

قالت في بعض الحنق:

- بالطبع كانت تذهب وتعود معك.

قال يوسف مبتسما:

- بالطبع.

قالت سارة وهي غير سعيدة:

- كنت متأكدة من ذلك

اقبل عليهم يوشع وقال له نريدك في اجتماع عمل ولكن ستلتقي

أبي منفردا في مكتبه.

قال يوسف في توتر:

- لقد نسيت عمي وسارة هي التي أنستني أنا أسف لا اعرف

ماذا سأقول له؟.

قال يوشع محاولا تهدئته:

- اهدأ هو مشغول في أمور كثيرة جدا ولن يلتفت إلي هذا الأمر

تعالى معي.

اقبل يوسف علي العجوز في مكتبة الذي قال له في سعادة:

- شغلتك سارة عني يا يوسف.

قال يوسف في خجل:

- اعذرني فالحديث كان شيقا.

قال العجوز والفرحة في عينيه:

- دعك من هذا فهالك أمر مهم جدا. هل سمعت عن مشروع

خط الغاز الطبيعي من مصر إلى إسرائيل.

قال يوسف غير مكترث:

- قليلا.

قال العجوز في سعادة وفخر:

- سنكون شركاء في شركة الغاز وبدأنا ننشأ شركة مقاولات ستتولى

من الباطن بعض أعمال لأنشآت الخاصة بالمشروع.

قال يوسف والغيط يملئه:

- مبروك عليكم.

ابتسم العجوز وقال:

- تقصد علينا ألسنا كنا متفقين أن نعمل سويا في إسرائيل؟.

قال يوسف بحنق:

- لنكن شركاء في مشاريع أخرى أما هذه فلا.

قال العجوز متحيرا:

- لماذا انك لن تربح في حياتك مثلما ستربح في هذه الصفقة

ملايين الملايين يا يوسف شيء لا يصدقه عقل.

قال يوسف في غيظ:

- نعم كل شيء أصبح لا يصدقه عقل.

تعجب العجوز وقال:

- مالك؟ لست يوسف الذي اعرفه دائما متطلع إلي العمل والربح!.

صمت يوسف قليلا ثم استدرك قائلا:

- انك تتحدث عن الربح الكثير دائما فلماذا؟.

قال العجوز في نشوة:

- لأن الشركة ستشتري الغاز بأقل بكثير من سعره العالمي ولمدة

عشرون عاما بسعر ثابت مهما ارتفع سعره.

- وماذا إن اعترض شعب مصر.

قال العجوز:

- الشعب لا يعرف أصلا بهذه الصفقة حتى إن عرف ستظل حكومته تنكر أولا أنها تبيع الغاز لإسرائيل وإذا كان لابد أن تعترف فستقول للمشروع جدوى اقتصادية ثم إذا عرف السعر الحقيقي فستقول إن للمشروع جدوى سياسيه في جعل إسرائيل تعتمد علي الغاز المصري وبالتالي السلام الدائم مع إسرائيل.

قال يوسف في غضب

- وإذا ثار الشعب علي حكامه ما هو الوضع.

قال العجوز ساخرا:

- أي شعب؟.

قال يوسف:

- شعب مصر أليس مثل الشعوب؟.

قال العجوز وهو يطمأنه:

- مالنا بذلك هو اتفاق ملزم بشروط جزائية و إذا خالفوا المعاهدة لجأنا إلي التحكيم الدولي الذي سيحكم لنا أولا لبنود العقد وثانيا لقوتنا وقوة من سيمثلنا أم هم فالعقد ليس في صالحهم وسيمثلهم أناس لا يفقهون شيء في المعاهدات ولا في القانون الدولي كالعادة.

لقد أصيب يوسف بالخرس لا يريد أن يتكلم

ولا حتى يسمع وشعر انه تجمد في مكانه حتى انه كان لا يستطيع أن يحرك أطرافه وكانت رأسه تغلي تكاد تنفجر ولم يعد حتى سعيدا بان يكون النسيم من مصر خوفا أن يختلط بزفير الخونة واللصوص في مصر وقال هل تستحقي كل ما فعله بك أبناءك .

إنهم فعلوا ما لم يفعله الحكام الأجانب علي مدي العصور وأساءه من أي احتلال . ماذا فعلت وماذا فعل أبناءك حتى يستحقوا كل هذا العقاب ؟ أناس من أبناءك اقسي قلبا عليك من الاستعمار. في الحفل الأول الذي أقامه يوسف في بيته كان يخطط جيدا للتعرف علي عدد كبير من الأشخاص وكان قد أصر علي دعوة ثلاثة من أصحاب المزارع الكبيرة .

عزرا كوهين يهودي مصري يمتلك عدد كبير من المزارع في شمال وجنوب إسرائيل ويمتلك أسهم في شركة ناتشورال هي المسئولة عن تصدير التقنيات والمبيدات والتقاوي للدول العربية وخاصة مصر.

شاؤول جولدمان يهودي ديمقراطي يمتلك أراضي كبيرة وشريك أيضا في الشركة

جاكوب إسرائيل يهودي بريطاني موظف كبير في وزارة الزراعة الإسرائيلية وابنه هاتزل مهندس زراعي ويمتلك مزرعة كبيرة في جنوب إسرائيل وشريك من الباطن في الشركة.

تجاذب يوسف أطراف الحديث معهم وانضم إليهم السيد ايزاك والد روزا وكان يوسف سعيدا بالحديث معهم و أيضا لأنهم قد جنبوه التصادم مع سارة أو روزا فقد كانت كلتهما قد حضرتا الحفل فقد كان مقتنعا أن التصادم لا بد من حدوثه.

كان حديث يوسف الرئيسي معهم أنه يريد أن يستثمر جزء من ثروته في الزراعة . تحمس له كوهين واقترح عليه أن تكون في جنوب إسرائيل آملا في أن يصل ماء النيل إليهم بعد وصول الغاز الطبيعي.

ظنها يوسف مزحة في البداية ولكن كوهين أكد له

أن مشروع ترعة السلام كان إسرائيليا في الأصل وانه علي يقين أن الحكومة المصرية لن تمنح في توفير المياه لإسرائيل خاصة إذا استطاعت إسرائيل أن تقوي استثماراتها في دول حوض النيل و مساعدة هذه الدول علي إقامة السدود علي مجري النهر وبالتالي سيكون لإسرائيل قوة حقيقية في هذه الدول وتستطيع الضغط عليهم للضغط علي مصر لمصلحتها.

قال يوسف متعجبا لا أظن مصر ستترك الأمور هكذا وخاصة أن مصر تجمعها بهذه الدول علاقات قوية وتاريخية.

ضحك كوهين وقال أي علاقات لا علاقة نهائيا كلها أغلقت مع حادث أديس أبابا من هذه الحادثة وعلاقات مصر مع السودان ذو المصلحة المشتركة مع مصر كدول مصب سيئة جدا فقد أتهمتها مصر بتدبير هذه الحادثة ومصر غير متواجدة في إثيوبيا نهائيا وهي المصدر الرئيسي للمياه وخاصة بعدما دعمت مصر انفصال اريتريا.

- غريبة معلوماتك يا سيد كوهين!.

- لأنك لست مصري فبالتالي غير متابع لما يحدث في مصر وحولها ولكن بما انك أصبحت في إسرائيل وتريد أن تكون مستثمر ناجح في بلدك فعليك العلم أن كل صغيرة وكبيرة في مصر تؤثر سلبا أو إيجابا علي إسرائيل.

- لهذه الدرجة مصر مهمة؟.

- وأكثر من ذلك أنا عشت فيها نصف عمري والنصف الآخر في إسرائيل وقد أصبحت متأكدا أن مصر أهم بكثير مما يظنه المصريين و الإسرائيليين معا.

لذلك كان السلام مع مصر مهما جدا لتحيدها وها أنا نفس

الشخص الذي خرج مصر مطرودا قد عدت إليها مرفوع الرأس ودخلتها دخول الفاتحين ويكاد تحملني الحكومة ومن والهنا علي رؤؤسهم وأقيم في اكبر واعرق الفنادق علي حسابهم مدعوا للاستثمار فيها. قال شاؤول دعوكم من هذا كله مالنا و مصر دعونا في مصالحنا غدا يا كوهين لابد أن توافق في اجتماع مجلس الإدارة علي صفقة المبيدات إلي مصر.

ضحك كوهين ونظر ليوسف أم اقل لك كل شيء يخص مصر مهم جدا هذا شاؤول يقول دعوكم من مصر ثم يقول تعالوا نبحت الصفقة مع مصر هذه هي مصر.

ضحك شاؤول وقال لكوهين لا تتهرب مما قلت لابد أن توافق.

قال كوهين:

- أنا لا اهرب ولكني لا أوافق.

قال شاؤول:

- عليك أن توافق هذه صفقة مربحة جدا.

قال كوهين محاولا التهرب من الأمر:

- ولكنها مسببة للسرطان.

قال شاؤول وهو يضحك:

- كل ما نصدره لمصر يسبب الأمراض لماذا هذه الصفقة؟.

قال كوهين:

- ما صدرناه من قبل كانت نوعيات جديدة قد تدمر أو لا لم

نكن نعرف تأثيراتها ولكننا الآن نعرف أنها مسرطنة لا محالة.

قال شاؤول في سخرية وتعجب:

- يا رجل هل أنت احرص من حكوماتهم؟.

قال كوهين:

- صدقني اليهود أنفسهم سيتضررون فنحن اقرب بلد إلي مصر ستنتشر المبيدات حتى تصل إلينا وخاصة من سيناء وكذلك كثير من اليهود ينزلون إلي مصر للسياحة و سياكلون منها بل وبعض اليهود ينزلون إلي مصر وخاصة القريبين للحدود لشراء المنتجات الزراعية ويعودون سريعا إلي إسرائيل. أنت عانيت من قبل من السرطان وتعرف كم هو مؤلم ومكلف علاجه.  
قال شاؤول:

- هذا صحيح لقد أصبت بالمرض من غير مبيدات وقد شفيت هذه أهم صفقة وأكثرها إرباحا ولا بد من انجازها أليس حكامهم لا يأكلون إلا أجود الأطعمة ومع هذا يصابون بالمرض إذا ليس للمرض سبب هو قدر وليس للمبيدات أي سبب كله كلام في كلام بلا أدلة الربح هو المهم.  
كان يوسف في كل هذا في حالة من الذهول لا يصدق ما يسمع ويرى

ماذا يقولون ؟ هل صحة الناس لعبة لهذه الدرجة كل المهم فيها هو الربح ألا يخافون من انتقام الله ؟.  
إنهم حتى لا يفهمون انتقامه ها هم يصبهم أخبث الأمراض ولا يريد أي منهم أن يصدق أنها انتقام من الله علي ما فعلوه بالناس.

ماذا يفعل الله بهم أكثر من ذلك حتى يشعروا بذنوبهم سواء كانوا في مصر أو في إسرائيل؟.

إنني أكاد اجزم انه لم يدر في مصر حوار مثل هذا قبل توقيع الصفقة

يوسف أصبح يشعر بالغربة ليست غربة المكان ولا

الزمان ولكن غربة من نوع خاص غربة تشعر فيها انك غريب بين غير البشر أو بالأصح بين البشر علي صورتهم الحقيقية والتي تشبه لحد كبير الشياطين . بل أسوء من هذا لأن الشياطين لا يقتل بعضهم بعضا بهذه الطريقة ولم يستطع أن يمسك نفسه فقد أخرج كل ما بداخلة وتمني أن تخرج روحه معها حتى يستريح مما هو فيه مما يسمع ويرى كل دقيقة.

أي بشر هذا؟

أي قذارة هذه؟

ماذا يريدون؟

تدمير العالم.

يا ويل الأرض مما عليها.

سافر إلي القاهرة كمحطة ترانزيت وهو في الطائرة وأثر حالته النفسية السيئة التي عايشها في إسرائيل بدء تذكر كل شيء عن العملية ١٣١٣١٣ وهو أكثر الأرقام نحسا في العالم كان هو رقمه ورقم العملية لدى جهاز المخابرات المصرية مما جعله مع غرابة المهمة علي يقين من أنها ستبوء بالفشل لا محالة. فكل شيء عن المهمة كان يكتنفه الغموض فهو لا يعرف لما اختاره بالتحديد لهذه المهمة .

حاول أن يتذكر البداية ولكنها تداخلت مع بعضها البعض فلا يدري كيف يتذكرها علي وجهها الصحيح فهو لا يدري أين ومتى بدأت علاقته بالمخابرات المصرية أو بالأحرى علاقة المخابرات به. فمن باحث صغير في مجمع البحوث الزراعية يكاد أن يكون بلا أجر مع عمله في المساء في سوبر ماركت إلي موافقة علي بعثة في ألمانيا ليجري أبحاثه العلمية علي المزرعة المتكاملة, تلك المزرعة

المنتجة لكل ما تحتاج ولا تستهلك طاقة بل تنتج فهي من حيث المبدأ يبذل العاملون فيها مجهودا بدنيا متناسقا ليكون بجسم قوي وصحي ويكون هذا المجهود البدني تحت إشراف طبي ورياضي بحيث لا يحتاج أي عامل فيها لعب الأنواع المختلفة من الرياضة بعد العمل ويؤديها بالشكل الصحيح مما يوفر جزء من الطاقة ومن ناحية أخرى تنتج الطاقة من مخلفات الحيوانات و النباتات بالطرق البيولوجية مع استخدام الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وحتى حركة المياه بمولدات مختلفة القدرة. كان هذا المشروع هو حلم حياته فراسل عدد من الجامعات في الخارج والداخل حتى وافقت جامعة ألمانية علي المشروع.

بينما هو في قمة فرحه وبإلحاح من أمه قدم في مسابقة للتعينين في وزارة الزراعة مع علمه أن من تم تعينه قد تم تعينه من قبل الإعلان عن المسابقة ولكنه أرضى أمه وان كان ندم كثيرا علي ذلك. يتذكر جيدا الآن محسن يوم تقديمه في المسابقة حيث خرج من عمله متأخرا يجر قدم للإمام والأخرى للخلف وركب أتوبيس أخذ السائق يقف كل شهر ليركب واحد أو أكثر متجاهلا تماما محطات الوقوف الرسمية وعندما دب شجار بينهما للوقوف في المحطات المخصصة وحاول الكمثري التدخل بينهما ولم يفلح في ذلك قال له محسن أن راتبه من جيبه وجيب الناس فجن جنون السائق وأعتبرها مزحة مؤكدا أن راتبه من الحكومة وليس من الشعب كأن للحكومة مصادر للدخل غير هذا الشعب حتى وصل قبل الموعد بدقائق معدودة وعندما دخل لمقر التقديم وجد الشباك عليه ثلاثة واقفون وعندما وصل للشباك مسرعا قام موظف يدعي ثروت بنهيه عن الوقوف في الشباك رغم أن الساعة

لم تتجاوز الخامسة حتى خرج من الصف لولا أحد الأشخاص الواقفون في الصف والذي جرى ورآه ليعيده للصف بعدما نهى المدير ثروت عن ذلك وطلب من محسن العودة لمكانه. كان هذا الشخص هو الضابط محمود والذي عرف نفسه باسم مدحت حيث أصبح من هذه اللحظة الصديق المقرب له. كان محسن علي يقين من أنها تمثيلية بين مدير المكان والموظف ثروت ولكنه سيعلم بعد ذلك أن الأمور كانت غير ما يظن نهائياً.

كانت المفجأة هو تعيينه في هذه الوظيفة فعندما اتصلت به أمه لتخبره بوصول خطاب التعيين وهي تبكي وتضحك في أن واحد وقف هو لدقائق لا يصدق ما حدث ثم قفز في الهواء سعيداً مهلاً وهو يضحك حتى دخل جيران السوبر الماركت ووقفوا مع الزبائن كلا يريد أن يعرف ماذا حدث بالضبط وكلا يغني علي ليلاه فمنهم من يقول كم أصبحت نتيجة المباراة والأخر يقول هل سيدعمون الفياجرا؟ أما الثالث فيقول هل سيوفرون أنابيب البوتاجاز؟ وغير ذلك ليقطع عليهم أحلامهم ويقول لهم أنا أتعيينت في الحكومة ليخرج الجميع منهم من لا يصدق ويظنه مجنوناً ومنهم من لم يهتم لما يشغل فكره ومنهم من هنأه وخرج مسرعاً ليفكر فيما هو مهم عنده. بقدر ما كان سعيداً بهذا الأمر بقدر ما كان متعجباً ففي هذه الأيام لا ينال أحد وظيفة خاصة بمميزات أو حتى بلا مميزات بدون وساطة أو رشوة أو يكون مخبراً لأمن الدولة يتم تعيينه ليصبح عيناً من جهة ويبدأ لهم من جهة أخرى. أصبح عليه الآن أن يقرر بين البعثة أو الوظيفة. هو كمصري ستكون الوظيفة بالطبع لها وضع خاص فالمثل يقول إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه ولكن كشخص طموح

فان للسفر فوائد عديدة ونجاحه في بحثه سيفتح عليه خيرات كثيرة. حسم الأمر تأخر البعثة لألمانيا مما يعني أنه يمكنه استلام العمل الحكومي ثم السفر لألمانيا فيما بعد.

في الصباح تجهز محسن وانتظر السيارة التي وصلت حسب الموعد ثم سلم على أهلة ونزل إلى السيارة وأمة تدعو له وانطلقت إلى الشرفة نظرت إلى ابنها وهو يركب السيارة فشعرت بالسعادة والفخر.

استقل محسن السيارة ومرت السيارة بعدد كبير من الإشارات والاختناقات المرورية ثم وصلت الطريق الصحراوي حتى اقتربت من المزرعة ورأى محسن المزرعة جميلة ففتح النافذة على آخرها وأخذ يستنشق الهواء والسعادة تملأ وجهه حتى قطعت رائحة المبيدات هذه السعادة وأعادته إلى وضعة الطبيعي.

نزل محسن من السيارة وأصطحبه أحد العاملين إلي مقر أقامته فوضع حقائبه ثم سار مع هذا الشخص إلي مكتب مدير المزرعة. كان السيد خالد في انتظاره وعندما دخل عليه قام وسلم عليه وقال إبراهيم حلمي مدير المزرعة . رحب به إبراهيم واحتسي معه الشاي ثم اصطحبه في جولة حول المزرعة وقال له هذه مزرعة تجريبية وقد أعجبنا بموضوع رسالتك عن المكافحة البيولوجية للآفات والمزرعة أمامك أرنا همتك يا باش مهندس. استكمل محسن الجولة مع السيد إبراهيم ورأى جمال المزرعة وحسن تنسيقها وأعجب بها وقال في نفسه لا ينقصها لتكون الجنة إلا استبعاد المبيدات وضحك في نفسه وقال لا والوجه الحسن أيضا.

نظر إليه المهندس إبراهيم وقال له سيتسلم المهندس مدحت

عمله غدا في المزرعة في قسم الإنتاج الحيواني. سعد محسن من كلمة باش مهندس فهو لم يسمعها من زمن بعيد و شعر أن الدنيا تبتسم له ولكنه كغيره من المصريين يخشي ما بعد الابتسامة ولكنه قال في نفسه لأعش اليوم وغدا علي الله .

استمر محسن يتنقل بين الحدائق الجميلة الغناء وهو يحلم أن يحولها إلي جنة بكل ما تحمله الكلمة من معاني واخذ يفكر لو أنه تعاون مع زميلة مدحت فأصبحت الأسمدة حيوية بدلا من كيميائية وكيف لو استطاعوا بالتعاون مع مهندسين ومختصين لإنتاج الطاقة من مصادر طبيعية كالطاقة الشمسية أو جريان الماء أو طاقة الرياح وحتى المفاعلات البيولوجية التي تستخدم روث البهائم والأوراق المتساقطة وقش الأرز وغيرها من البقايا النباتية مع البكتريا لإنتاج الغاز الطبيعي الميثان كما في دول أخرى مثل الهند وهل من الممكن مزج هذه الأنواع كلها أو بعضها للحصول علي طاقة كافية طوال العام وكان يفكر أن كل هذا لا بد من أن يكون قليل الكلفة وذو عائد اقتصادي حقيقي لتصبح المزرعة مثلا يحتذي به.

في الصباح انتظر السيد إبراهيم محسن ولكنه تأخر وظلت الأفكار تراود إبراهيم . هل محسن لا يحترم مواعيده؟ ولكن كل التقارير أكدت غير ذلك . ومن أول يوم وحتى لم يكلف نفسه أن يلتزم في الأيام الأولى ليعطي انطباع جيد عنه أمام رؤساءه . وقال في نفسه هل كانت التقارير مخطئة؟.

قطع كل هذا محسن ويدق الباب ويدخل وهو حامل أوراق متناثرة بين يديه فتجهم وجه إبراهيم وقال:

- أين كنت يا بيه؟.

تعجب محسن وقال:

- في الشغل يافندم فأين سأكون؟.

قال إبراهيم متجهما:

- لقد استيقظت الآن وجهك يوحي بذلك.

قال محسن وهو يبتسم:

- تقصد يافندم أن وجهي يوحي بأني لم أنم أنا من الساعة السادسة بألف في المزرعة وجهزت بشكل مبدئي خطة لتطوير المزرعة واتييت لأعرضها علي حضرتك.

تغير وجه إبراهيم وتغيرت نبرته وقال لمحسن في خجل

- لما لم تمر علي قبل العمل يا بني لأعرف أنك بدأت ؟ .

قال محسن:

- أنا لا أعرف النظام هنا و أنا أبيت هنا فأين سأذهب؟. وقال في نفسه بدأنا شغل الحكومة النفاق الاجتماعي وشغل الكذب والتظاهر بالإخلاص للمدير وللشغل والمدير من الواضح أنه من النوع الذي يحب النفاق والكلام فقط وليس العمل حتى انه لم يفكر في معرفة محتويات الورق الذي معي.

لاحظ إبراهيم ما علي وجه محسن فقال له:

- أنا مدير غير روتيني ولكنك جديد كما يقولوا أسمك بالقلم

الرصاص ولايد أن تثبت كفاءتك .ارني ما عندك ؟

نثر محسن أوراقه علي مكتب السيد إبراهيم و بدأ يشرح خطته المبدئية وحاول السيد إبراهيم أن يتظاهر بالاهتمام ولكن مع قدرة محسن علي جذب الانتباه وشرحه المبسط وأفكاره القيمة العميقة اندمج إبراهيم معه فعلا وسعد بأن في مصر شباب علي

هذا المستوي من العلم والذكاء و كيف يتحدث عن تكامل فريق عمل وليس بمفردة للوصول إلي المزرعة المثالية . فأعجب بمحسن وقدراته وقال في نفسه يجب استغلال محسن وأمثاله في بناء الوطن بدلا من تدميرهم لابد أن يكون مشروع حقيقي وليس حبرا علي ورق.

سعد محسن باهتمام السيد إبراهيم بالمشروع وتمني أن يتم تنفيذ علي أكمل وجه لذا سأل عن زميله مدحت فقال له أنه جاء باكرا وذهب مع أحد المهندسين لاستلام عمله وهو الآن معه وسيأتي بعد ذلك للقاء مرة أخرى . انتظر محسن قدوم مدحت ليناقدش معه أفكاره لعله يجد عنده نفس الحماسة.

بعد قليل جاء مدحت(الضابط محمود) إلي مكتب السيد إبراهيم وتظاهر بأنه تعجب من وجود محسن في الغرفة فسلم عليه بحرارة وقال له الحمد لله بقينا مع بعض في الشغل فقال السيد إبراهيم و عامل حسابك معه في المشروع .

فقال مدحت متعجبا:

- مشروع ... أية مشروع ؟

قال ابراهيم:

- محسن عامل مشروع لجعل المزرعة نموذجية وصديقة للبيئة ومنتجة لطاقة نظيفة.

- معقول وبهذه السرعة بالراحة سيكون شكلي سيء أمام الإدارة.

ابتسم محسن لا تخف أنت معي في المشروع.

- الحمد لله ممكن يا فندم اعرف تفاصيل المشروع من محسن؟.

- طبعا ناقشوه مع بعض في المكتب المجاور.

انتقل محسن ومدحت إلي الغرفة المجاورة وبدأ محسن يشرح

المشروع وكان معجبا جدا بالفكرة وقال في نفسه الحمد لله مصر مازالت بخير طالما بها شباب مثل هذا ولكن للأسف مصير هذا المشروع الإدراج والقمامة . وقال لمحسن أوعدك أي سأبذل قصارى جهدي وأشكرك أنك قلت مشروعنا.

ارتبط محسن ومدحت بصداقة متينة وكانت تزداد يوم بعد يوم وقد بذلا مجهودا كبيرا في المشروع وكانت حماستهم للمشروع تزداد يوم بعد يوم رغم إحساسهما أن حماسة السيد إبراهيم تقل يوم بعد يوم ومع ذلك استمرا في المشروع.

كان مدحت يحب أن يقترب شيء فشيء من محسن ويعرف كل كبيرة وصغيرة عنه وعن عائلته . وكان أهم شيء أن يبحث عن مدخل جيد للحديث معه عن المهمة وأي الطرق هي أفضل الصدمة أم خطوة بخطوة. ووضع مدحت تحت عدة اختبارات فكانت الصدمة هي أفضل الطرق.

تذكر أيضا كيف بدء العمل مع المخابرات المصرية فحين عاد من إحدى الأجازات سعيدا بما وصل إليه في مشروعه مستبشرا بالغد وخائف أيضا من تبدل الحال قابله مدحت بوجه متوتر قائلا له المهندس إبراهيم يريدنا علي انفراد . دار في خلدته كل شيء إلا أن يكون تجنيده للعمل مع المخابرات. وعندما وصل إلي المزرعة وجد مدحت في انتظاره وقال له حمدا لله علي السلامة يا محسن

استمر الصمت لفترة قصيرة قال بعدها محسن:

- يا أستاذ إبراهيم قول حضرتك ما المشكلة؟.

قال إبراهيم:

- ماذا تتوقع؟.

قال له محسن كل ما يدور في باله.

ابتسم إبراهيم ابتسامه باهتة وقال الأمر أصعب بكثير:

فقال محسن وهو يبتلع ريقه أصعب.

قام مدحت وأعطاه كوب من الماء فتناوله محسن سريعا.

قال إبراهيم

- بهدوء لتسمع ما سأقول بتركيز وهدوء.

ابتلع محسن ريقه وهولا يستطيع استنتاج أي شيء مما سيقوله

الأستاذ إبراهيم الذي قال - مبدئيا أنا لست مدير المزرعة ولا

مدحت زميلك في العمل.

عصب محسن ما بين عينة وانتظر المزيد من المفاجآت واستمر

السيد خالد في الحديث - إننا ضباط في المخابرات

ازداد ما بين عيني محسن وحاول جاهدا أن يمك بأبي خيط

ولكنه فشل فاستمر يستمع ولا يصدق ما يسمعه واستمر السيد

خالد في حديثه:

- ومن الآخر مصر تحتاجك في مهمة قومية

وضع محسن رأسه بين يديه واخذ يتذكر منذ تعيينه ولكنه قال

لا بد أن يرجع بالذاكرة لأبعد من ذلك ربما ليوم تقديم أوراقه

للوظيفة ومقابلة مدحت أو حتى لأبعد من ذلك منذ الإعلان

عن الوظيفة , وظل صامتا يفكر ثم استطرد قائلا

- لقد كان لدي أن هنالك شيء غير طبيعي من الإعلان لغاية

التعيين وحتى هذا الصباح ولكن كنت اكذب نفسي وأقول أنت

شكاك أكثر من الطبيعي.

قال خالد محاولا تهدئته:

- اهدي هو مجرد عرض وأعودك أن تعينك في الحكومة وبنفس

الراتب مستمر انه مجرد عرض ممكن تقبله أو لا.

صمت محسن قليلا ثم قال:

- أنا مستعد أخدم بلدي وأفديها ولكن بلدي فقط.

قال خالد متعجبا:

- طبعا يا محسن لقد قلنا لك مصر تحتاجك . كان زمان نقول

لأي شاب مصر تحتاجك يقول أنا تحت أمركم

قال محسن:

- أنا صريح و أنا فدي مصر ومصر فقط وكما تقول انه عرض

ولي شرط واحد أي اخدم مصر كدولة وليس أفراد .

قطع خالد عليه حديثه ألا تريد أن تعرف أين المهمة؟.

قال محسن بالطبع.

فقال خالد في ابتسامة ماکرة في إسرائيل.

قال محسن وهو يبتلع ريقه في .....إسرائيل.

قال خالد في إسرائيل وأمامك فرصه حتى يوم السبت القادم

وأنت في أجازته مفتوحة سواء تبقي في المزرعة أو ترجع لبيتك

السبت القادم موعدنا معا إن شاء الله وهم خالد بالنهوض.

فقال محسن في لهفة:

- يا سيد إبراهيم من غير تفاصيل.

قال إبراهيم بثقة وهدوء:

- نعم من غير تفاصيل يا تقبل المهمة وتتقبل كل ما يحصل لك

من غير تفاصيل أو لا وثق أن أي قرار ستتخذه لن يؤثر في نظرتنا

لك ولا حتى ثقتنا فيك . وهم محسن بالكلام فقال له خالد بعد

أسبوع .

خرج محسن من المكتب وهولا يصدق ما سمع كأنه في حلم

وجلس علي اقرب شيء يمكن الجلوس عليه وبدأ يسترجع كل ما دار في المكتب وهو ينظر إليه وكان محمود ينظر إليه من خلف الزجاج ويقول في نفسه يا ليتك توافق يا محسن وتحدث إليه السيد خالد بالأقرب منه أو يتحدث معه في الأمر.

استمر محسن يفكر فيما حدث ولكنه بدأ يفكر أكثر فيما سيحدث وتواردت عليه كل الخواطر ففكر أن يرفض ويعود إلي حياته السابقة كما كانت رغم صعوبة ذلك فماذا يقول لأهله وأصدقائه وزملائه في العمل وصاحب العمل نفسه.

لماذا لا اقبل العمل في الحكومة كما وعدني السيد إبراهيم؟ أنها فرصة جيدة جاءت من عند الله لتعوضه عن سنوات الشقاء التي عاشها كما سيكمل مشروعه كما وعد بذلك

وهل اترك الفرصة التي جاءت لأخدم وطني؟ هل هذا معقول؟ ولكن حال البلد غريب وأنا لا أثق في أحد. إننا في أيام عجيبة لا يثق الناس في الحكومة ولا الحكومة في الناس ولا حتى الناس بعضهم ببعض.

مرت ثلاثة أيام ولم يستطيع محسن الاستقرار علي قرار حتى هداه تفكيره لزيارة الأستاذ عبد الغني جاره العجوز والذي شارك في أكتوبر وكان يحيي لهم منذ صغرهم عن بطولته وأصدقائه في هذه الحرب. وجد الأستاذ عبد الغني يرقد في فراشه يبدو عليه التعب فقال في نفسه أنا اسلم عليه وأنصرف.

قال له الأستاذ عبد الغني بصوت متقطع:

- أستريح يا ابني.

قال محسن بصوت منخفض:

- جاءت لأطمئن عليك وامشي علي طول.

قال الأستاذ عبد الغني:

- اعلمي شاي يا أم محمد.

قال محسن في تعجل:

- لا... لا ولا حاجة أن شاء الله تقوم بالسلامة.

- يبدو انك تريد أن تقول شيء يا بني.

- لا.. لا.. ولا حاجة تقوم بالسلامة أسمح لي بالانصراف؟.

- لتبقي ولو قليلا فانا لم أرك من زمن.

- شعر محسن بالحرج وقال له أنا أسف الدنيا أخذتني بعيدا.

- لا مشكلة يا بني الدنيا تلاهي أتكلم أنا سمعك.

سكت محسن قليلا ثم قال:

- لو رجعت الزمن وكان لك الخيار أن تحارب أو لا تحارب ماذا

كنت ستفعل؟.

قال الأستاذ عبد الغني متنهدا:

- الحق كنت سأحارب فإنني نادى علي أني لم استشهد.

تعجب محسن وقال:

- بعدما فقدت أصابعك ولم تأخذ التقدير الذي تستحقه و لما

مرضت رفضوا علاجك علي نفقة الدولة كما يفعلون مع الكثيرين

الذين لم يخدموا بلدهم أبدا.

قال عبد الغني بثقة:

- من يحب لا ينتظر مقابل.

- هناك من أخذ المقابل أضعاف مضاعفة.

- كله كلام فاضي المقابل الوحيد هو الجنة كما قال تعالي بسم

الله الرحمن الرحيم ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن

لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه

حقا في التوراة والإنجيل والقران ) الجزاء دائما من جنس العمل هم باعوا وربنا اشترى . في الحرب يا بني الناس أنواع وكل واحد له هدف وكل واحد يأخذ علي قدر النية , من نيته شهادة ينالها حتى لو حي ومن نيته الناس تقول شجاع يقولون عليه شجاع ومن نيته الخيانة يأخذ علي قدر نيته ومن في نيته الدنيا ربنا يعطيها الدنيا . دائما ربنا عدل ويعطي كل واحد علي قدر نيته والرابح الوحيد هو من طلب الآخرة لأنه سيربح دنيا وآخرة .  
- لكنك لم تأخذ شيء في الدنيا.

قال عبد الغني:

- لا أخذت الكثير وخائف انه يقلل من حظي في الآخرة أو لا يجعل لي حظا من الأساس.  
- ماذا أخذت؟.

- حب الناس واحترامهم ومعاش يا بني في شباب مات في الحرب حتى لم يعرف من هو وأصبح مجرد رمز للقداء بلا مقابل . وفي ناس ماتوا أو أسروا أو أصيبوا في حرب ٦٧ والكل ينظر لهم أنهم سبب الهزيمة وهم في الحقيقة ظلموا لما دخلوا حرب غير مستعدين لها ولم يعرفوا لماذا الحرب . في اسري حتى الآن في إسرائيل وفي رفات في سيناء لم يفكر أحد في العثور عليها ودفنها بشكل يتفق مع معتقداتنا وتقاليدنا . إسرائيل أخذت كل الأسري حتى رفات الجثث أخذوها والسادات كان يفتخر في كتابه البحث عن الذات بذلك هذه بلدنا واعتبر اليهود أصدقاءه وأحاباه رغم إن أخوه استشهد في الحرب . أنا عمري ما كنت أظن أني اقدر أدفن أي إنسان دفنت تسعة من زملائي في الحرب وأكثر من ذلك دفنت أصابع يدي ماذا أخذ هؤلاء؟ هؤلاء هم الرابحون.

إننا نعيش في ظل دولة فهمت كل شيء بالعكس عملوا للدنيا ونسوا الآخرة وبقوا رحماء علي العدو لخوفهم منهم وأشداء علينا لأنهم لا يخافونا ولكن صدقني دوام الحال من المحال.  
قال محسن:

- معذرة لو طلب منك التوضيح في مثل هذه الظروف هل كنت ستفعل؟.

- طبعا وألان أكثر .

- لماذا ألان أكثر؟ ففي مثل هذه الظروف يجب علي كل شخص أن يري مصلحته فقط

- علي العكس ففي هذه الظروف مصر تحتاج كل مخلص ولا انتظر مقابل إلا من الله.

اقتنع محسن بكلام السيد عبد الغني أو هكذا أقنع نفسه مع يقينه أنه سيندم كثيرا فيما بعد.

وصلت الطائرة إلي مشارف القاهرة فوجدها صغيرة فهم باحتضانها لو الخوف من لفت الانتباه لعلها تخفف عنه جزء من أحساس الغربية و الألم الذي يشعر به وكان عليه المبيت ليلة أحد فنادق المطار وقابله محمود وقال له محسن لقد أصبحت علي يقين أن الحرب غير العسكرية أهم واخطر وأعظم من حيث النتائج من الحرب العسكرية.

قال محمود:

- بالطبع.

قال محسن متأثرا:

- أنني في اعلي درجات الأسى . لقد كانت اتفاقية السلام وبالا علي مصر . لقد اكتشفت كم المهازل التي جلبتها لنا . أصبحنا نبيع

كل غالي لهم ونشتري منهم كل خبيث.

قال محمود وهو ينهي هذا الحديث:

- هذا كلام سيطول فيه الشرح والنقاش ولكن ليست المشكلة في

السلام بل فهمك للسلام وتعاملك مع الآخر.

قال محسن متسائلا:

- لم افهم.

- هو موضوع طويل . المهم ماذا تريد أن تخبرني به.

قال محسن:

- هنالك اتفاق سيجري بين شركة ناشورال الإسرائيلية و شركة

السلام المصرية و أن المبيدات التي ستباع لمصر ستؤدي لإصابة

المصريين بالسرطان.

قال محمود في غير اهتمام:

- هذا كلام نسمعه كثيرا ولكن ليس هناك أدلة.

تغير وجه محسن وقال له:

- هذه المبيدات تؤدي للإصابة بالسرطان حقيقة وهناك تجارب

علي عدد من الحيوانات أصيب عدد كبير منهم بالمرض وأصحاب

الشركة علي يقين من صحة هذه المعلومة حتى انه كان هناك

اجتماع لمجلس إدارة الشركة وقد كان هنالك عضوان من أعضاء

مجلس الإدارة وهما كوهين عزرا شاؤول جولدمان وقد أكدوا

ذلك.

قال محمود مقاطعا:

- هل هناك أمر آخر غير هذا.

- لا هل هذا الأمر غير مهم ؟.

- لا علي العكس مهم جدا ولكن لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل

كثير من هذه الصفقات تتم بطرق ملتوية فتكون العقود سليمة والمنتج شيء آخر.

- لا بد من وقفها يا سيد محمود لا بد أن تعديني بذلك.  
- صدقني سأبذل أنا و مجموعة العمل قصارى جهدنا و أن شاء نوقفها.  
- أتمني ذلك.

وهم بالانصراف فسأله محمود هل هناك شيء آخر؟.  
سكت قليلا لأنه كان يريد أن يسأل عن فساد صفقة الغاز وعن مياه النيل لإسرائيل وغيرها من الأمور التي عرفها في إسرائيل ولكنه سكت فأعاد عليه محمود السؤال ولكنه قال له المهم صحة الناس السلاح الأقوى الذي يجب أن نملكه يا سيد محمود هذا هو الأهم .

سافر يوسف إلى العراق و وصل يوسف إلى بيته مساء وقد شعر لأول مره انه بيته وانه في شوق له وشعر أيضا أن العراق قد أصبحت مثل وطنه يخاف عليها ويتوحش إذا غاب عنها فقد أصبح له حب كبير في العراق وكان يقول في نفسه أين بلدك يا جحا فيقول التي بها زوجتي ولكن للأسف ليست زوجتي. نام يوسف ليلته هادئا بعد سفر طويل من إسرائيل ورفض أن يفكر في أي شيء سوي ليلي.

وصل يوسف إلى المتجر وأخذ ينظر إلى متجره من الخارج حتى لمحة محمد فلم يصدق نفسه وخرج إليه مسرعا مبتسما وقال له الخواجة يوسف حمد الله علي السلامة فضحك يوسف واحتضنه وقال له صديق الخواجة كيف حالك؟.

خرج يوسف من متجره في الظهيرة وأخذ سيارة أجري وطلب

منه الذهاب إلى المستشفى الذي تعمل فيه ليلى وكان يعلم مواعيد خروجها اليومية وسارت السيارة وكان الطريق مزدحماً جداً لوجود انفجار علي الطريق وأخذ يوسف ينظر إلى آثار الانفجار والجثث الملقاة علي جانبي الطريق وتذكر الانفجار الذي أدي لفقدان ذاكرته وما تلاها من أحداث بل وما سبقها منذ وصوله من مصر ولقائه بجارته زينب التي سألته عن مصر وعن المصريين حيث قال لها ليست كما يقال عنها أم الدنيا بل علي أفضل تقدير أختها وربما الصغرى أما المصريون فأني تركتهم يضحكون ويبيكون كعادتهم في أن واحد وكيف التقى بنيامين الصديق المقرب لأبيه ثم له وكيف تعجب أنه احتضنه وعن صديق محمد الدمث الأخلاق والذي يعرف عنه كل شيء منذ صباه حتى حبه لراشيل وما كان بينهما من خطابات كثيرة ثم نظر إلي الانفجار مرة أخرى وقال ربما أكون أنا في الانفجار القادم ولا أستطيع العودة لإسرائيل.

وخشي يوسف كثيراً إلا يستطيع الوصول في الموعد لذا نزل من السيارة مسرعاً وأخذ يسير بسرعة وينظر في ساعته فهو لا يقدر أن يمر اليوم من غير أن يراها لقد وعد نفسه أن يراها اليوم. أخذ يسرع في الطريق حتى لا تكون ذهبت وكان ينظر كل ثانية في الساعة بينما يسرع إلي المستشفى.

وصل أخيراً إلي المستشفى وكانت ليلى قد خرجت للتو من المستشفى فلمحته بعينها فأعاد النظر إليه بينما هو يحدق فيها ولا يستطيع أن يرفع نظره عنها والحب يملأ عينيه بل وكل جسده.

كانت نظرة ليلى إليه مليئة بالحب ولكنها تحولت بعد قليل إلي

سؤال:

- أين كنت ؟ ولماذا عدت؟.

قال محسن:

- كنت مضطرا للبعاد ولكن قلبي أعادني إليك.

قالت ليلى:

- ولكن عودتك قد أعادت الجرح إلي النزيف بعدما كان قارب

علي الشفاء.

قال محسن في أسي:

- لا اصدق ذلك لا يمكنك أن تنسي ما بيننا بهذه السهولة؟.

قالت ليلى والدمع يملئ عينيها:

- ما بيننا هو أمر لابد أن ينتهي شأنا أو أبينا ثم انطلقت مسرعا

والدمع يملئ عيناها حتى منعه من قرأه ما كان في عينيها ولكنه

فهم كل ما بداخلها بقلبه حتى انهمرت دمعة من عينيها.

أعاد يوسف الكرة في كل صباح وبعد الظهرية متخفيا وكان قلبه

يعتصر كلما رآها وخاصة إذا شعر أنها هي أيضا تتطلع لرؤيته.

## الفصل الرابع

بدأت الشركة نشاطها وأصبح ليوسف عمل حقيقي وأصبح علي اطلاع تام بكل شيء عن الشركة التي تبيع الغاز لإسرائيل وكان يؤلمه كل دقيقة ما يسمعه ويراه من فساد في هذه الصفقة ولكن هذا لم يؤثر سلبا علي حماسه لأنه كان يثق انه ربما سيأتي اليوم الذي تستطيع مصر أن تنفض الغبار من عليها وتنهض لاستعادة حقوقها المنهوبة خاصة بعدما قرأ عن وقف صفقة المبيدات لمصر.

دعي عزرا كوهين يوسف لحفل في بيته وكان يوسف سعيدا بهذه الدعوة ليري ما هم عليه بعد ما حدث فلبى الدعوي وذهب في الموعد المحدد حتى يستطيع أن يقابل كوهين شأؤل ورهما جاكوب.

كان الأمر الذي تعجب منه هو وجود سامح حسني رجل الأعمال المصري المشهور والقريب جدا من رجال الحكم في مصر في هذا الحفل وقد قدمه له كوهين باعتباره صديقا و شريك له و بأنه المستورد الجديد للمبيدات.

فقال يوسف: في تعجب

- لقد قرأت في الجرائد أن الصفقة قد ألغيت؟.

قال كوهين سعيدا:

- نعم مع رجل الأعمال حازم منصور وهو الآن يحقق معه وربما يسجن أما الآن فالصفقة قد أبرمت بالفعل مع رجل الأعمال سامح حسني.

فقال يوسف بائسا:

- كيف ستتم الصفقة وقد رفضت من قبل؟.

ضحك شاؤول وقال:

- لكل مشكلة مائة حل خاصة مع رجل الأعمال سامح حسني القوي والذي لا يمكن منعه من فعل أي شيء في مصر. فقال يوسف في آسي:

- كيف هذا ؟

قال شاؤول واثقا:

- ببساطة كان المنتج القديم يحمل اسم EV٢٠٠ أما المنتج الجديد فيحمل اسم r٣٢٠ وهو نفس المنتج الذي يصدر لألمانيا. قال يوسف:

- إذا ستعطونهم نفس المنتج الألماني ؟

قال شاؤول وهو يضحك:

- علي الورق فقط

قال يوسف وقد ملأته الحسرة:

- ما معني هذا ؟

قال شاؤول وقد ملئه الكبرياء:

- سنعطي مصر نفس المنتج القديم بسعر المنتج الجديد.

قال يوسف بحنق:

- وهل ستمر المبيدات بهذه السهولة من الجمارك والجهات

المختصة.

قال شاؤول ساخرا:

- لقد مرت بالفعل واستخدمت أيضا والشعب سعيد ونحن أيضا. كان يوسف ينظر إلي رجل الأعمال هذا ويتذكر تاريخه الذي كان ومازال يتباهي به من انه الرجل الذي جاء من الطبقة الكادحة وقد كان له الفرصة ليخدم بلده في القوات المسلحة برتب مختلفة وخاض مع الجيش كل الحروب ضد إسرائيل متباهيا أمام الشعب المصري بحرب ١٩٧٣ وما فعل فيها وما قدم من تضحيات وها هو الآن يحتفل مع الشعب الإسرائيلي بنجاح هذه الحرب وبتناجها المبهرة حتى انه يحتسي معهم الخمر وهو سعيد كأنه قد حقق نصرا جديدا بهذه الصفقة الخسيصة التي تمحووا كل التاريخ العسكري لهذا الرجل وتضعه بكل قوة في صفوف الخونة. وقد اغتاز من سرعة الصفقة فقال لكوهين كيف تمت الصفقة وسلمت في الفترة القصيرة ولم يتم الإعلان عنها.

الصفقة وصلت إلي القاهرة في نفس يوم التوقيع بل ووزعت علي كبار التجار ووزارة الزراعة في نفس اليوم ومنها إلي الفلاح الذي كان يبحث عن أي مبيد ليحافظ به علي محصوله الذي أوشك علي الفناء بسبب توقف الصفقة الأولي.

لقد كان السوق متعطشا للبضاعة لذا استقبلها وهو سعيد يدعو للمستورد ولنا بتمام الصحة والعافية فقد حافظ له علي محصوله وأصبح أمامه بطل قومي حمي أهله من الخسارة الفادحة. لم يعرف كيف يستطيع أن يحتسي سامح معهم الخمر وهم هؤلاء الذين قاتلوه لسنوات طويلة وقتلوا أخوه في حرب ١٩٦٧ وقتلوا كثيرا من أصدقاءه في الجيش وحطموا حلم وطموحات وطنه.

لم يستطع تحمل ما يري ولا رؤية هذا الرجل الذي أصبحت يده ملوثة بدماء البشر من كل جنس ولون كأن ما يهم فقط هو إراقة الدماء أي دماء مهما كانت .

وهو الذي باع و خان دينه ووطنه وأهله فلما لم يعد هناك ما يخونه خان نفسه وباعها للإسرائيليين.

وكان متعجبا أيضا من صداقته لعدد كبير من اليهود ومنهم المتشدد سياسيا ودينيا فكيف لهم أن يقبلوه وهو من المفترض كان ضابطا في الجيش المصري وقد أراق من دمائهم الكثير أم هم سعداء اليوم بأنهم ردوا كيده في نحره وجعلوه يقتل أبناء وطنه. أصبح غريبا بينهم بعدما فتحت عيناه وأصبح يراهم علي صورتهم الحقيقية من غير تجميل.

شياطين الأنس الأقبح من شياطين الجن ويطمئن كلا منهما الآخر بان له الآخرة والأولي إن كان أصلا هناك آخرة لذا يفعل كلا منهم ما يفعله من إفساد في الأرض وهو هادئ النفس غير خائف من سخط الله عليه في الدنيا والآخرة . حتى إذا أصابه شيء من انتقام الله أوحى إليه شياطين الأنس والجن أنها من مشكلات الحياة وليست من سخط الله في شيء.

فخرج هائما علي وجهه ولم يشعر به أحد فقد كانوا مشغولون بنزواتهم وشهواتهم وقد انكشف كل واحد علي حقيقة وسقطت كل الأقنعة . فقد وجدهم يأكلون ويشربون ويتنفسون دما وصديدا.

ظل يمشي بلا هدف في الطرقات حتى قادته قدماه إلي البحر فوقف إمامه ظل يحدث نفسه هل هؤلاء بشر؟.

أم هم البشر الحقيقيون؟.

البشر الذي قتل الأخ أخيه من اجل لا شيء.  
 البشر الذي يمثل بجثة أخيه بعد الموت بلا معنى.  
 البشر الذي ينتهك بعضه حرمة بعض بلا تردد.  
 البشر الذي يخترع كل يوم سلاح ليدمر به أخيه.  
 البشر الذي يحول الاختراع السلمي إلي عسكري يدمر به الآخر.  
 البشر الذي ينتظر لحظة ضعف في الآخر فينقض عليه ويجهز عليه ويخرج منتصرا متباھيا بأنه قتل ونهب الآخر.  
 البشر الذي انقسم إلي تشرذمات كثيرة بعضها باللون والعرق والدين وفي داخل كل لون ألوان وكل عرق أعراق وكل دين أديان لتزداد الهوة فيما بينهم لتصبح الحروب أمرا عظيم دفاعا عن العرق واللون والدين و في الحقيقة حب للقتل واغتناما للثروات. أضحت الحالة النفسية له سيئة جدا وشعر برغبة للعودة إلي خارج الدنيا بعيدا عن كل ما رأي وسمع لقد اكتشف بهيمية العالم علي حقيقته وتمني لو ظل علي غير علم بهذه الحقائق حتى لو كان مخدوعا.  
 فالحقيقة مؤلمة جدا لدرجة لا يمكن تحملها.  
 كيف يقدر من قدم هذه السموم لمصر من أبناءها أن يأكل منها؟  
 ومن لم يأكل منها كيف أمن أن غيره لم يفعل فيه كم فعل هو بالناس؟  
 إنها سموم تملأ الماء والهواء والتربة يضعها أناس تجردوا من كل معاني الخير واتسموا بكل معاني الشر.  
 عندهم رغبة جامحة لتدمير الآخر وحتى أنفسهم ولا يردعهم ضميرهم أو خوفهم من الله.

جاءته راشيل في هذه اللحظة من الضعف وهي في اشد درجات الجمال والأنوثة أو هكذا رآها . اقتربت منه بخطي هادئة ووثاقة فقد رأت في عينيه ما طمأنها علي بلوغ غايتها وأكثر وأمنت انه سيكون مطيعا لها علي الدوام.

كانت تنظر في عينيه فتسير بخطي أصغر فاصغر كأنها تنتقم لنفسها من كل مرة اقتربت منه وهو هرب منها.

لم يحتمل الفتى تأخرها فقام مقدما عليهم فاحتضنها بشده وهي تدفعه دفع المحب لمن تريده أن يقترب أكثر . قبلها كثيرا وجردها من ملابسها في لمح البصر وهي لا تصدق ما هي فيه فقد كاد يتلعبها وهو يقبلها.

جرده من ملابسه هي الأخرى وهي لا تصدق وارتمت علي جسده حتى اذا ما الشهوة مبلغها أرتخي جسده فجاءه وسكنت الشهوة.

لم تصدق ما تري ضربته بيديها كلاهما بل وقدميها وعضته بأسنانها من الغيظ وأخذت تجمع ملابسها وهي تنظر إليه نظرة الغيظ وتبدلي وجهها وأصبح مرعبا ولما وصلت إلي الباب استدارات مسرعة إليه ولكمته بكل قوي بل وركلته وتوعدته وكلما وصلت إلي الباب عادت. وفعلت هذا وهو لا يفعل شيء إلا أن يضحك ويبكي في نفس الوقت بينما هي خرجت إلي الشارع عارية تماما.

لقد أصيب بالخرس لا يريد أن يتكلم ولا حتى يسمع وشعر انه تجمد في مكانه حتى انه كان لا يستطيع أن يحرك أطرافه . وكانت رأسه تغلي تكاد تنفجر ولم يعد حتى سعيدا بان يكون النسيم من مصر خوفا أن يختلط بزفير الخونة

واللصوص في مصر وقال هل تستحقني كل ما فعله بك أبناءك .  
أنهم فعلوا ما لم يفعله الحكام الأجانب علي مدي العصور وأساء  
من أي احتلال . ماذا فعلت وماذا فعل أهلك حتى يستحقوا كل  
هذا العقاب ؟ أناس من أبناءك اقسي قلبا عليك من الاستعمار.  
لماذا أنا هنا وماذا افعل؟.

لماذا هذا الشعور المبالغ بالوطنية؟.

كبار المسئولين ورجال الأعمال يدعي كل واحد منهم الوطنية  
والإخلاص ويكاد الواحد يبكي عندما يسمع كلامهم ولكنه يبكي  
فعلا عندما يري أفعالهم و هو يرتشي ويسرق بل ويبيع وطنه  
وينام قريير العين وملايين المصريين ينامون يرجون من الله أن  
يرحمهم بالا تطلع عليهم الشمس فيستيقظون علي ما يحزنهم  
من ديون وهموم أقسمت ألا تتركهم أبدا ألا أن يتركوها هم  
بالموت.

سأبيع مثل الذين باعوا ولا يهم أي شيء سأحيى في سعادة هنا  
حتى لو كنت باسم غير اسمي و كينونة غير كينونتي.  
أين هذا الوطن الذي وعدته؟.

ولكن ما ذنب الناس في بلدي أن أخونهم؟.

هم أيضا خانوا وطنهم و حتى أنفسهم ورضوا بالذل والهوان  
وأنا منهم.

لا والله لم افعل (مبتسما في تهكم) ولكنني سأفعل الآن وربما لم  
افعل من قبل لأن الفرصة لم تأتي ولكنها جاءت الآن.

استيقظ مبكرا وقد قرر أن يبيع مثل الآخرين واتصل بالرجل  
العجوز واخبره انه موافق علي الشراكة في كل المشاريع وبالفعل  
وقع مع العجوز وابنه عقدا علي الشراكة في مشاريع لن تدمر

مصر فحسب بل البشرية كلها.

سعد بهذا جدا وقرر أن يفتح لنفسه حساب خاصا في سويسرا بل ويشترى بيت هنالك من أول أرباح من الشركة الجديدة التي أكد له العجوز أنها ستكون سريعا جدا.

ولزيادة قوته في إسرائيل فكر جيدا بالزواج من فتاة ستعطيه قوة أكثر. كان أمامه راشيل وسارة ابنة العجوز الغني جدا والذي يحبه وروزا ابنة ايزاك ذو المزرعة الكبيرة جدا و حنا ابنة اللواء في الجيش الإسرائيلي القوي بالطبع.

كانت راشيل هي الخيار المرفوض الأول ولكن ليس هنالك مانع من قضاء شهوته منها فهي أكثرهم أنوثة علي الطلاق. أما سارة وروزا فكانتا الأفضل وتلتهم حنا كخيار أخير لأن والدها سيكون في سبيله للتقاعد قريبا.

أما سارة وروزا فثروت أبيهما كبيرة جدا وستعينه وتحميه.

أخذ يوسف يلتقي الفتاتان بدون أن تعرف أي منهما شيء بينما كان يتهرب من راشيل بعد معارك معها في الفراش حتى زهدها. كانت راشيل قد شعرت بأن يوسف قد قرر أن يتعد عنها نهائيا فقالت له بصراحة لا تفكر حتى يا يوسف أن تتعد عني في أحلامك فأنا لم آتي بك من العراق لأقدمك هدية لإمرة أخرى أبدا سأفعل كل ما في وسعي لأضيعك وأضيع كل من ستحاول الارتباط بها.

ضحك يوسف في وجهها مستهزأ وقال لها أنا المليونير يوسف فلا أنت ولا مائة مثلك تستطيع أن تؤذيني قدر أملة.

فقالت متحدية له لقد أصابتك ثروتك بالغرور ولكني أقسم لك أنني سأدمرك كما دمرتنى وانسحبت وهي تبكي بينما كان يوسف

يضحك.

فكر يوسف جيدا في روزا التي كانت تمتاز بالجمال الهادئ والجسد الأنثوي الصغير الملفوف ووجهها المائل للاستدارة كالقمر وتقاسيم وجهها الرقيقة وبروحها الجميلة بالرغم من أنها ليست فتاة مثيرة مثل راشيل وذكائها الاجتماعي وقدرتها علي التأثير في الآخر.

أما سارة فأكثر أناقة وان كانت اقل جمالا من روزا و لا تقارن براشيل التي عاينها بنفسه ولكنها شرقية أكثر ومتمسكة بعبادات الشرق و اقل تحررا وأيضا تشغل موقع راقي في الدولة وأبوها له وضع خاص فكان يوسف في حيرة واستمر في لقائهما واستمرت راشيل في مطاردته.

كان يوسف أيضا قد أخذه الغرور حتى انه أرسل رسالة للمخابرات المصرية مستهزأ و شاكر ا لهم ما قدموه له من تسهيلات كبيرة حتى يعيش هذه الحياة الراقية بدلا من حياته السيئة التي كان يحيياها من قبل مؤكدا لهم ثقته في أنهم لن يستطيعوا كشفه لإسرائيل لأن ذلك سيكون فضيحة لهم لأنه شاب مصري قد تنازل عن كينونته ووطنه ودينه و فضل أن يعيش كإنسان آخر بكينونة أخرى ووطن آخر بل ودين آخر بسبب ما وجده من تخاذل حكومته تجاه شعبها و ثروتها.

و فضل بلدا بديلا له كأم بديل عن أم قاسية تجري وراء نزواتها وشهواتها حتى باعت نفسها وممتلكاتها بل وحتى أبناءها وللأسف بمقابل زهيد وأحيانا بلا مقابل بل وتدفع هي أحيانا. بدأت الأرباح تتوالي علي يوسف وبدأ في شراء بيت وفتح حساب في سويسرا وسافر إلي هناك أكثر من مرة.

وبدأ في شراكة في مزرعة جديدة مع ايزاك وابنته روزا وقد تقرب في هذه الفترة جدا من روزا وفضلها علي سارة حتى أصبحت علي استعداد لإعلان قرب الزواج  
أصبح يوسف مطاردا من المخابرات المصرية و راشيل وكانت راشيل أكثر مطارده لذا كان يتعجل في أتمام الزواج لعلها تفقد الأمل.

بينما كان في بيته سعيدا بما وصل إليه إذ بقرع شديد علي الباب فقام مسرعا إلي الباب فإذا الباب قد كسر وأهل عليه مجموعة من الضباط اليهود ومجموعة من الضباط المصريين ومعهم راشيل والكل يضحك بشكل مرعب ويقول ساذج واليهود يقولون بسخرية أ كنت تظن انك ستخدعنا؟ والمصريون يقولون هل تظن انك ستستطيع أن تتركنا وراشيل تقول هل كنت تظن انك ستتزوج بغيري هيهات..هيهات.

قال محسن أ كل هذا من اجلي؟ أن تتحد المخابرات المصرية والإسرائيلية معا بل وراشيل هذه معجزة . كم أنا مهم.  
قال الكولونيل الإسرائيلي والعميد بكري كل جريمة تستحق عليها الإعدام سواء في مصر أو إسرائيل ولكننا سنعاقبك أكثر ونسلمك لراشيل.

نظر يوسف لراشيل فوجد وجها أبشع مما وصفت به أقبح الشياطين فقال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ونظرهم إليهم مستعظفا وقال إلا راشيل إلا راشيل و أعطوه حقنة مخدر. استيقظ يوسف وهو يقول إلا راشيل واخذ ينظر حوله

فإذا هو بيته واخذ يقول ماذا حدث ؟

أين أنا؟ هل كنت احلم؟ ما هذا الحلم الفظيع؟.

أين تنتهي الحقيقة وأين يبدأ الحلم؟.

أيقن انه كان في نوم عميق وانه لم تمر إلا دقائق معدودة فقال  
لنفسه ما كل ما أنا فيه ؟

علي أن احسم أمري في كل شيء.

وقال لو أن الجميع خان سينتهي أمر بلدي نهائيا بلا رجعه  
ولكن إذا قام البعض بما يجب عليه وخذل البعض وطنه فستظل  
المركب تسير وان لم تكن قوية وسليمة  
أم يجب هدم كل شيء والبناء من جديد؟.

لست اعلم إن كان هذا هو الأفضل أم لا ؟ ولكني لا املك إلا أن  
اخدم ربي ووطني بإخلاص كامل وبذلك أكون قد قدمت ما علي  
وبرئت ذمتي أمام الله وتذكر حديث السيد عبد الغني عن  
البيع لله وانتظار الأجر منه وحده ليس غيرة وألا اغضب عندما  
يكون في أيدي بعض الخونة المال الوفير فهم لا محالة تاركوه إلي  
عالم آخر وكما يأتي الناس عراة يذهبون عراة ليكملوا مسيرتهم  
وكأن كل ما حدث لم يكن شيئا كأنهم كانوا في حلم كما كنت  
أنا يظنون وهم في الحلم أن كل ما يحدث واقع بهم ولكن في  
الحقيقة لم يحدث لهم شيء وهو يخرجون من الحلم فيجدون أن  
لا شيء حدث من الأساس وكل شيء كان وهما فقط.

ووقف أمام المرأة وهو علي يقين بأنه سيندم ولكنه لا يقدر علي  
الخيانة ورفع يده واقسم ألا يخون وهو يبكي ويقول لا اقدر علي  
الخيانة لهيب الحق أهون عندي من لهيب الباطل ليت أنني  
أستطيع ولكن كل ذرة في جسمي سترفض هذا مهما حاولت .

سافر للعراق مرورا علي مصر فقد عرف انه هنالك

مباحثات علي صفقة جديدة من نفس المبيدات فقال في نفسه

ليكن هذه المرة أكثر صرامة ويكون شيء مهم قد فعلته من أجل بلدي قبل التقاعد  
وصل يوسف للقاهرة وقد رآها من الأعلى صغيرة وحين التقى رجال المخابرات كان عنيفا معهم وكانوا هم كذلك كان أشد ما يغضبه أنه كان حريصا علي مصلحة الوطن لذا كان تائرا ولكنهم كانوا يرون ثورته أساءه إليهم ودار بينهم حديثا غاضبا من الجميع.

قال خالد:

- لقد ألغينا الصفقة.

قال محسن:

- ولكن مع الأسف اختلف صاحب الصفقة المصري فقط ولكن لم يتغير الشركة الإسرائيلية ولا نوع المبيدات  
قال خالد: كيف هذا؟.

قال محسن في أسي:

- لقد تم إسناد الصفقة إلي شركة حازم حسني وكان نوع المبيد في العقد متغير ولكن ما تم تسليمه كان نفس النوع.

تغير وجه خالد وقال:

- ما نعلمه نحن أن ما تم التعاقد عليه ر ٣٨٠ هو نفس ما يصدر إلي ألمانيا.

قال محسن:

- هو الموجود بالعقد فقط. أنا قابلت حازم حسني بنفسني و أعضاء من مجلس إدارة الشركة الإسرائيلية وأكدوا لي ذلك وقالوا إن الفلاحين كانوا يدعون للسيد حسني بالصحة والعافية لأنه أنقذ محاصيلهم بعدما كادت تهلك.

قال خالد:

- سأحاول الاتصال بالإدارة والتأكد من ذلك.

ضحك محسن في سخرية وقال:

- ستحاولون التأكد !!! لقد استخدمت المبيدات بالفعل كيف لم تعرفوا بالصفقة ؟.

غضب خالد وقال:

- إننا لسنا مسئولو وزارة الزراعة ولكننا جهة أمنية ولسنا مشايخ مكشوف عنا الحجاب أو يأتينا الخبر من السماء بل نحن بشر عاديون نعتمد علي معلومات بعضها متضارب ونحاول اكتشاف الحقيقي منها ثم نقوم بما نستطيع القيام به.

قال محسن بحزم:

- بل بما يجب القيام به.

قال رأفت:

- لقد فعلنا ما نستطيع القيام به وظننا أننا استطاعتنا أن نمنع الصفقة ولم تصلنا أي معلومات عكس ذلك إلا منك . إننا نقوم بما يجب القيام به عندما يتعلق الأمر بمهامنا وان لم نقوم فنكون مخطئين ويجب محاسباتنا أما عندما يكون الأمر مسئولية غيرنا فعندما نقوم بما نستطيع أن نقوم به.

قال محسن:

- ولكن هذا يقع تحت امن مصر القومي وليس هنالك أهم من صحة المواطنين.

قال رأفت:

- هذا حقيقي ونحن علي يقين من هذا ولذلك لن نسمح بحدوث مثل هذا في المرة القادمة وسنفعل ما نستطيع فعله.

قال محسن:

- بل ما يجب فعله و للأسف كلنا خدمنا سامح حسني سواء  
بقصد أو غير قصد  
رأفت.

قال خالد:

- لا بد أن تعلم أننا نأكل ونشرب ونتنفس مثل باقي المصريين ولا  
يمكن أن نسمح بإيذاء غيرنا فما بالك بأنفسنا.

قال محسن:

- للأسف في الفترة القليلة في إسرائيل اكتشفت أن الإنسان يبيع  
نفسه ووطنه وكل شيء من أجل المال لم اصدق حين رأيت سامح  
حسني في إسرائيل كانت فاجعة.

قال خالد واثقا:

- كل واحد سيحاسب في يوم من الأيام ونحن نعتز أن مصر  
تمر بفترة عصيبة ولكننا نثق أن الله سيخرجنا من هذه الأزمة  
. المهم ألا يؤثر ذلك عليك وأنت عليك أن تقوم بما يجب عليك  
القيام به.

قال محسن:

- ولهذا أريد التحدث معكم أنا لا اقدر أن أقوم بما يجب القيام  
به لذا اطلب العودة إلي مصر.

ابتسم السيد خالد وقال له:

- لم يطلب منك حتى الآن القيام بشي مازالت مهمتك لم تبدأ  
وعليك الأنظار حتى تأتي اللحظة التي تستطيع أن تخدم ووطنك.  
أما إذا أردت العودة إلي مصر فلا مشكلة وسنبحث عن شاب آخر  
مصري مخلص يستطيع تحمل الصعب و التضحية بنفسه من

اجل وطنه غير ناظر إلي أفعال أي شخص آخر ويقوم بما يجب القيام به وعلي العموم مصر ستكون شاكرة لك رغم ما كلفتها من الوقت والجهد والمال.

قال محسن:

- يا سيد خالد أنا لم اهرب من ميدان المعركة لأني خائف علي نفسي ولكني لم أجد ميدان يتحارب فيه جيشان أمّا وجدت دولتين يحاربان كلاهما شعب واحد.

قال خالد وقد تغير وجهه.

قال رأفت.

- ليست الصورة كما تظن بيننا وبين إسرائيل حروب مخابراتيه كبيرة ونقبض علي رجال منهم وهم أيضا يقبضوا علي رجال من عندنا.

قال محسن:

- هذا هو الأمر العجيب التناقض المستمر يحدث شيء يشعرك أن مصر بخير وحريصة علي مصالحها ومن ذلك القبض علي الجواسيس. وفي نفس الوقت تجد الصفقات المشبوهة التي دائما في مصلحة إسرائيل وضد مصلحة مصر وأيضا رئيس المخابرات يأخذهم بالأحضان.

قال خالد:

- العمل المخابراتي لم ولن يتوقف بين مصر وإسرائيل مهما حدث من اتفاقيات سلام . وأما زيارات رئيس المخابرات فهي شيء ضروري للسلام مع الفلسطينيين.

قال محسن:

- لا أظن أن أحد المفسدين سيحاسب لأنهم علي اتصال برأس

السلطة في مصر.

قال خالد:

- المحاسبة قادمة لا محالة إن عاجلا أو آجلا في الدنيا أو الآخرة  
وليس هذا هو ما يشغلك عليك اتخاذ القرار النهائي.

بات محسن يفكر فيما هو فيه وقال لنفسه مادام مهمتي لم  
تحدد لماذا أنا متعجل عليها لقد عاهدت الله علي ذلك وعلي أن  
أتم ما بدأت. واتخذ محسن قراره النهائي بذلك وأصر عليه عندما  
قابل السيد خالد والسيد محمود رغم يقينه أنه سيندم فيما  
بعد. وناقشا معه ما يجب عليه فعلة في إسرائيل بعد العودة  
،انه يجب عليه أن يدخل في شراكة مع السيد كوهين ويشترى  
حصة شركة ناتشورال. كان سعيدا بذلك ويدي متفائل بما سيأتي  
خاصة من الحماسة والثقة التي كانا يتحدثان بها.

سافر إلي العراق ليس في ذهنه إلا ليلى وذهب ليراها من بعيد.  
رأته ليلى هذه المرة وقالت له بعينها الناعسة احبك رغم كل  
شيء ومهما حاولت نسيانك وغطي الدمع عيناها.

قال محسن والدمع في عينيه:

- احبك أكثر مما تتخيلي ولكن.....

قالت ليلى:

- ولكن ماذا؟.

قال محسن:

- لا أستطيع أن أخبرك ربما اقدر يوما أن أوضح لك الحقيقة.

قالت ليلى وهي تخفض عيناها:

- أشعر أن وراءك سر كبير يجعلني متمسكة بحبي لك رغم كل

شيء.

## الفصل الخامس

عاد إلي إسرائيل وبدا نشيطا متحمسا للبدء في العمل بجد وقد أبرم اتفاق مبدئي للشراكة الجديدة مع كوهين والشركاء الآخرين. واشتري حصة من شركة ناتشورال وأصبح اليوم رجل أعمال حقيقي قوي وذو نفوذ في إسرائيل وأصبح متأهب للبدء في مهمته. وقد زاد من حماسة ما قراه في الصحف من فتح تحقيق في مصر حول صفقة المبيدات وإيقاف أي استيراد للمبيدات حتى تنهي كل التحقيقات في هذه القضية وقال في نفسه لقد فعلتم فعلا ما يجب عليكم فعلة.

في المساء بينما كان مستريح علي أريكته الوثيرة يتابع التلفزيون ويحتسي بعض العصير وقارب أن يدخل في سبات عميق إذ بحركة كثيرة علي باب الشقة .

تعجب أولا من هذه الحركة وقال لست معتاد علي مثل هذه الأمور فدأما الهدوء سيد الموقف ، فلما استمرت الحركة نهض مفزوعا إلي الباب وإذ بقرع شديد فذهب للباب وقبلما يصل كان قد فتح الباب ورجال أمن يطالبونه بعدم الحركة ويقبضون عليه

قبض عليه وقيل له أن رهن الاعتقال في جريمة تخابر ومع هذا لم يتحدث لقد كان متأكد أنه في حلم وسينتهي قريبا ولكنه لم يكن حلما بل كابوسا حقيقيا.

استمر محسن في ظنه ولكن لم يحدث شيء ولم ينتهي الحلم أخذ يحاول أن يتدارك الموقف وأن يفهم أن كان في حلم أم حقيقة وكان يدعوا الله بقوة أن يكون حلم

كان الوقت لا يتحرك ومحسن بين حيرة انه في الواقع أم الخيال.

لماذا لم يحققوا معي؟.

لماذا لا يتحدث معي أحد؟.

وحتى لماذا لا يعذبني أحد؟.

ما هذا الذي أنا فيه؟.

ظل الوضع هكذا طويلا أو كما كان يظن هو حتى فتح الباب ودخل عليه شخص يبدو عليه أنه مسئول كبير في المخابرات ومعه عدد من الضباط .

في هذه اللحظة بدء محسن يصدق أنه في الواقع وبدء الخوف يتملكه.

وقد زاد من توتره الابتسامة العريضة التي كانت علي وجه الضابط.

حاول محسن أن يستجمع قوته وبدء يتظاهر بالقوة وقال بصوت عالي .

- لماذا أنا هنا الآن؟.

ضحك الضابط وقال له

- أنت تعرف لماذا أنت هنا الآن.

- أنا لا أعرف أي شيء وأحب أن اعرف أين أنا ولماذا حدث معي

هذا أنا مواطن إسرائيلي ولي حقوق قانونية.

ازدادت ابتسامة الضابط وأزاد غضب محسن وقال له الضابط

- نحن نعلم عنك أكثر مما تعلمه عن نفسك وأكثر مما يعلمه

جهاز المخابرات المصرية التي تعمل معه بل وجهاز أمن الدولة.

- أي جهاز مخابرات؟

- الجهاز المصري الذي تعمل معه وأخذ يسرد له كل تفاصيل

العملية في مصر إلى العراق ومنها إلى إسرائيل بدقة متناهية.

شعر محسن برأسه كأنه سينفجر وأن ضغط الدم قد فاق الحدود

وتضاربت الأفكار في رأسه حتى فقد توازنه وسقط علي الأرض.

وصلت الأخبار سريعاً إلى المخابرات العامة المصرية كان الضباط

الأربعة محمود وخالد وصالح ورأفت يبدو عليهم القلق

والاضطراب بينما كان العميد البكري هادئاً وكان العقيد حلمي

يبدو علي وجهه بعض القلق. حاول العميد بكري تهدئة الجميع

الذين كانوا يتحدثون بعصبية وبأفكار متضاربة وقال في محاولة

للتهدئة

- مالكم ؟ هذا يحدث كثيراً.

فقال خالد

- ولكنه عميل نائم لم يقم بأي شيء يثير الانتباه.

قال العميد بكري

- مهما يكن هو عميل قبض عليه وعلينا أن نتصرف بحكمة

وهدوء حتى نستطيع الخروج من الأزمة. المهم الآن هو سلامة

محسن.

قال صالح:

- ولكن يا فندم معرفة كيف تم كشفه أمر أساسي حتى نتحرك

في الاتجاه الصحيح لإنقاذه.

قال رأفت:

- لم أكن متحمسا من البداية لهذه المهمة الغريبة.

بينما كان محمود شاردا وقال ما الوضع الذي أنت عليه يا

محسن؟ كان الله معك وفي عونك

استمر العميد بكري هادئا لا يتكلم حتى صمت الجميع ونظروا

إليه ينتظرون ما سيقوله

أمسك بكري بالهاتف وطلب قهوة مضبوطة للجميع وضع

السماعة وظل صامتا.

انتظر الجميع منه أن يتحدث ولكن دون جدوى حتى وصلت

القهوة واحتسي كلا منهم نصيبه منها وانتظر الجميع حديث

السيد بكري الذي قال:

- لدينا عميل تم القبض عليه ومازلت الأخبار تتوالي علينا كل

لحظة، المهم أولا أن نطمئن عليه ثم نتابع الخطوات المعتاد عليها.

قال محمود حزينا:

- ما هو وضعه الآن؟

قال العميد بكري:

- مازال محنجا فقط . و لم تبدأ التحقيقات معه علينا الآن أن

نضع خطة لأعادته إلي مصر.

قال العقيد حلمي بهدوء:

- عندنا الخطة الأساسية يمكن مراجعتها و تعديلها إذا لزم الأمر.

وهناك ثلاث طرق :

الأولي تهريبه من السجن ثم تهريبه عبر الحدود بجواز سفر

لبناني إلي لبنان ثم مصر.

الثانية تبديله في صفقة مع أي جاسوس إسرائيلي لدينا.  
الثالثة استخدام الدبلوماسية المصرية لتسليمه لمصر لأنه لم يقيم  
بأي عمل مخبراتي علي الأراضي المحتلة و بالتالي لن تكون القضية  
أكثر من انتحال شخصية الغير فقط ويمكن قضاء العقوبة في  
مصر.

لم ينتظر الضباط طويلا فقد سارعت إسرائيل بإعلان  
القبض عليه وليس هذا فقط بل أيضا استعدادها لتبادلها مع  
عساف عساف المقبوض عليه في مصر والمسجون في قضية تخابر  
لمدة خمس وعشرين عاما ولم يمضي وقت طويل حتى أعلنت  
الخارجية المصرية موفقاتها علي الخطة الإسرائيلية من حيث  
المبدأ واستعدادها للتفاوض.

كانت هذه الأخبار تتوالي علي رؤوس الضباط شرر كالقصر كأنها  
جمالات صفر

كان السيد بكري أكثرهم هدوء وحنكة وقال لهم:

- لقد أصبحت الخطة الثانية موضع التنفيذ وعلينا أن نكون  
مستعدين لذلك.

فقال خالد في غيظ:

- ولكن عساف بالخصوص كان صيدا ثميننا جدا كيف يمكن أن  
نفرط فيه سريعا وكيف للخارجية أن تسرع بهذا الإعلان ؟.  
فقال بكري:

- لقد قضي عساف مدة طويلة وكان يمكن أن يخرج في أي وقت  
بطرق مختلفة ولكننا اليوم نستطيع أن نستبدله بمحسن وربما  
نتفاوض عليه بشكل أفضل مقابل اسري مصريين في حرب ١٩٦٧ أو  
أسري من فلسطين .

قال خالد:

- لقد أضعفت الخارجية موقفنا جدا.

قال حلمي:

- ليس هذا هو المهم الآن ولكن المهم هو سلامة محسن خاصة بعدما علمنا خبر وجوده في المستشفى . فلننتظر أن تستقر حالته أولا.

أستمر الضباط في أماكنهم وكانوا في حالة اجتماعات مستمرة وكان محمود الذي يوجد بينه وبين محسن مشاعر خاصة بحكم فترات التواجد الأطول معه وتقارب السن و طريقة التفكير أكثر الضباط خوفا علي محسن وكان يحاول أن يتخلص من عواطفه تجاه محسن ليستطيع أن يتصرف بعقله بشكل أفضل ولكن الأمر كان صعبا.

كان دائما يتذكر خوف محسن من المهمة ومحاولته أكثر من مرة الانسحاب منها ولكن محمود مع مجموعة العمل كانت تحمسه دائما وتقول له أنك ستقدم لبلدك مصر خدمة جليلة ولكن للأسف لم يقدم شيء وقبض عليه بشكل غريب. لم يقم محسن بأي نشاط مطلقا وكان القبض عليه غير منطقي وبشكل دراماتيكي

حاول محمود أن يفهم لما قبض عليه وكيف كشف أمره ؟

ليس لدي الموساد أي دليل مادي علي أن محسن كان عميلا لمصر من الممكن أن تكتشف أنه ليس يوسف ولكن هذا لا يعني أنه جاسوس.

لكنهم كيفوا القضية علي أنه جاسوس

شعر محمود أن الأمر غريب قليلا لذا ذهب إلي الضابط خالد

وكان معه رأفت وصالح كأنهم كانوا في انتظاره  
قال محمود، إنني اشعر أن الأمر غريب جدا وقص عليهم ما  
لاحظه وما وصل إليه .

أكد له الضباط شعورهم بذلك وبأن الأمر ليس طبيعي من  
بداية المهمة وجميع مراحلها حتى القبض علي محسن وهم  
حتى الآن لم يعرفوا ما هو هدف المهمة بالضبط وكان الضباط في  
حالة ذهول مما وصلوا إليه من استنتاجات أنها كارثة بكل ما  
تحمله الكلمة

لقد أن للجميع أن يتذكر وخاصة محسن الذي أفاق في المستشفى  
ووجد الأجهزة الطبية نخترق جسده العاري من كل مكان وكل  
من حوله من الأطباء والممرضين في حالة قلق لم يدري لما هذا  
القلق ولكن ذلك ذكره بحادث العراق وأخذه إلي ما هو من قبل  
ذلك بكثير فلا بد من تذكر كل شيء وبالتفاصيل لعله وهم أيضا  
أن يفهموا شيئا.

في البداية حين كانوا يجلسون في غرفة صغيرة وعلي منضدة  
مستديرة في حالة من الحيرة والصمت ينظر كلا منهم لأخر ولا  
يتكلم و لكن صمتهم كان أكثر تعبيرا عما يجول في صدورهم.  
قاطع السيد رأفت هذا الصمت الطويل: اذبحوا بقرة فلماذا كل  
هذا التعقيد.

ظل الصمت طويلا وقطعة محمود ولكنه لم يقل حتى اذهبوا  
بقرة أما قال فقط اذبحوا

الرائد صالح: و لكنه حتى لم يقل اذبحوا.

نظر السيد خالد رئيس المجموعة وقد بدا عليه الحسم لماذا كل  
هذا نريد عميلا جديدا في إسرائيل الأمر بسيط للغاية.

ابتسم السيد محمود وقال هكذا فقط عميل في إسرائيل ؟ بلا  
سمات شخصية بلا كفاءة معينه بلا مهمة محدده بلا هدف  
للمهمة بلا ....بلا.....بلا.....

ضحك السيد خالد وقال اذبحوا بقرة.

ضحك الجميع في غيظ وقالوا نريد نقطة صغيرة نبدأ منها وعلي  
أساسها سيكون البداية حتى نصل إلي الهدف المنشود والذي لا  
نعرفه بالطبع.

عاد الصمت ثانية لمدة طويلة.

كان الدخان المتصاعد من المنضدة والعدد الكبير من  
فناجين القهوة وأكواب الشاي تدل علي الساعات الطويلة التي  
قضاها الضباط في هذه الغرفة دون الوصول لنتيجة حول هذه  
المهمة الجديدة المطلوبة منهم والتي لم يقل فيها السيد بكري  
أي شيء سوي أن جهة سيادية خاصة طلبت منهم تدريب شاب  
مصري لمهمة لا يمكن الإفصاح عنها الآن نظرا لخطورتها علي الأمن  
العام في مصر بدون أي تفاصيل عن طبيعة المهمة ومواصفات  
الشاب المطلوب ولا عن الهدف.

كان الضباط يعملون في ضلال بلا هدي وينتظرون أن تصلهم  
معلومات جديدة أو تحدث معجزة من السماء .

في مدينة الشروق لاحظ بواب أحد العمارات رائحة  
سيئة تنبعث من احدي الشقق علي مدي عدد من الأيام فضرب  
الجرس مرات عديدة لم يجب أحد فاتصل بالشرطة واقتحمت  
الشرطة الشقة فوجدت جثة لأحد الأشخاص وسألت البواب عن  
هوية ساكن الشقة فاخبرهم أنه عراقي يسكن في الشقة من  
شهر تقريبا وأسمه يوسف يعقوب إبراهيم واستأجر الشقة من

صاحب العمارة مفروش لمدة عام فاستدعت النيابة وشرعت في تحريز كل شيء ووجدوا جواز سفره وخمسمائة دولار وكتاب العهد القديم وجهاز محمول و ملابس و متعلقات شخصية ولم يكن علي الجثة ولا في الشقة ما يدل علي وقوع جريمة قتل . علم السيد خالد الذي كان يسكن بالقرب من العمارة بالحادث وأنه عراقي يهودي اتصل فوراً بالسيد حلمي والسيد بكري وطلب مقابلتهم علي الفور وأخبرهم بما سمع لم يصدقا أنفسهم ومنعهم الرغبة في معرفة التفاصيل من السعادة حتى يتأكدوا من أنهم قد وصلوا ضالتهم وطلب السيد بكري مقابلة مدير الأمن والمحامي العام وطلب منهم ألا يعرف أي أحد أي شيء عما حدث وألا ينشر أي خبر وان ترسل كل التفاصيل الخاصة بالقضية إليه وأن يعرف إن كان أي أحد يسأل عنة قبل الحادث وبعده وإذا كان أحد يزوره وطلب أيضاً أن يحضر التحقيقات السيد خالد بدون أن يدري أحد أي شيء عن هويته.

استمرت التحقيقات لمدة خمسة أيام اعد السيد خالد تقريره وطلب الاجتماع بمجموعة العمل التي انتظرت في صمت تام معرفة تفاصيل هذه المفاجأة التي غيرت كلياً وجهتهم والتي وان كانت مناسبة ستختصر الوقت والجهد وستكون العملية محكمة وكلا كان يتمني أن تكون هذه الفكرة مناسبة.

بدأ السيد خالد الحديث وهو يبدو علي الإجهاد ولكنة كان متحمسا وسعيدا

- بسم الله الرحمن الرحيم وشغل الشاشة والتي أظهرت جواز سفر يوسف يعقوب داود هو يهودي عراقي وهذا شيء جيد جدا لأنه شاب في نفس السن المطلوب وعدد الشباب اليهود

في العراق محدود جدا وهذا بالرغم من أن التفاصيل الشخصية والمعلومات عن عائلته غير معروفة ولكن خلال الشهر الذي قضاه في مصر نستطيع أن نعرف أنه هادئ منعزل وانطوائي جدا لم يكن يخرج من بيته إلا قليلا جدا لم يزره أحد طول هذا الشهر ولا حاول أن يتعرف علي أحد ولا طلب من البواب أي شيء نهائيا ولم يعطه جنية طبعا والنقطة الهامة الأخرى أن الوفاة كانت طبيعية وبدون أي سبب.

قال العميد بكري:

- لا بد أن نجتمع مع المسؤولين عن ملف العراق ونعرف حجم المعلومات التي لديهم ونطلب منهم تفاصيل كل شيء عنه و عن من حوله ولا بد أن نتأكد من انه لا علاقة له نهائيا بإسرائيل ولذلك غدا أن شاء الله سيجتمع العميد حلمي معهم. وصل تقرير المعمل الجنائي إلي السيد بكري فقرأه بتمعن وفحص صور الأشعة علي مهل لدراسة كل نقطة في جسده بل اصطحب السيد حلمي والسيد خالد وعهم عدد من الأطباء المتخصصين لدراسة كل تفاصيله الجسمانية.

أما تقرير العراق فكان مفاده انه شاب عراقي يهودي يمتلك متجر كبير للأجهزة الكهربائية والالكترونية ورثه عن والده الذي توفي بعد احتلال العراق بقليل , أما والدته فقد توفيت وهو مازال صغيرا . اقرب الناس إليه هو بنيامين إسرائيل صديق والده هو العراب بعد وفاة والده ويستشيريه كثيرا.

وجارته في المسكن زينب.

وصديقه محمد والذي يعمل معه في نفس المتجر وكان له حبيبه اسمها راشيل هاجرت إلي إسرائيل.

كان والده رافض للهجرة وكذلك ابنه رغم المحاولات الكثيرة هرب لمصر خوفا علي نفسه من اليهود الذين كانوا يطاردونه. بعد مناقشات طويلة مع بعضهم البعض ودراسة كل شخص علي حد استقر الجميع علي خمسة أشخاص ثلاثة منهم خريجي كلية الزراعة وهم محسن أبنود ومصطفى كمال والثالث عادل فهمي واثنان آخران الأول ضابط مخابرات واسمه حازم عبد الرحمن والأخير ضابط جيش وهو هيثم إبراهيم.

طلب السيد بكري إجراء تحريات أكثر عن كل فرد من الثلاثة خريجي كلية الزراعة بأقصى سرعة ممكنة و أما ما يخص ضابط المخابرات وضابط الشرطة فسيتم اختيار أحدهما إذا لم يكن هناك ما يصلح من الثلاثة الآخرين .

بعد ثلاثة أيام اجتمعت المجموعة مع العميد للاطلاع علي نتائج التحريات . بدأ السيد حلمي الحديث بعدما عرض عليهم صور ومقاطع فيديو لمحسن التي أظهرت طريقته في المشي وحركاته والتفاتاته وطريقة كلامه ومخارج ألفاظه وعرض صفاته الجسدية. ومحسن هو الابن الأكبر لوالدة الذي يعمل موظفا في إحدى الجهات الحكومية وكان محسن يعمل في الإجازة الصيفية في سوبر ماركت وأحيانا في الدراسة ليساعد أهله ويستطيع توفير نفقاته في الجامعة واستمر يعمل في نفس السوبر ماركت بعد التخرج له اهتمامات علمية ويعمل أيضا في أحدي مراكز البحوث العلمية. أدى الخدمة العسكرية وكان سلوكه قدوة حسنة ويمكننا الاتصال بقيادته في القوات المسلحة و الاستعلام عنة . وأهم شيء هو قدرته علي تحمل المسؤولية وحسن التصرف في المواقف الصعبة وقدرته علي اكتساب الأصدقاء وحل المشاكل والصبر والعزيمة وتقبله

للأوامر وحزمة وإصراره علي النجاح . لأن هذا سيفيد كثير جدا في المهمة.

الثاني هو مصطفى كمال حلمي وعرض عليهم صور ومقاطع فيديو لمصطفى التي أظهرت طريقته في المشي وحركاته والتفاتاته وطريقة كلامه ومخارج ألفاظه وعرض صفاته الجسدية. ومصطفى يعمل في أحدي المزارع . لم يؤدي الخدمة العسكرية.

الثالث عادل فهمي السيد وعرض عليهم صور ومقاطع فيديو لعادل التي أظهرت طريقته في المش وحركاته والتفاتاته وطريقة كلامه ومخارج ألفاظه وعرض صفاته الجسدية. عادل يعمل مع والده في التجارة لديهم مشاريع كثيرة وفي مجالات كثيرة.

دارت نقاشات كثيرة ومطولة في اجتماعات لدراسة التفاصيل واتخاذ القرارات المناسبة حتى استقروا علي محاولة تعيين الشباب الثلاث في وظائف حكومية تابعه لهم واختيار الأمثل منهم للوظيفة ولكي تبدو الأمور طبيعية اتفقت مجموعة العمل أن يتم الإعلان بشكل روتيني عن الوظائف في الجرائد الرسمية.

اتفقت أيضا مجموعة العمل أن يكون التقديم في وزارة القوي العاملة وليس في وزارة الزراعة وأن يراقبوا بالكاميرات كل شيء وأن يتواجد السيد صالح في مكان التقديم علي أنه ضابط أمن دولة لمراجعة ملفات المتقدمين للوظيفة ولن يكون هذا مستغربا فأمن الدولة يتدخل في كل شيء وهو يسأل ولا يسأل وأن يتواجد السيد محمود خارج مكان التقديم في محاولة للتحدث مع هؤلاء الشباب كأنه يقدم ملفه معهم وهذا ما أوصلهم لما سموه بיום الحشر.

كان خبر الوظيفة في جريدة الأهرام وهي الأوسع انتشارا وعدد

الجمعة يشتره تقريبا كل المصريين كلا لغرضه فمن باحث عن وظيفة لباحث عن شقة أو ارض ومن متابعي المزادات ومتابعي الرياضة ومحبي الكتاب وصولا لمن لا يعرف لماذا يشتره ربما ورثة عن أبيه أو يشتره كما يشتره غيره أو حتى ليحميه من حر الشمس بعد الصلاة وأحيانا ليحميه من المطر لذاك كانت مجموعة العمل علي ثقة من أن الخبر سيصل إلي الشباب بطريقة أوأخري .

قرأ الشاب عادل الخبر من الجرائد فقال لوالده يا أبي ما رأيك في هذا الإعلان ؟

قال الأب يا بني كل يوم في إعلانات عن وظائف ومن غير فائدة .وعليك أن تترك الوظيفة لغيرك المحتاج فهو أولي بها.

قال عادل:

- يا بابا الوظيفة الحكومية لها وضعها وفي الآخر راتب من غير تعب وبمالي لن أذهب للعمل من الأساس و ترقيتي ستكون بسرعة البرق .وابقي مسئول كبير وكله سيعود علينا في الآخر ونوسع نشاطنا أننا في عصر وزارة رجال الأعمال يعني السلطة تزوجت المال زواج لا طلاق فيه لنعيش بلغة العصر الذي نعيش فيه.

قال الأب:

- يا بني أنت تري البلد وحالها و كل هذا سيضيع البلد . هل تريد أن تنضم للمسئولين ورجال الأعمال وكثير من الموظفين الذين خربوا البلد بالسرقة والإهمال والرشاوى فعلي الأقل لتكن نيتك خير وقول سأكون موظف صالح.

قال عادل وهو يضحك:

- صالح كيف هذا ؟ أليس الناس علي دين ملوكهم؟.

قال الأب بحزم:

- ولكن لا تنسي كيفما تكونوا يولي عليكم.

قال عادل:

- إننا ندفع ضرائب كثيرة كل سنه ولا يرجع لنا منها شيء ولا حتى نعرف أين تذهب . ويقولون مرتبات للموظفين وإذا ذهبنا إلي أي مصلحة حكومية قلما نجد من يتقي الله في بلده . أنا أريد أن أخذ من البلد مثل غيري و لا أنا مكتوب علي أن أدفع فقط انك لن تساعدني بالطبع لذا أنا سأبحث عن واسطة بعيدا عنك. وبينما كان والد محسن أبنود يتصفح جريدة الأهرام بعد صلاة الجمعة وكان من طبعة تدقيق النظر فيها ويقرأها كلها بما فيها صفحة الوفيات والمزادات وحتى عروض الشقق والفيلات في كل مناطق مصر بما فيها الساحل الشمالي وقبل ترك الجريدة استرعاه إعلان وزارة القوي العاملة عن حاجتها لخريجي كلية الزراعة بدفعات معينة فسأل زوجته هو محسن خريج أي سنة؟.

قالت الأم:

- هو أنت نسيت؟.

قال الأب:

- والله أنت نسيتني أسمى بصوت منخفض ثم بصوت عالي هو خريج أي دفعة؟.

قالت الأم:

- والله لا أتذكر لماذا تريدها؟.

قال الأب وهو يبتسم:

- لقد نسيت مثلي في إعلان عن توظيف خريجي الزراعة ولكن

من دفعات معينة.

قالت الأم في سعادة:

- والله هذه بشرة خير يا رب يبقي فيها دفعته يا مسهل يا رب  
لما يأتي سنسأله يا ما أنت كريم يا رب.

قالت الأب في تعجب:

- يا ست هانم أنت تتحدثين كأن ابنك تم تعينه بالفعل.

قالت الأم:

- أنت دائما هكذا لا تتفاءل أبدا قول يا رب.

قال الأب:

- يا رب هو أنا أكرة.

بينما كان الحديث علي أشدة بين والد ووالدة محسن فتح  
محسن الباب فأسرعت أمة إليه فتعجب محسن وقال لأمة خيرا  
يا أمي ماذا حدث؟

قالت أمة خيرا يا حبيبي بشرة خير في إعلان وظائف لخريجي  
الزراعة انظر في الجريدة لتعرف أن كان مطلوب دفعتك؟ يا رب  
ينفع يا بني يا رب.

أمسك محسن بالجريدة بغير اهتمام وقال نعم يا أمي مطلوب  
سنة تخرجي ولكن هذا لا يعني شيء لقد قدمت في مسابقات  
كثيرة ولم أستفد سوي أنني دفعت رسوم كثيرة وتغيبت يوم عن  
عملي.

قالت الأم يا بني أنا متفائلة هذه المرة إن شاء الله ستتعين.

قال محسن:

- كل مرة تقولي نفس الكلام وفي الآخر لا فائدة ريحي نفسك.

قال الأم:

- يا بني حال البلد كما تري لو أبوك الساكت يبحث لك عن واسطة.

فقال الأب ساخرا والله يا بني ليس معي ولا واسطة في جيبي  
اسأل يمكن مع أمك؟.

قالت الأم:

-أتري يا محسن هزار أبوك دائما هكذا ولا نأخذ منه شيء مفيد.

قال محسن يحاول الخروج من هذا الحديث.

- هل الأكل جاهز؟ يا أمي أنا جوعان جدا.

قال الأم في محاولة يائسة:

- يا بني لن تخسر شيء قدم أوراقك ودعها علي الله.

- أنا جوعان جدا لو الأكل لم يجهز أعلمي لي أي شيء ولو حتى  
سندوتش جنبه.

قالت الأم في غضب:

- أنت حر أنا عملت ما علي استني ربع ساعة والأكل سيكون  
جاهر وعليك أن تنتظر أنه اليوم الوحيد الذي نأكل فيه سويا.

قال الأب يا بني سنجلس سويا حتى يجهز الطعام.

كانت أمه تنظر بسعادة لمحسن ووالدة يسرون جنباً إلي جنب  
وقد أصبح محسن أطول من أبيه قليلا.

قال والده كوبان من الشاي بسرعة اعدل دماغى.

قات الأم شاي قبل الغداء؟ اشربه بعده.

- والنبي يا غادة يا ابنتي اعلمي كوبين شاي أمك ستظل تتكلم  
ولن نشرب شيء.

قالت غادة.

- من عيني يا أبي.

قال محسن في ابتسامه ألن نخلص من المناهدة بينك وبين أُمي.  
قال الأب:

- يا بني أنت مازلت صغيرا هذه مناغشة يعني مودة وحب.

ضحك محسن وقال وهو ينظر في عين والده:

- صحيح يا أُمي كيف تزوجت أُمي أكان عن حب؟.

قال الأب وهو سعيد:

- طبعا قصة حب عنيفة لا تنظر لشكلها الآن كانت جميلة ورقيقة  
ولما تمر أمامي في الشارع قلبي ينخلع من مكانة ويا سلام لو  
مع صاحبته و تضحك لها كنت أتخيل أنها تضحك لي وأعيش في  
الأحلام. لما تقدمت لها والدها كان سيطيّر من الفرحة كان أمله  
موظف حكومي يتزوج بابنته ولكن كانت أختها الكبيرة لم تتزوج  
وقال لابد أن تتزوج الكبيرة أولا و حاولت معه كثيرا جدا ولكن  
من غير فائدة وفي الآخر قال هي عروستك.

قال محسن:

- هي بالكلمة.

قال الأب بحزم:

- طبعا بالكلمة وأنت فاكر مثل الآن يحلف الواحد مائة مرة  
ويخلفها وهو اشترط علي إني لا اكلمها ولا أقابلها.

قال محسن وهو يبتسم:

- وأنت وفيت بالعهد؟.

قال الأب وهو يحاول الخروج من المأزق يا غادة الشاي... الشاي.

و جاءت والدته بالشاي وقالت أبوك لم يكن بكرش وأصلح كان  
وسيم وشيك.

قال الأب وهو يحاول إظهار الغضب:

- أنا مازلت كما أنا والكروش عز والصلح وراثي من خالي الله يسامحه والحمد لله انك لحقت الشعر كل أخواتي وأقاربي تزوجوا وهم صلح. ثم نظرت في هدوء لمحسن دعك من هذا الكلام لماذا لا تريد أن تقدم في المسابقة؟.

قال محسن متنهدا:

- كل مرة أقدم في المسابقات وأضع أمل وابني أحلام وبعد ذلك انزل علي لا شيء واكتب بعدها كلها مسابقات وهمية ليلموا فلوس و المعينون معينين من قبل الإعلان عن المسابقة.  
قال الأب:

- وماذا ستخسر؟ هي محاولة وكما يقول المثل اسعي يا اعبد وأنا اسعي معك والله يا بني لو في يدي أي شيء لم أكن لأتأخر و الآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم تقول ( لو أن لي بقوة أو أوي إلي ركن شديد).

قال الأب:

- خليها علي الله.

ونادت عليهما عادة تدعوهم لتناول الغداء فقاما مسرعان والأب يقول الحمد لله كنا سنموت من الجوع أنا بطني أوجعتني من الجوع.

قالت الأم في غيظ يارجل بل بطنك أوجعتك من الشاي.

قال الأب:

- أنا قلت من الجوع وليس الشاي وهمس في أذن محسن والله من الشاي فضحكا وتناولوا الطعام سريعا وأمه تنظر إليهما بغيظ. كان محسن سعيدا لأن يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي يتناول فيه الغداء مع أهله ويجلسون ليتسامروا فيه مساء بعد إنهاك

أسبوع من العمل .

في الساعة الثامنة من صباح السبت وصل السيد صالح إلي مكان العمل وجد أعدادا كبيرة من الشباب يقف كل مجموعة منهم أمام شباك من شبابيك مبني التقديم وكل واحد يظن أنه سيكون شباك التقديم وكلا يؤكد للأخر أن التقديم سيكون من هذا الشباك دون غيره وتعجب السيد صالح من الأعداد الكثيرة قبل موعد بدأ التقديم بساعة ولكنه تعجب أكثر من ثقة كلا منهم من أنه يقف في المكان الصحيح .

دخل السيد صالح إلي مقر التقديم وبمجرد أنه قال أنا الرائد حشمت ولم يكمل اسمه حتى فتحت الأبواب وقام الموظفون مسرعون إليه وقال رئيسهم أنا في انتظار سيادتك أتفضل يا فندم أتفضل أنا مجهز لسيادتك مكان ولا حضرتك تفضل مكان معين أتفضل... أتفضل يا فندم ونظر السيد صالح سريعا وسأل أين سيكون أماكن التقديم قال مدير الإدارة في هذه الشبابيك الثلاث أم تريد مكان آخر؟.

ضحك السيد صالح في نفسه لأنه لا أحد من الشباب يقف عند هذه الشبابيك وقال لا هنا ممتاز.

وانتظر الساعة التاسعة والضجيج يعلو أكثر وأكثر كأنه صوت جيش يعدو ليغزوا مكان وجدوهم .

وصل السيد محمود إلي مكان التقديم في الثامنة والنصف يحمل أوراق تقديم معده له باسم مدحت حسنين عبد السميع.

وعندما وصل بالقرب من مقر التقديم هاله المشهد وشعر وكأنه في يوم الحشر فالأعداد لا يمكن وصفها من الكثرة فقد امتلاءت كل الشوارع المحيطة بالشباب ولا يمكن لسيارة ولا حتى لمترجل

المرور أبداً مهما حاول.

تعجب السيد محمود من هذه الأعداد وقال في نفسه إننا طلبنا سنين معينة من كلية الزراعة ما كل هؤلاء؟ وبدأ ينظر لعله يجد أحد من الشباب الثلاثة ولكن دون جدوى بالطبع. وحتى وان رأهم لن يعرفهم من شدة الزحام ومهابة الموقف بل لعله يفر منهم من شدة الحر كما يفر الإنسان من شدة الموقف في يوم الحشر من أبيه وأمه. أحيط من كل الجهات بالشباب الراغبين في العمل فهو لا يستطيع التقدم ولا التأخر وبعد محاولات عديدة استطاع الخروج من الدوامة وذهب بعيداً عن الناس حتى وصل إلي قهوة فجلس يلتقط أنفاسه وطلب ماء وشاي وبدأ يهدأ ويلتقط أنفاسه بهدوء ويشرب المياه و يحتسي الشاي ويحمد الله علي أنه نجي و قام يمشي بجوار القهوة ليتحدث إلي السيد صالح فوصف له المشهد من الخارج بأنة يوم الحشر وقال له عليك أن تحمد الله أنك في الداخل.

فقال صالح بل عليك أنت أن تحمد الله إننا محاصرون من كل جانب ونشعر أنهم قاب قوسين أو أدني من اقتحام المبني و لا ينتظروا غير نفخ البوق ويقتحمون المقر و الموظفون خائفون من فتح الشباك والتعامل معهم .

فقال محمود متسائلاً من هؤلاء؟ وماذا يريدون؟.

قال صالح بداية سيكون شبك شغال حتى نعرف ما يحدث؟.

وقال محمود وأنا سأحاول ارجع مرة أخرى وأتكلم مع الشباب وافهم الوضع؟.

عاد محمود إلي القهوة وجلس يستكمل احتساء الشاي ودخل القهوة شابان يحملان ملفاتهما فلما وجدوا معه ملف بدأ

أحدهم بالكلام هل أتيت لتقدم في المسابقة؟.

- نعم.

- هل أنت خريج زراعة؟.

قال محمود في تعجب طبعا ومن الدفع المحددة وانتم؟.

أجاب أحدهما من خريجي كلية الزراعة ولكن من دفع أخري.

قال محمود:

- ولماذا تقدم لن يقبلوك؟.

فرد وهو بين اليأس والرجاء ممكن تضرب معنا ونتقبل ونحن لن نخسر شيء أننا نجلس علي القهوة اهو اسمنا نبحت عن عمل أمام أهلنا والمعارف والجيران الذين يضحكون علينا في ذهابنا وإيابنا.

قال في نفسه السيد محمود لهم حق يعملوا مسابقات ٠٩٠٠ بهذا الكم وتنجح الكل عايش في الوهم ولها حق الحكومة تملي الخزنة من دم الغلابة ما الفلوس بتطلع من جبههم أسهل بكثير من رجال الأعمال الذي لا يقدر أحد أن يدفعهم ضرائب ولا غيره واستأذن محمود منهما وخرج ليتصل بصالح فحكا له أن سبب الأعداد الكبيرة هو تقدم كل طلبة كلية الزراعة من الدفع المختلفة.

قال صالح زراعة وهو يضحك لا طبعا في طلبة من كل الكليات والمعاهد والدبلومات ومحو الأمية وغيرهم.

قال محمود:

- غير معقول خلاص أصرفوهم بالحسنى.

قال صالح:

- لا يمكن أننا نقول لهم الورق سيرمي في الزبالة فيقولوا خذوا

الملف وافعلوا فيه ما تريدون. أنا عملت ثلاثة شبابيك لخريجي الزراعة من الدفع المحددة وشباك لخريجي الزراعة من الدفع الأخرى وواحد لغير خريجي الزراعة وسنري كيف ستسير الأمور. هل رأيت أحد من الشباب الثلاثة؟.

قال السيد محمود كيف أراهم مستحيل هل جاءك أحد منهم؟.  
قال السيد صالح حتى الآن لم يأتي أحدا منهم ولكن ممكن خلال اليوم.

و اقتراح تقسيم الشبابيك ليس الحل الأمثل لابد من حل آخر.  
سكت السيد محمود قليلا ثم قال ما رأيك؟ نخصص أيام أخري لغير طلبة كلية الزراعة من الدفعات المحددة؟.

قال السيد صالح اقتراح جيد سنبدأ فيه من الآن وصعد السيد صالح السلم لينظر المشهد من فوق سطح المبني فهاله المشهد فالإعداد هائلة وتزداد باطراد وكأنها كتائب تلتحق ببعض والأعداد تزداد و لا تنقص رغم سرعة استلام الملفات من الشباب وقال يوم الحشر صحيح ونزل سريعا وطلب من مدير الإدارة إعلام الشباب بترتيب المواعيد لسهولة استقبال طلباتهم وطلب منه استخدام كل ما يقدر عليه من مكبرات الصوت ثم صعد إلي اعلي المبني ليري كيف ستسير الأمور وبدأ الشباب بالانسحاب بالفعل وهو يهمهم بكلمات كثيرة وقبيحة عنوانها الغضب الشديد وكان يري رؤوس سوداء كثيرة تتحرك للخروج ومع هذا الأعداد لا تنقص وذكره ذلك بصلاة الجمعة الأخيرة من رمضان في المسجد الحرم حيث صلي من الزحام في احدي المتاجر المتاخمة للحرم وبعد الصلاة وقف علي مكان عالي لينتظر أصدقاءه وراعه كثرة الأعداد الخارجة من الحرم كأنه نمل من كثرتهم وهمتهم في الخروج

ولون رؤؤسهم ومع ذلك لا تنقص أعداد الناس في الحرم وحوله كما هو الحال الآن فنزل لينتظر أيا من الشباب ولكن مر اليوم الأول ولم يحضر أحد.

في نهاية اليوم سأل الضابط صالح العاملين في الإدارة ماذا ستفعلون بكل هذه الملفات؟.

قالوا ماذا تريد حضرتك يافندم.

قال انتم في العادي ماذا تفعلون؟.

قال مدير المصلحة نرميهم في الزبالة أو نبيعهم لمحلات وعربيات الفول والطعمية أو نتدفأ بهم في الشتاء.

تخيل السيد صالح نفسه أحد هؤلاء الشباب الذي قدم ملفه وانتظر تعينه وهو يمني نفسه بالأمل كيف سيكون شعوره إذا وجد أوراقه ملفوف بها سندوتش فول فتدارك المدير الأمر وفهم تعبير وجه الضابط وقال له يا أفندم أكثر الشباب هؤلاء يعملون في وظائف أخري ولكنهم يريدون وظيفة حكومية وأنت فاكريا فندم لو واحد فيهم تم تعينه كان سيعمل باجتهاد بما يرضي الله علي العكس تماما أنه من أول يوم سيزوغ أليست هذه هي الوظيفة التي ظلت الأفلام تسخر منها أنها لم تعد موجودة أصلا.

قال صالح:

- ليس كل الشباب كما تقول.

قال المدير:

- نعم ولكن اغلبهم إننا في زمن الأحلام من غير عمل . لا أحد يريد أن يتعب والله يا فندم ابني كل لما احفي علي عمل يخرجني مع الناس إما لا يذهب أصلا أو يعمل مشاكل كثيرة

ويترك العمل أنه جيل غريب.

قال صالح:

- كل جيل وله ظروفه وهم ظروفهم صعبة.

قال المدير:

- نحن أيضا كانت ظروفنا صعبة حروب كثيرة خضناها و البلد

كانت ظروفها أيامها صعبة طوابير الجمعية والكساء الشعبي

فقال صالح وهو يتسم لا تخاف الطوابير رجعت في كل شيء

عموما احتفظوا بكل الأوراق وحافظوا علي ملفات كلية زراعة

بالدفع المحددة في مكان خاص.

كانت والدة مصطفى الأستاذة رقية في المدرسة في صباح السبت

وبينما تتحدث إلي احدي زميلاتها جاءت زميله أخري أسمها

نرجس وقالت لها:

- هل قدم ابنك في الوظائف الجديدة؟.

قالت والدة مصطفى لها:

- أي وظائف؟.

قالت نرجس:

- ألم تقرئي أهرام الجمعة؟.

قالت والدة مصطفى:

- لا فأنت تعلمين لا نقرأ الجرائد.

فقالت نرجس:

- إعلان وظائف لكلية الزراعة وابني سيتقدم لها اليوم.

قالت والدة مصطفى:

- أليس أبلك خريج تجارة؟.

إجابتها نرجس:

- تجارة أو زراعة أي وظائف نقدم فيها فليقدم ابنك غدا وأعطتها العنوان .

قالت والدة مصطفى:

- هل هناك شروط معينة؟

أجابت زميلتها وهي تضحك:

- شروط ؟ يذهب غدا ليقدم أوراقه وخلص أي شروط فليقدم هذا هو ما عليه فعله .

أمسكت والدة مصطفى بالمحمول وتحدثت بسرعة لأبنها يا بني أذهب غدا للتقديم في المسابقة.

قال مصطفى:

- أية مسابقة يا أمي؟

- قدم وبعد ذلك افهم خذ العنوان.

- كما تريدي يا أمي غدا بأذن الله سأقدم الملف يا أمي .

في صباح اليوم الثاني يوم الأحد وصل السيد صالح للمقر ودخل إلي مكتبة وانتظر الساعة التاسعة ولاحظ أن الأعداد معقولة جدا. ووصل السيد محمود إلي المقر وأخذ ينظر في كل مكان ل يبحث عن أي من الشباب الثلاث حتى رأى مصطفى يقف مستندا إلي الحائط ينظر في صور مستنداتة فاقرب منه وانتظر أن يبدأ هو في الكلام وبالفعل اقرب منه في خجل والقلق يسيطر عليه وقال له لو سمحت قلم أصل قلمي خلص وأريد أن أكمل كتابة البيانات في الاستمارة.

قال له السيد محمود أفضّل لا تقلق تعالي لنملئ معا البيانات وبدأ يكتب معه الاستمارة و تبادلأ أطراف الحديث سويا وسأله السيد محمود عن سنة التخرج وأين يعمل فقال له عن مكان

عملة وأكد انه كتب بالفعل في الاستمارة أنه لا يعمل وتعرف من خلال الحديث معه علي جوانب كثيرة من شخصيته وذلك لأنه ضابط محنك يستطيع بسهولة فهم الآخر والتعرف عليه. وفجأة تحدث إليه مصطفى وقال له تعالي لنقدم لقد فتحوا الشباك.

فقال له محمود لا أفضل أنا سأنتظر صديقي.

وقف مصطفى في الطابور وانتظر دورة بهدوء حتى وصل إلي الشباك وكان صالح قد لمحة من قبل وعندما وصل إلي الشباك اظهر التجهم في وجهه وتحدث إليه قائلاً أنت يا فندي قف منتظماً علي الشباك.

قال مصطفى وهو متعجب ومضطرب أنا... حضرتك هل تكلمني..أنا؟.

- نعم أنت أقف عدل.

فقال في توتر حاضر ممكن تأخذوا الورق مني أفضل يا أستاذ وأعطاه للموظف علي الشباك وانسحب سريعاً والعرق يتصبب منه.

لمحة محمود وهو مضطرب فاقترب منه وقال له مالك؟ ماذا حدث؟.

فقال وهو يبلع ريقه أنا لا أعرف ماذا فعلت فمن يبدو انه المدير تعامل معي بعنف علي الشباك ففهم أنه صالح ولم يعطه مصطفى الوقت وأنسحب سريعاً من أمامه معتذراً عن تأخره علي عمله.

انتظر السيد محمود وقد اسند ظهره إلي شجرة فقد بدا يشعر بالإجهاد وقاربت الساعة الثانية ولم يظهر أحد . وظل

ينتظر وبدأ يفكر لو لم يأتي الشبان الآخرون ماذا سيفعلون هل يكتفون بمصطفي وهو يري شخصيته ليست قوية . هل ينظمون مسابقة أخرى مثلاً أم يفكروا في طريقة أخرى . ولماذا لا يتعاملون مباشرة معهم ؟ وبينما هو منهمك في التفكير إذ بصوت يحدثه ممكن قلم يا كابتن و لم يتردد محمود وأعطاه القلم فلقد كان هذا الصوت هو صوت عادل المنتظر فأخذ القلم وملاً الاستمارة ثم ذهب مباشرة إلى الشباك ليقدم الطلب ولم يشكره أو يرد له القلم . تعجب السيد محمود من شخصية هذا الشاب وتقدم نحوه ليطالب منه رد القلم لعلها تكون وسيلة للتعارف عليه فقال له القلم لو سمحت بحث عادل في جيوبه وظل فتره حتى وجد القلم وأعطاه للسيد محمود وقال له أنا أسف لقد نسيت هل أتيت لتقدم أوراقك .  
ولم يفتح محمود فمه.

قال عادل:

- هل أنت خريج كلية زراعة ويا تري من الدفع المطلوبة؟.  
قال محمود طبعاً ماذا تظن أنت؟ وتغيرت شخصية محمود  
للتعامل مع عادل وقال سأحصل علي الوظيفة.  
قال عادل:

- ما كل هذه الثقة من وسطتك؟.

- من أنت أولاً؟.

- أنا عادل فهمي.

- يعني حسين فهمي ولا حكمت فهمي.

ضحك عادل وقال لا يا عم لا حسين فهمي ولا حكمت فهمي.

فكرتني فيلم حكمت فهمي كان شديد شغل المخبرات علي

حق.

فقال محمود متهكما و آيه يا كابتن أنا من عشر سنوات لم  
أسمع هذه الكلمة

فقال عادل ولماذا أنت غاضب خلاص يا مان سيبك من هذا  
الكلام تعالي نقدم

فقال محمود لا يا مان أنا سأنتظر واحد صحي.

وقف عادل في الطابور غير مستقر فهو يتحدث مع الذي إمامة  
والذي خلفه ولا يتوقف عن الكلام ولاحظه السيد صالح فانتظر  
حتى اقترب من الشباك وفجأه لماذا تتحرك في الطابور يا  
أفندي؟.

ابتسم عادل وقال والله أنا أقف عدل.

قال صالح:

- أقف عدل.

قال عادل مبتسما:

- عدل يعني شمال ولا يمين يا سعادة الباشا.

قال صالح:

- لا في الطابور يا أبو دم خفيف.

قال عادل.

- هكذا يا باشا.

قال صالح:

- نعم ولا تنتظ مثل فرقع لوز.

قال عادل:

- وسأسكت ساكت أيضا.

وأعطي الورق للموظف وانصرف مبتسما كأن شيء لم يحدث ولمحه

محمود فقال له مع السلامة يا كابتن ولا يا مان فرصه سعيدة الله لا يعودها واستمر يضحك. ظل محمود ينظر إليه وهو يمشي حتى غاب عن عينه وقال في نفسه الثاني وانتظر فرج الله. ومر اليوم الثاني ولم يأتي الشاب الثالث وانتظر السيد محمود والسيد صالح ما سيسفر عنه اليوم الثالث.

وصل السيد صالح إلي مقر التقديم في صباح اليوم الأخير وجلس في المكتب خلف الموظفين ينتظر الشاب الأخير محسن وتعهد أن يعلق علي بعض الشباب حتى لا يشك الموظفون في أي شيء.

كان السيد محمود قد وصل هو أيضا وانتظر محسن ومرت الدقائق والساعات ولكن دون جدوى . قاربت الساعة الخامسة ولم يصل محسن وأخذ محمود ينظر حوله وينظر في ساعته حتى فجاهه محسن والذي يمشي علي استحياء.

فتهلhel وجهه وقال له أسرع ..أسرع حتى التحق محسن في الطابور فقام الموظف ثروت وقال له أنت يا فندي خلاص الساعة الآن الخامسة.

فقال محسن لم تصل الساعة الخامسة بعد.

فقال ثروت خلاص خلصنا ما هذا القرف.

بدا الغضب علي وجه محسن وقال له أحترم نفسك.

نظر محمود لصالح ليتحرك سريعا فقال صالح للموظف خذ منه الملف و الموضوع لا يستحق كل هذا.

فقال ثروت هل أخذه منه يا فندم؟ يا أستاذ.. يا أستاذ تعالي اليه أمر.

لم يرد محسن واستمر في السير فخرج محمود من الطابور ليلحق به ونظر إليه. الموظف وقال له دعه يذهب فلم يستمع إليه

محمود وقال في نفسه يا رجل حرام عليك المسابقة كلها معمولة له.

ولحق بمحسن وقال له تعالي ارجع دعك من كلامه أنت مالك وماله رئيسه قال له يأخذ الملف منك وامسك يده بهدوء وقال له قف ... قف حتى أتحدث معك.

وقف محسن إنهم موظفون في بعض سياخزون الملف و يرمونه فيما بعد لن يقف معي ضد زميله هذه حركات محفوظة واستمر محمود يحاول مع محسن دون جدوى

فقال صالح للموظف أنا لا اسمح لأي موظف أن يعامل الشباب بهذا الشكل ولا بد أن ترجع لي أولاً.

تدخل المدير وقال يا فندم يذهب إليه ويعتذر له إذا كان هذا يرضيك.

فقال صالح المهم يرضيه هو.

خرج الموظف مسرعا ليلحق بمحسن والسيد محمود وهو شديد الغضب وعينه مملوءة بالغدر وأخذ يتودد لمحسن حتى يرضي عليه وجذب من يده الملف حتى كاد أن يقطعه فاضطر لمحسن للعودة معه للشباك ووقف في الطابور ورفض أن يتخطي زملائه وأصر علي ذلك وأعطى محمود الملف للموظف ثروت الذي قال له هو ناقص امضي من المدير خذ ملفك مع السلامة ويقولوا خريجي جامعه؟.

نظر السيد صالح سريعا للموظف ثروت وقال امضي من من؟ أنضع قوانين من عندك؟.

قام المدير مسرعا جلس هو مكان ثروت واستلم باقي الملفات سريعا وأغلق الشباك وذهب مسرعا للسيد صالح وترجاه ألا

يعاقب هذا الموظف لأن عنده أولاد وكان صالح مصمم علي معاقبته . ولكن المدير وزملاء الموظف ثروت ظلوا يحاولون معه.. فقال لهم جمعوا ملفات اليوم ورتبوها أولا ثم سنري.

جلس محمود مع محسن وشكر محسن محمود لوقوفه معه وعرف محمود نفسه باسم مدحت وقال محمود لمحسن لماذا كنت عصبيا هكذا واخبره بما حدث له طوال اليوم وعن سوء معاملة اغلب الموظفين للمواطنين .

واستطاع محمود مجاراته لمحسن في الحديث بل وذكر قصص عن سوء معاملة الموظفين له هو أيضا فكانت منها ما هو وهمي ومنها ما تعرض له حقيقة قبل أن يلتحق بالمخابرات ومنها ما تعرض له بعد عمله بالمخابرات إما في مأموريات سريه أو حينما لا يعرف نفسه للموظف والذي يكاد تتغير معاملته له بمجرد أن يعرف أنه ضابط مهم فيكاد للأسف يسجد له سجودا .

أنهي الموظفون جمع الملفات أبجديا وجاءت سيارات لاستلام الملفات تابعه للمخابرات ولأنهم اعتادوا الدقة فقد تسلموا الملفات حسب السري الموجود فاكتشفوا أخفاء ملفين وتحدث أحد المسئولين بالمخابرات إلي السيد صالح والذي كان لا يشغله حقيقة إلا ملفات الشباب الثلاث وملف الضابط محمود الذي تقدم به . فوجئ السيد صالح أن الملفان كانا لمحسن ومدحت (الضابط محمود) ففطن سريعا أن السبب في اختفاء الملفين هو الموظف ثروت فغضب غضبا شديدا و استدعي مدير الإدارة و ثروت وسال ثروت مباشرة أين الملفان الناقصان؟.

حاول ثروت الكذب والتملص من المسئولية فهو لم يكن يعرف أهمية الملفين فادعي ربما ضاع في زحام الملفات.

قال صالح:

- مره أخري أين الملفان وقد ضاق به ذراعا فلم يحرك ساكنا. وجه السيد صالح أمر لأحد الجنود التي تحمي المبني فاستخرج من تحت ملابسه الملفين وقد أصابهم البلل من فرط عرقه وهنا ارتقي ثروت علي قدم صالح ليسامحه من أجل أولادة رفض صالح نهائيا وصمم علي تحرير محضر بذلك واستدعي الشرطة وقبض عليه ولم ينفعه بكاءه ولا سجوده ولا توسل مديره وزملاءه اجتمعت مجموعة لمناقشة ما وصل إليه كلا من صالح و محمود ولكنهم لم يستطيعوا اتخاذ قرار مناسب لذا أقترح رأفت أن تجري اختبارات علمية يضعها بعض أساتذة كلية الزراعة ويصحها الأساتذة في نفس اليوم وأماننا منعا للفساد وتكون نظري وشفوي وبهذا نراقبهم عن قرب من ناحية ونعرف مستواهم العلمي من ناحية أخري.

وفي يوم الامتحان أجري الاختبار في الوقت المحدد وكانت الكاميرات تراقب تصرف الشباب الثلاث خاصة وباقي الشباب عامة . وقد تعجب السيد خالد المسئول عن متابعة الاختبارات من تفشي الغش بين الشباب بشكل كبير وغير متوقع والأكثر من ذلك البرشام الذي كان مع الطلبة للغش.

وحدث ما لم يكن يتوقعه أحد كان مع أحد الطلبة نموذج للإجابة علي الأسئلة وكان هذا يعني تسرب الامتحان لكن أفضل ما اسعد خالد أن أحد من الشباب لم يقيم بأي مخالفة

وتسلم السيد خالد النتائج من الكنترول وراجع النتائج مع أحد الأساتذة الثقة ليعيد تقييم النتائج للشباب الثلاث وكان محسن من أفضل الإجابات يليه مصطفى بفارق قليل ثم كان عادل

بإجابات متواضعة . وقد حدد موعد للكشف الطبي للشباب الثالث وبعد أخذ عينات الدم أرسلت للمعمل الجنائي لتحليلها . أخذ يقرأها علي مهل فصيلة دم محسن o تمام مثل يوسف و مصطفى أيضا وعادل صمت قليلا ثم نظر إلي التقرير مرة أخرى وقال ماذا يعني هذا وأخذ يقرأ هناك خطأ ما عينة الدم لها نفس الشفرة الوراثية التي تم تحليلها من قبل لشخص أسمة يوسف يعقوب داود يرجي إرسال فصيلة دم أخري للشخص الأخر . استمر ذهول السيد حلمي ولا يدري إن كان ما يسمعه حقيقة وهل هذا التحليل دقيق أم خطأ وقام من فورة علي مكتب العميد بكري أعطاه التقرير وطلب منه أن يقرأه وبدأ السيد بكري يقرأه وأصابه الصمت لفترة طويلة وقال ما معني هذا ؟ سكت مرة أخرى ثم قال ما أعرفه أن الشفرة الوراثية لا تتكرر فما معني هذا؟.

جلس العقيد حلمي وقال هذا معناه لو صح انه قد حدثت معجزة.

ولكن علنا أن نتأكد من صحة الأمر أولا وهذا يعني أنه لابد من أخذ عينه دم جديدة من عادل تحت أعيننا ونعيد تحليلها. اتصل السيد حلمي بعادل وقال له أن يأتي غدا لمقر المركز الطبي لأخذ عينة أخري لانكسار الأولي واستمر السيد حلمي مع عينة الدم حتى حصل علي النتيجة وكانت كما قالوا من قبل هي عينة ليوسف.

شعر فريق العمل أن هذه هدية من الله ولا بد من استغلالها بأفضل الطرق ولكن السيد بكري قال لهم أنه لابد من إرسال كل ما وصلنا له إلي الجهة السيادية لأنها صاحبة العملية

ومن المؤكد أنها لها وجهة نظر قد تكون مختلفة عنا. تعجب الضباط من كلام السيد بكري فكيف يعطونا هم الثقة الكاملة وهو يسحبها منهم وهل من الممكن ألا تختار عادل الذي له نفس الشفرة الوراثية. ولكنهم احترمو قراره وانتظروا رأي الجهة السيادية.

بعد يومين طلب السيد بكري الاجتماع مع مجموعة العمل. وابلغهم بان الجهة السيادية اختارت محسن لهذه العملية. تعجب الضباط من رأي الجهة السيادية والتزم السيد حلمي الصمت.

ولكن الضابط رأفت قال يا أفندم عندنا نسخة طبق الأصل من يوسف ولماذا نتركها ونأخذ مخاطرة كبيرة؟.

قال العميد بكري أنه لابد لهذه الجهة أن يكون لها وجهة نظر وممكن مناقشها لو رأينا الخطوة خطأ ولكن لما القلق من نقطة الشفرة الوراثية إسرائيل لن تلجأ إليها إلا في حالة الشك ولا بد أن تتذكروا أن إسرائيل هي التي ستسعي لتهجير يوسف وليس العكس وبالتالي لن تشك فيه ولن تصدق أنه وافق علي الهجرة لأنها تعلم يرفضه الهجرة وانه غني جدا يعني سيفيدها ماديا وهو أيضا ذكي ومؤهل عالي وثقة كما أنه يهودي من أصول يهودية حقيقية وبالتالي ليس هنالك خوف ونحن نستطيع أن نؤمن الحماية لمحسن والشفرة الوراثية من يوسف أو عادل إذا لزم الأمر.

ولابد أن تتذكروا دائما أنه من خلال متابعتنا للشباب الثلاث كان محسن دائما أفضل وتدريبه سيكون أسهل وكلكم كنت متحمسون لمحسن والحمد لله أنهم لم يختاروا مصطفى. وعادل

الميزة الوحيدة فيه أن له نفس الشفرة الوراثية ليوסף. قال محمود كلام حضرتك مضبوط ولكن عادل عنده ميزة لا يمكن تعويضها و لا يمكن تمر مرور الكرام من غير أن نستغلها. قال السيد بكري هذه هي ظروف العملية وقد نحتاج عادل تحت أي ظروف أثناء العملية. المهم نبدأ مع محسن بسرعة يجب وضع خطة لتجنيده وتدريبه وبسرعة.

تذكروا أيضا كيف بدأ محسن التدريب المستمر والمرهق يوم بعد يوم فكان عليه إتقان اللكنة العراقية بشكل جيد وخاصة طريقة كلام أهل بغداد واليهود منهم حتى جاء يوم الخميس وقابل الرائد محمود محسن وأخبره أنه سيعود اليوم لبيته فسر جدا محسن بذلك.

وصل الرائد محمود لمكتب العميد وأبلغه بتفاصيل الأيام السابقة وكيف تجري الأمور مع محسن و استمع لعدد من نصائحه ثم عاد مسرعا إلى المزرعة.

بدأت تدريبات مكثفة لمحسن بعد عودته وأيام عمل طويلة حتى بدأ الإجهاد و التعب والتوتر على محسن وشعر بذلك الرائد محمود وكل مجموعة العمل فاصطحبه الرائد في جولة في شوارع القاهرة وتناولوا معا العشاء في مركب عائم ورفض الرائد أي حديث عن المهمة مع محسن رغم محاولاته ثم عادا معا إلى المزرعة ووعد الرائد محسن بإجارة يومين عند انتهاء هذه المرحلة من التدريب وكان للرحلة تأثير جيد على محسن وبدء ثانية بجهد واجتهاد حتى حصل على أجازته.

التقى الرائد محمود العقيد حلمي وناقشا معا سير المهمة وسفر الرائد صالح للعراق والذي سافر في صباح اليوم التالي العراق

ليتدبر كل شيء يخص المهمة والتقني السيد كمال المسئول عن ملف العراق ووضعا اللمسات الأخيرة لوصول يوسف الجديد إلي بغداد.

عاد خالد ومحمود للمزرعة بعد لقاء العميد بكري والتقيا محسن واخبراه بأنه يسير بشكل جيد في تدريباته ومكافأة له سيلتقي العميد بكري والعقيد حلمي.

سعد محسن بتفوقه في التدريب ولكنه خشي من لقاء العميد بكري والعقيد حلمي فهو يعلم أنهم سيتحدثون معه في أمور هامه خاصة بالمهمة وأنه لم يلتقي ضباط كبار من قبل وخاصة أنهما من المخابرات وظل يفكر أثناء التدريب في يوم المقابلة ولاحظ ذلك السيد محمود وطلب منه أن يفصل نهائيا بين ما يحدث في داخل الغرفة وما يحدث خارجها سواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ولا بد له أن يتعود علي ذلك

التقي محسن العميد بكري والعقيد حلمي و أخبراه بكل تفاصيل العملية وما الدور المطلوب منه بالضبط في المرحلة المقبلة. خرج محسن من الغرفة والدنيا تدور به وهو لا يستطيع نقل قدميه كأنه يحمل الكرة الأرضية بأكملها علي ظهره . وبدا علي وجهه من التعب والإرهاق ما يجعل الناظر إليه يظنه قدي تعدي الستين من عمره بل لعله تعدي السبعين , ورغم محاولات محمود وخالد أن يخرجاه مما هو فيه ولكن دون جدوى ووصل بصعوبة إلي غرفته وارتمى علي السرير وأخذ يفكر فيما وضع نفسه فيه وكيف ورط نفسه وجهاز المخابرات . وأصبح علي يقين أنه لن يكون قادرا علي القيام بهذه المهمة وقال لنفسه لابد أن أخبرهم أنني لا أصلح للمهمة وظل يفكر حتى غلبه النوم وراح

في ثبات عميق.

استيقظ محسن مع أذان الفجر فقام وصلي ثم جلس يدعوا الله أن يهديه ثم استلقي علي ظهره وأخذ يفكر ثم تذكر كلام الأستاذ عبد الغني والآية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ).

عزم علي أمر ما وأنتظر الساعة الثامنة وانطلق إلي مكتب السيد خالد فوجد السيد محمود موجود معه فقال إنا لا أصلح للمهمة. قال خالد:

- يا بني قول السلام عليكم... صباح الخير أولا.

فقال محسن:

- السلام عليكم . وصباح الخير ... أنا لا جبان ولا خائف علي نفسي ولا رجعت في اتفاقي معكم ولكن .....

قال خالد وهو يبتسم وكذلك كان محمود:

- ولكن هذه هي المشكلة.

قال محسن:

- أضحك كما تشاء فأنا لم أنام طول الليل وباختصار أنا لا أصلح للمهمة ولا أنك مصرون علي فانتم أحرار وأنتم الخاسرون.

قال خالد وهو يضحك:

- لم تنم ؟. الخفر كلهم كانوا يشتكوا من صوت الشخير حتى من يحرس منهم حول المزرعة.

قال محسن وهو يبتسم:

- أنتم أحرار أنا قلت ما عندي ويا ليت يصل هذا الأمر لسيادة العميد و الكلام يكون مسجل حتى لا يلومني أحد فيما بعد.

فقال خالد :

- ولو قلت لك انك أفضل واحد للمهمة و تقدر تعملها بكل بساطة.

قال محسن:

- أنا قلقان وخائف.

قال محمود:

- هذا أمر طبيعي يا محسن لابد من بعض القلق وإلا الغرور يخدعك وتفشل فلا بد أن يكون عندك أمل ورجاء و ثقة كذلك. وستتدرب لتكون واثق وليس مغرور ليس أمامك سوى عشر دقائق تفطر وتشرب الشاي أمانا مهام كثيرة اليوم.

قال محسن وهو يخرج من الباب و ينظر إليهما:

- أنا عملت ما علي وربنا يستر السلام عليكم اللهم بلغت اللهم فاشهد.

في نهاية الأسبوع عاد محسن إلي بيته وتحدث معهم أن هناك فرصة سانحة للسفر إلي ألمانيا لاستكمال بحثه وحلم عمره. حشت أمه عليه وقالت له الغربية صعبة خليك و سطنا يا بني ولكن والده حمسه وقال له سافر يا بني وادرس وحقق طموحك أنت إنسان طموح والبلد ستقتل طموحك وستقتلك أنت نفسك لذا سافر الفرصة لن تتكرر مره ثانية. حاولت أمه أن تشنيه ولكن كان أباه وأخوته جميعا يشجعونه ولا يعرف أحد منهم أنهم يرسلونه لمحنة عمره.

أخذ محسن أجازة طويلة مع أهله ثم جاء يوم السفر وسلم علي أهله وأحتضنهم كلهم مرة واحدة وهو يبكون حاول أن يبدو متماسكا لذا أخفي دموعه وتركهم وهم يبكون وركب

السيارة مع والده وأخويه حتى وصل المطار وسلم علي والده وأخوته وكانوا يبكون وهو أيضا بكى ثم دخل إلي المطار وهو ينظر إليهم يودعهم فهو لا يعلم أن كان سيراهم ثانية أم لا.

قابله السيد خالد وأصطحبه إلي خارج المطار وعلم محسن انه بدأ مرحلة جديدة في التدريب وأن المراحل الأصعب قد بدأت ولم يعد له أي حزن ليرتمي فيه في الأوقات العصيبة .. وظل يردد في نفسه وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد.

عاد محسن لتدريباته وها هو يتقن اللكنة العراقية وبل ولكنتا المناطق المختلفة وتعرف علي عادات وتقاليد الشعب العراقي. وكان عليه أن يتقن معرفة يوسف وأن يستطيع محاكاته في كل شيء صغيرة وكبيرة وعمل علي ذلك كثيرا وانتابته حالات مختلفة من الثقة والإحساس بالفشل ولكن كان يسأل نفسه دائما من يوسف وأين هو ولماذا يوسف بالتحديد يقوم بدوره . ولماذا هو محسن الذي يقوم بدور يوسف . هل يوسف مسجون ؟ هل يعلم هو بالتفاصيل وموافق علي ذلك؟. وهل هو حي؟. كانت هذه التساؤلات وغيرها تدور في باله وكلاما هم أن يسأل عنها كان يتذكر أنهم قالوا له كل شيء بأوان ولا تتعجل فيسكت ولكن الأسئلة تستمر تراوده ويتمني أن يعرف يوسف وجها لوجه لأن ذلك سيكون له تأثير ايجابي عليه ويساعده علي تقمص شخصيته ولكن هيهات ... هيهات.

دخلت مرحلة التدريب ساعتها الأخيرة وكان لابد لمحسن أن يجري بعض الجراحات ليصبح صورة طبق الأصل من يوسف . كانت حالة محسن النفسية سيئة جدا فقد كان يحب شكله تماما ومتصالح معه لا يريد تصغير أو تكبير أي جزء في جسده وكان

يقول في نفسه كيف سأنظر في المرأة كل يوم لأري نفسي فأري شخص آخر . كيف سأحدث مع نفسي وأنا أري شخص آخر . لم أدري أن هذا الإحساس صعب لهذه الدرجة إلا عندما أصبحت بالقرب منه . وهل يمكنني أن أعود لشكلي الطبيعي بعد المهمة . وهل سأشعر بنفسي إن رجعت إلي شكلي القديم . هل سأتمنى لو عدت لشكل يوسف أم سأفرح لأنني عدت محسن . وماذا عن أصابع القدم وجراحتها .

كانت حالة محسن تستدعي أخصائي نفسي وصديق . كان الأخصائي النفسي يقوم بدور شاق إلا أنه أكد أن محسن بحاجة لصديق يفضض معه ويشعره بالحب .

تطوع محمود لذلك لأنه بالفعل يحب محسن ولأنه يعلم أن محسن يحبه . وكان يجلس معه لساعات طويلة يحاول من خلالها كسب ثقته وتهيئته للعملية .

بالفعل نجح محمود في ذلك وازدادت الثقة والمودة بينهما وتكشف لمحمود جوانب كثيرة لم تكن واضحة في شخصية محسن وأصبح يحسن التعامل معه بشكل ممتاز ويعرف جيدا ردود أفعاله .

دخل محسن إلي غرفة العمليات ويدور في رأسه أمور كثيرة ولكنه من الغريب أنه لم يتفوه ببنت شفه أثناء العمليات أو بعدها رغم جرعات المخدر الذي أخذها فقد كان المخدر يفقد تأثيره معه ويبدأ يدرك فيعطيه أخصائي التخدير جرعات إضافية ومع ذلك لم ينطق ببنت شفه .

كان لهذه النقطة أهميه خاصة عند مجموعة المهمة فقد أسعدتم وازدادوا ثقة في محسن لأنه وهو تحت تأثير المخدر أستطاع أن يتحكم في عقله الباطن ويخفي كل شيء عن المهمة .

كان من الممكن لمحسن ألا يستطيع التحكم في عقله الباطن تحت تأثير المخدر ولكنها قدرة خاصة أراد فريق المهمة أن يسألوا محسن هل فعلا كان يحارب من أجل ألا تخرج أسرار المهمة أم أن طبيعته الكتومة هي التي تسبب في هذا. ولذلك كان هذا هو السؤال الأول المنتظر لمحسن بعد زوال تأثير المخدر . لذا بعد وقت حاول السيد محمود والسيد خالد أن يوبخانه علي ما تلفظ أثناء العمليات الجراحية ولكن بدا محسن متأكدا أن هذا لم يحدث. تعجب خالد ومحمود من ذلك وحاولوا أكثر من مرة إلا أن محسن بدا متأكدا وواثق من أن هذا لم يحدث. وعندما أخبراه بالحقيقة وطلبوا منه أن يخبرهما لماذا هو واثق من هذا . قال هو مجرد أحساس لا أكثر ولأنه يشعر أن تفاصيل المهمة موجودة في جزء من عقله لا يمكن أن يصل إليه حتى عقله الباطن أستمر محسن تحت الملاحظة وهو لا يستطيع الحركة ووجهه مغطي بالشاش لعدة أيام.

أفاق في احدي الليالي فوجد نفسه نائم في غرفة عادية ليست في المستشفى ويرتدي ملابس غريبة عليه فقام وجلس علي احدي جوانب السرير ثم قام وفتح أنوار الغرفة وذهب ليفتح الباب فرأى في المرأة ما أذهله فالتفت إلي المرأة وقال يوسف . أنا...أنا محسن

أنا يوسف ؟ لا ...لا يمكن أنا محسن أنا متأكد من ذلك.  
في الحال دخل السيد خالد وقال كيف حالك يا يوسف؟.

قال محسن:

- أنا محسن يا سيد خالد.

قال خالد:

- أنت كل يوم تطلع لنا باسم يا يوسف نحن نعرفك جيدا  
ونعلم انك جاسوس إسرائيلي  
- لا...لا ..لا أنا متأكد أنني محسن وأنت السيد خالد.  
- لا أنت محسن ولا أنا خالد.  
- أنا محسن أم أنت فلست متأكد.  
قال خالد وهو يبتسم:

- لا بد أن تكون يوسف وليس محسن أنسي كل شيء عن محسن  
نهائيا  
أصبح يوسف الجديد صورة طبق الأصل من يوسف في كل شيء.  
ولم يعد أمامه إلا معرفة حبيته راشيل فتحدث إليه السيد حلمي  
قائلا:

- راشيل منير بنيامين شابة يهودية عراقية كانت تسكن مع  
عائلتها في البصرة بجوار عائلة يوسف ونزحوا سويا إلي بغداد قبل  
هجرتها مع أهلها لإسرائيل. كان في قصة حب عنيفة بين يوسف  
وبينها وعرض السيد خالد صور قديمة وحديثة عنها وقال يوسف  
كان يحبها جدا ولم يقدر علي نسيها نهائيا. حصلت راشيل علي  
كلية إدارة الأعمال من جامعة تل أبيب وعملت لفترة في شركة  
سياحية وتعمل الآن في شركة تجميع أجهزة الالكترونية. من المؤكد  
أن الموساد سيستخدمها كورقة أخيره للضغط علي يوسف للهجرة  
لإسرائيل.

قال محسن متسائلا:

- لما لم يستخدمها الموساد من قبل؟.

قال حلمي مستطردا:

- لعدة أسباب أولا راشيل عندما وصلت إسرائيل دخلت في علاقة

مع شاب إسرائيلي لفترة طويلة وبالتالي هي رفضت تتعامل مع الموساد ولكن بعد انتهاء العلاقة مع الشاب والذي ترك تأثير سلبي جدا عليهم حيث كان يسيء إليها كثيرا وبالتالي ستحن لحبها العذري القديم. ثانيا دخول اليهود وخروجهم قبل احتلال الأمريكان للعراق لم يكن سهلا.

ثالثا والد يوسف كان رافض نهائيا السفر لإسرائيل ولو يوسف حاول كان معناه انه سيسافر إسرائيل فقير ولكن بعد وفاة والده أصبح يوسف مليونير وبالتالي مرحب به جدا في إسرائيل. في نقطة مهمة لازم تعرفها يا يوسف أنك سبق ودخلت في مشكلة كبيرة مع والدك لما هجرت راشيل مع أهلها لأنك حاولت تقنع والدك بالهجرة وراء حبيبته وكان بينكم نقاشات طويلة وخلافات لذلك إسرائيل تظن أنها تقدر تأثر عليك بشكل أكبر بعد وفاة والدك. علاقتك براشيل ستكون معقدة جدا لأنك لا بد أن تحبها جدا وتكرهها جدا

ابتسم محسن وقال:

- و كيف؟.

قال خالد:

- لازم تحبها جدا كيوسف الشاب الإسرائيلي ولازم هيا تشعر بالحب ولازم تكرها جدا كمحسن الشاب المصري الذي في مهمة قومية لبلدة ولا بد أن لا تشعر هي بذلك.

قال محسن:

- الموضوع صعب جدا.

قال حلمي:

- لازم تعرف متى تكون محسن ومتى تكون يوسف وهذه هي

آخر مرحلة في التدريب وبعدها بالضبط ستسافر مباشرة. ابتلع محسن ريقه وقال وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد.

جاء يوم السفر وركب السيارة متجها إلى المطار وتمني أن يري أهله ولكنه كان يعلم أن هذا مستحيلا وظل يعزي نفسه في الطريق ويقول لنفسه أنا في مهمة وطنية عظيمة ولازم أكون اقوي من ذلك وكان يرافقه متنكرا إلى المطار السيد محمود ونزل من السيارة واحتمل حقائبه وكان في حاجة إلى حزن يطمئنه حتى فكر أن يوقف أي إنسان ويدعي أنه يعرفه ويحتضنه ولكن السيد محمود وفر عليه كل هذا واحتضنه بقوة وتبادل معه يوسف الحزن ثم سار إلى داخل المطار.

في مطار بغداد نظر في المرأة فإذا بيوسف يقف أمامه فسلم بالأمر الواقع ورضي به. لم يكن سهل علي محسن أن يسكن في بيت يوسف وهو بيت ليهود لم يعرفهم أو يعاشرهم من قبل رغم انه تعلم عنهم الكثير ولكن يسكن مكانهم فكان صعبا جدا فكيف ينام علي سرائرهم ويأكل في أطباقهم وعلي موائدهم ثم سيصلي معهم ويتبارك بحاخاماتهم . كانت كل هذه الأمور صعبة جدا وهو مازال بالعراق فكيف به في إسرائيل. استطاع يوسف أن يتغلب علي هذه الأفكار وبدأ يتعامل بدون عواطف مع هذه الأمور . ونام علي فراش يوسف ولكنه لم يطعم شيء في ليلته الأولى.

خرج يوسف من البيت فإذا بوجه صبوح يقول له حمدا لله علي السلامة يا بني يوسف وقد ذكرته بأمه شكر لك كيف حالك يا ست زينب؟.

قالت زينب:

- الحمد لله كيف كان سفرك إلي مصر كيفها مصر وكيف أهلها؟.

قال يوسف:

- بخير كما هم يضحكون ويبكون في آن واحد.

- شكلك متعب ومجهد.

- قليلا من اثر السفر ولكني بخير لا تقلقي .

استأذن من السيدة زينب ثم نادي عليها يوسف وقال لها انه اشترى لها هدية تذكارية علي شكل علبة شوكولاته خشبية عليها نقوش فرعونية فلم تصدق نفسها وشكرته

خرج يوسف من البيت واتجه إلي المحل وكان طوال الطريق يتذكر ما يجب عليه فعله أمام محمد لأنه يعلم أهمية هذه الخطوة مع الأخذ في الاعتبار الأهمية القصوى للقاء صديق والده بنيامين لذا قرر تأجيلها إلي اليوم التالي ليطمئن أولا من ناحية محمد

وكان يسير وقدماه تتقدم خطوة وترجع خطوة إلي الوراء حتى وجد نفسه أمام المحل فتشجع ودخل إلي المحل وقال السلام عليكم.

أقبل إليه شاب يتسم عليكم السلام يا هلا بك حمدا لله علي السلامة كيف حالك؟

قال يوسف بخير الأمور كانت جيدة.

قال محمد الحمد لله علي السلامة متى وصلت؟.

قال يوسف مساء أمس وأراد أن لا يتكلم كثيرا فأخرج من جيبه ميدالية عليها تمثال صغير لتوت عنخ أمون وأعطاه له. سعد محمد بالهدية وشكره.

سأل مباشرة علي المبيعات في أثناء سفرة وأعتذر محمد لقله البيع نظرا لسوء حالة البلد ولكن يوسف أظهر أنه لا يكتثر لحال البلد المهم أن يعملوا ما عليهم ويهتموا بشغلهم حتى يتحسن البيع وقال ما في بيت يقدر يستغني عن الأجهزة الكهربائية أمسك محمد بالدفاتر وأعطاهها ليوسف وقال راجع البيع علي العموم كان البيع أحسن بقليل من قبل سفرك والآن عليك تعرف ماذا سنفعل في المستقبل.

امسك الدفاتر وتظاهر بالاهتمام والغضب من سوء المبيعات وحاول محمد تهدئته وأعطاه أمل في الغد ولكن دون جدوى. انتظر يوسف مرور الوقت بفارغ الصبر فكان يشعر بالملل من ناحية ومن ناحية أخرى يخشي من أي أخطاء تصدر منه أمام محمد , فمحمد كان يجلس معه طوال اليوم ولمدة سنوات طويلة وأنه كان علي يقين أنه يعرفه جيدا وبينهما أمور لا يمكن أن يعلمها غيره بحكم الصداقة وطول فترات العمل بينهما وكان ينظر إلي خارج المحل لعل أحد يدخل ويضيع جزء من الوقت ولكن دون جدوى وكان بين الحين والآخر وعلي فترات متباعدة يدخل شخص ما ليساءل عن ثمن احدي الأجهزة ثم يخرج ولا يشتري شيء ومحمد يحاول أن يصبره ويقول له أن الله سيفرجها.

في اليوم التالي ذهب إلي المحل وتظاهر بالصداق حتى لا يتكلم معه محمد كثيرا وانتظر وقت الغداء وانطلق إلي صديق والده في المحل وهو يريد أن ينتهي هذا اللقاء سريعا وبنجاح. وصل يوسف إلي المحل ودخل علي صديق والده فنظر إليه فذكره بجده وأهله بمصر فأقبل عليه واحتضنه.

شعر يوسف بعلمات الاستغراب علي وجه الرجل العجوز وشعر

أنه اخطأ فقال له الرجل العجوز وهو ينظر إليه متعجبا هذه أول مرة تفعل هذا وسكت قليلا يتفحصه مما جعل يوسف يشعر بالخوف وابتلع ريقه بصعوبة ثم قال العجوز هل الغربة أثرت فيك؟ ولا بقيت عاطفي كما يقولوا علي أهل مصر. هداً يوسف وضحك ثم قال لما شففتك افكرت والدي والغربة جعلتني اشتاق لك ويمكن أكون بقيت عاطفي كما يقولوا علي شعب مصر.

قال له العجوز مبتسماً:

- كيف كان سفرك؟ وكيف حالك؟.

قال يوسف:

- كانت جيدة ولكن أجهدت كثيراً فيها ولما رجعت ولقيت حال البيع قليل حزنت كثيراً.

قال العجوز:

- لقد قلت لك سافر لإسرائيل وان لم تعجبك الحياة هناك فعد ثانية.

قال يوسف:

- والدي وصاني أبقى هنا ولم يسافر أحد إلي إسرائيل وعاد.

قال العجوز متعجباً:

- وما يمنعك؟ وان لم ترجع ستكون وسط اهلك فهناك كل أولادي و أقاربك ووالدك لو كان حي في هذا الوضع كان سيسافر وأنا أحب أطمئن عليك قبل ما أموت.

قال يوسف:

- حالي ومالي في العراق ولو بعث المحل سيكون بالخسارة ولو سبته وسافرت سيخرب أكثر مما هو خربان.

قال العجوز:

- ولما يخرب محمد أمين وتربية أبوك وأنا كل اليوم معه و تراجع كل شيء.

قال يوسف:

- فلنؤجل الحديث عن السفر لما ارتب الوضع ونري ما سيحدث ثم تناولوا الغداء سويا و عاد إلي المحل وانتهي هذا اليوم الهام بخير.

سار يوسف إلي بيته وأصبح علي يقين من انه لابد من شيء يبعبده عن المحل والرجل العجوز حتى لا يكشف أمره فلقد كان يوسف يعيش معهم فهو وان كان أفلت هذه المرة فلا يدري ما سيكون في الغد. فمن حسن حظه وهذا الحادث الذي نزل علي رجال المخابرات المصرية كالصاعقة خير ما حدث له فيما بعد فقد أعطاه بلا حدود فأصبح الجميع يتعاطف معه بعد فقدان الذاكرة بل ويحكي له بالتفاصيل الدقيقة كل ما كان بينهما من الذكريات حلوها ومرها حتى خرج من المستشفى وهو يوسف مائة في المائة . لم يفهم أحد ماذا حدث بالضبط كأن روح يوسف الحقيقة قد أتقلت إلي جسد محسن مع روحه التي ظلت داخله ولكنها علي الهامش فلا تشغل إلا حيزا صغيرا تخصص في حب ليلى فقط فكان يوسف في كل شيء إلا في الحب ولم تنجح روح يوسف في تغيير قلبه فلم تشغله راشيل بجمالها وأنوثتها الطاغية بل سيطرت عليه ليلى لذا عرف أين يخبئ يوسف ثروته من غير بحث بل وعرف كل ما في الصندوق إلا رسائل راشي .

كان القلق كبير في جهاز المخابرات من هذا الحب

الوليد لليلي لذا سافر محمود للقاء محسن. كان محمود يشعر بما يجول ببال وقلب محسن فمن من الناس لم يمر بتجربة حب لم تكتمل وشعر هو الآخر بحبه الأول الذي كاد أن ينساه وغني كلا منهم علي ليلاه . قام محمود ودخل إلي مطبخ الشقة وعاد وفي يده عدة أعواد من القصب و لم يتمالك محسن نفسه من الضحك فقد كان حكي مرة لمحمود أنه أذا كان حزينا فإنه يمتص القصب حتى لا يستطيع أن يحرك فكيه فينسيه ألم أسنانه وفكيه الم نفسه وكان يسميه خمر الشعوب فقال له كيف جئت بهذا القصب ؟ من العراق ؟ أم جلبته معك من مصر ؟. ناوله محمود عود من القصب وقال له يا بني مخابرات يعني لو تطلب لبن بقري نجيبه لك؟.

قال محسن و هو يمسك بعود القصب ويقشره بأسنانه ويضحك هل أضحي اللبن ألبقري من المستحيلات؟ ما هذا الزمن وضحكا بصوت عالي واستمرا في أكل القصب ثم قال له وهو جاد في حديثه الحب بينك وبين ليلى أصبح حقيقة والحب العفيف لن يقدر أحد أن يلومك عليه وخاصة أنك كنت فاقد الذاكرة ولكن لا بد أن تعرف أنه قد يؤثر سلبا علي المهمة وأنت عارف أن عليك واجب لبلدك والتزام ناحيتها بالتضحية بكل شيء من اجلها و لا بد أن تنسي ليلى نهائيا ومهما حصل لا تحاول رؤيتها نهائيا مهما كانت الأسباب.

فقال محسن وهو حزين يا سيد محمود القلب ليس ملكي وليس لي سلطة عليه وهذا هو أول حب حقيقي في حياتي ثم انهمرت دمعة من عينه وهو يقول لم أكن أصدق أبدا أني سألتقي هذا الحب ولا أني سأجد فتاة أحلامي والله لولاها لكنت وقعت

بين يدي راشيل سبحان من حماني منها لم أجد في حياتي ولا أظن أنني سأجد امرأة في أنوثتها بل وجمالها وان كان أنوثتها تطغي علي جمالها فليس النساء بجوارها بأثني فهي امرأة من طراز فريد ولكن حب ليالي فهي أمر آخر عصمني من الوقوع في حبها بل ربما سيطرت علي فهي تريد ذلك وتسعي له.

فقال محمود وهو متأثر من كلام محسن ولكن لا بد أن تسيطر عليه من اجل بلدك أنت مهمتك في العراق كانت أفضل مما تصورنا والحادث نفعلك جدا في معرفة كل شيء عن يوسف والجروح التي حدثت لك ستغطي علي أي اثر للجراحات التي تمت لك في مصر و لا بد أن يكون حبك العفيف لليالي حامي لك من أي خطيئة مع راشيل.

قال محسن أحب أن أطمئنك أن حب ليالي فعلا مع خوفي من الله وحيي لوطني سيكون عاصم لي من أي أخون بلدي أو اضعف أمام راشيل.

سعد محمود بكلام يوسف وقال له أنا شخصيا وكل فريق المهمة واثقين فيك بنسبة مائة في المائة ومتأكدين أنك دائما ستقدم المصلحة الوطنية علي كل شيء. مرحلة العراق الآن في أهم وأخطر وأخر مراحلها ونجاحك فيها سيوصلك إسرائيل بسهولة إن شاء الله .

قال محسن وهو سعيد إن شاء الله سأكون عند حسن ظنكم واقدر انجح في هذه المرحلة . وهم بالرحيل ونظر إلي محمود نظرة وعاد ومشى في هدوء إلي باب الشقة ثم التفت إليه وقال مصر وحشتني قوي وأهلي حتى من لم أكن أحبهم الغربة جعلتني أحبهم.

ابتسم محمود له وقال مصر أرسلت لك هذا الحزن وارقمي يوسف في حضنه وقال له محمود كيف حالة أسنانك؟ أنا أنهم سيخرجون بره.

فقال محمود وهو يضحك والله أنا لذي نفس الإحساس .. ثم التفت وفتح الباب وخرج والدمع في عينيه والابتسامة علي شفثيه.

اطمئن جهاز المخابرات مما قاله محمود لهم أصبحوا علي يقين أن اختيار محسن لهذه المهمة كان صحيحا مائة في المائة خاصة لأنه أصبح يوسف فيما يريدون ومحسن فيما يريدون ولم يعد ينقص محسن إلا أن تنقل روح يوسف معها صفات يوسف الوراثية ليصبح محسن هو يوسف بشكل كامل وكانوا علي يقين أن هذا سيحدث إن عاجلا أو آجلا. جعل هذا الأمر الضباط يؤمنون بنجاح هذه المهمة ولكن للأسف لا يعلم الغيب إلا الله. كانت الليلة الأولى ليوسف في إسرائيل صعبة عليه كان يظنها أصعب لياليه في حياته ولكنها سيعلم بعدها أنها ربما كانت ليلة سعيدة فيكفيه فيها أنه حر بلا قيود ويكفيه أن روحه ونفسه وجسده مازالوا متجانسون. شعر يوسف بالجوع فأراد أن يأكل فخرج من الفندق لأنه لم يحجز فيه عشاء وأخذ يمشي في المدينة ليبحث عن مطعم ليأكل فيه فوجد مطعم بدا رخيص الثمن فدخلة و طلب الطعام وجلس يتذكر ما دار بينه وبين السيد كمال حين وجد كل هذا المال الضخم والثروة الهائلة فسأله مباشرة ماذا أفعل بهذا المال. تعجب كمال من قوله لأنه لم يخطر علي باله هذا السؤال وقال له ماذا تعني بذلك؟ فقال محسن متعجبا أنه ليس مالي كيف لي أن أتمتع به كان في

السابق المال قليل وكنت أنفق مما أعطتني المخابرات المصرية حتى نفذ ولم أكن أعرف حجم الثروة وعلي الآن أن اصطحبها معي إلي إسرائيل فماذا أفعل بكل هذا المال وكيف سأنفق منه وكيف سأستثمره. سكت كمال قليلا ثم قال لم يصلني من مصر أي شيء بهذا الخصوص ولكن ما أراه أن تفعل فيه كما يفعل بالمال اليتيم فمنه له وكل منه بالمعروف لذا كان الفندق الذي يقيم فيه متوسط الحال ولم يحجز في ليلته الأولى عشاء فيه لأنه يريد أن يوفر بأكبر قدر حتى إذا قدر له في يوم من الأيام أن يرد هذا المال ليوسف يكون قد ضاعفه له ولم يأكل منه إلا بالمعروف وعندما جاءه الطعام وسمي الله في نفسه وهم بالأكل لم يقدر. شعر بشيء عجيب كيف يأكل من يد أعداءه ومن غير المملة لم يشعر يوسف هذا الشعور من قبل حين كان يأكل في مصر مع المسيحيين ولا في العراق ولكنه الآن يشعر بإحساس غريب ولم يستطع أن يأكل مع أن الطعام كان يبدو شهيا وقال لنفسه لماذا أنا لا أستطيع الأرز هو الأرز في أي مكان وكذلك اللحم والخضروات فما المشكلة للأسف المشكلة فيمن طهاها.

حاول يوسف أن يأكل رغم ذلك وأمسك الشوكة بيده ووضع فيها قطعة من اللحم ولكنه فمه لم ينفتح وظل ممسكها وشعر أن الجميع ينظر إليه لذا أراد أن يلزم نفسه بأكملها ولكن للأسف لم يستطع وزاد من اشمئزازه دخول عدد من متشدد اليهود فازداد الأمر سوء وشعر أنه يريد أن يفرغ معدته وقام مسرعا إلي الحمام.

حاول يوسف أن يفرغ معدته لعله يستريح ولكنها كانت شبه خالية وبعدها استراح عاد إلي منضدته وجلس عليها وأخذ ينظر

الطعام والي من حوله من اليهود المتشددين الذين عاني العرب والفلسطينيين منهم كثيرا وأيديهم ملوثة بدمائهم فلم يعد يشعر أنه لا يريد أن يأكل من أيديهم بل لا يريد أن يتنفس هواء قد تنفسوه من قبل فكم قتلوا من الأبرياء وكم حاولوا اقتحام المسجد الأقصى وكم حاولوا هدمه من كل ناحية فخرج مسرعا من المطعم وسار وهو يشعر بالاختناق حتى وصل إلي شاطئ البحر ووقف يتنفس من الهواء الأتي من خارج إسرائيل كأنه أول نفس له يدخل صدره وكان يقول من أي بلد أتي الهواء فلا مشكله ولكن المهم ألا يكون من هنا.

استمر يوسف في التنفس بقوة وبدء يهدئ شيء فشيء حتى هدئ وجلس يقول ما الذي يحدث؟.

ما هذا الشعور الغريب؟.

كيف سأعيش ها هنا؟.

كيف سأتنفس وأكل وأشرب؟.

كيف سأتعامل معهم؟.

كيف سأضحك معهم؟.

استمرت الأفكار تتوارد عليه وقال أنا لست الشخص المناسب في هذه المهمة لقد قلت لهم هذا كثيرا ولكنهم لم يصدقوني ها أنا اليوم أمام مشكلة لا تذكر ولكني لا اقدر أن أتجاوزها.

لقد أكدت لهم ولكن لم يسمعني أحد.

ماذا أفعل الآن؟.

ليس أمامي شيء لأفعله.

ربما استطيع الهرب بأي من جوازات السفر التي معي أو حتى العودة إلي العراق بجواز يوسف وأستطيع العيش هناك وحتى

إعلان إسلامي والزواج من ليلى حبي الوحيد.  
ويمكنني أيضا العودة لمصر.  
نعم أستطيع.

سيكون الأمر صعب ماذا أقول لهم في العراق ومصر؟  
لم أكن الرجل الذي يستطيعون الاعتماد عليه.  
كيف سيكون نظرهم لي؟

بعد كل ما أنفقوا وكل المجهود المبذول.  
كيف سأنظر إلي نفسي؟

وكيف سينظر لي أهلي وأصدقائي عندما يعرفوا الحقيقة؟  
ولكن ماذا أفعل؟

هل سأعيش بلا شراب أو طعام وحتى بلا تنفس كيف هذا؟  
وان كنت لم أستطع أن أتجاوز تلك الأمور فكيف لي أن أتجاوز  
صعوبات المهمة والتي ستكون بالطبع شديدة وتحتاج قوة وصبر  
وجلد وقدرة علي تخطي المصاعب؟  
لقد قلت كثيرا ولكنهم لم يسمعوا لي يا ليتهم سمعوا ما قلته  
لكان خيرا لهم ولي .

هل هم لم يدركوا أنني لن أصلح لمثل هذه المهمة؟  
و ما يشغلني الآن في وجهه نظرهم المهم الآن وجه نظري أنا  
الذي يخوض التجربة

لكن هل أترك المهمة وقد أصبحت يوسف بالفعل؟  
إن ما حدث في العراق أدهشني وأدهش السيد كمال ولم يصدق .

هل بعد هذا أترك هذه العملية لهذه الأسباب التافه.  
علي أن احسم الأمر.

لابد أن أتحمل هذه الأمور.

يجب أن أعود وأحاول الأكل مرة أخرى وشعر بالاشمئزاز مرة ثانية . فقال لن أكل اليوم ليس مهما رغم جوعي الشديد كأنني صائم وأخذت بطنه تتحرك لتذكره بحقها عليه فقال لها ماذا أفعل؟.

انك لن تتحملي هذا الطعام . ثم قال في نفسه فان لم أكل فكيف سأفعل بالماء . والاهم ماذا سأفعل بالهواء؟.

قال يوسف لنفسه لابد أن تكوني قوية ولا تكوني مسار سخرية الناس منك.

لابد من ذلك وأخذ نفسا عميقا وسار في اتجاه الفندق.

وكان كلما دخل إلي المدينة يشعر بضيق نفس أكثر وأكثر.

جلس يوسف في الشرفة حيث كان الهواء عليلا ويأتي من اتجاه البحر واخذ يأكل هذا الطعام البسيط الملعب خارج إسرائيل وهو في غاية السعادة وشعر أنه أفضل طعام تناوله مطلقا وتناول بعض العصائر وذهب إلي فراشه تخالجه أفكار كثيرة متضاربة تركه أحيانا فينعس وتتزاحم عليه أحيانا فتوقظه.

لم يصدق أحد أنه تجاوز هذه الأمر سريعا ولكن الأهم كان راشيل لقد أستطاع أن يهرب منها وهو في قمة الانجذاب نحوها واستطاع تحيدها بشكل كبير وكان الأهم من ذلك نجاحه في اقتحام المجتمع الإسرائيلي وتكوين علاقات ممتازة مع أطراف كثيرة في هذا المجتمع وتوطيد علاقته العجوز وضباط من الجيش وعزرا وكوهين وغيرهم من الشخصيات الهامة في إسرائيل بل والأهم من ذلك أنه أصبح رجل أعمال ناجح جدا في هذا المجتمع حتى أصبح أحد نجومه في سرعة البرق وغدي الجميع علي يقين من أنه سيستطيع أن يقدم لمصر كل ما تريده بل

وأكثر بكثير فرب صدفة خير من ألف ميعاد فقد بدأت العملية بصدفة ولكنها الآن أصبحت حقيقة قوية وراسخة جدا. لذا لم يصدقوا انه قبض عليه بهذه الطريقة السريعة والعجيبة فيوسف أو محسن لم يقيم بأي نشاط فهو كان لا يزال عميلا نائما لم يطلب منه أي شيء وكان لا يزال ينتظر مهمته . كيف عرفوا عنه كثيرا من هذه الأمور وكيف اتخذوا القرار بهذه السرعة والأهم كيف فقدت مصر عميلا كهذا.

قال خالد:

- حقا أنها أسوء من أي كابوس رأيته في حياتي.  
وقال محمود:

- أنها مهزلة تاريخية لا نعلم كيف سيحاسبنا عليها الناس والتاريخ والله وحده يعلم أننا منها براء.  
بينما قال صالح:

- كيف يمكننا أن نصدق أن هذا حدث وأننا كنا طرف فيه.  
صمت الجميع وهم حتى لم يعودوا قادرين علي النظر في عيون بعضهم البعض وكل منهم يقول في نفسه كيف وصلت الأمور لهذا الحد؟.

بعد فترة طويلة من الصمت قال محمود الآن كل ما يهم بالنسبة لي هو سلامة محسن عودته بسلامة الله إلي ارض الوطن هذا الشاب الذي حذرنا من البداية من انه يريد أن يخدم مصر ومصر فقط وكنا نحن نتعجب مما يقول لقد كان محقا . هو بطبعه يشك في كل شيء ستكون الساعات القليلة بعد استعادة وعيه صعبة جدا سيقف ليووجه التهم وهو يشعر أن ظهره عاريا تماما سيشك فينا نحن أول ما يشك وسيكون هذا قاتلا له.

قال خالد في أسي صدقت يا محمود المهم هو عودة هذا الشاب  
المسكين لمصر وبعدها لن نقف مكتوفي الأيدي حتى نعلم ما  
حدث ونستحلي الحقيقة.

## الفصل السادس

كانت ليلى تتابع البرامج التلفزيونية وهي تطهو في المطبخ وكانت أمها تجلس أمام التلفزيون فسمعت خيرا لم تلقي له بالا في البداية.

- تم القبض علي عميل مصري في إسرائيل. انتحل هذا الشاب المصري شخصية شاب يهودي عراقي. بدأت ليلى تستمع باهتمام.

قال المذيع:

- وهذا الشاب العراقي ويدعي يوسف يعقوب سافر لمصر منذ قرابة عامين ولا يعلم عنه شيء الآن. هل هو حي؟. هل قبض عليه في مصر؟. هل حقا ما تدعيه إسرائيل حقيقة؟.

أسرعت ليلى إلي التلفزيون وأخذت تنظر لصورة الشاب في التلفزيون وقالت يوسف هو يوسف الذي أحبته كان هنالك شيء في قلبي يقول لي ليس هذا الشاب كما يبدو عليه وأن ورائه سرا. لقد صدقت يا قلبي وأنت لم تخدعني من قبل واستمر المذيع في حديثه وهي تستمع بحماسة.

قال المذيع:

- لقد عاد هذا الشاب الذي كان يرفض السفر لإسرائيل من مصر منذ أكثر من عام للعراق وضغطت عليه المخابرات الإسرائيلية حتى يهاجر إلي إسرائيل وها هي الآن تدعي أنه ليس هو أنها هو عميل مصري. .... أين هي الحقيقة؟.

لاحظت أمها والتي كانت بين النوم واليقظة اهتمام ليلى بالخبر فقالت لها وقد حاولت استجماع قوتها والتخلص من النوم. مالك مهتمة بالتلفزيون هكذا يا ليلى؟.

لم تستمع ليلى لأمها والتي حاولت مرة أخرى جذب انتباه ابنتها فأعادت عليها السؤال بصوت أعلي. انتبهت ليلى هذه المرة لحديث أمها وقالت نعم يا أمي. قالت الأم:

- أنت لست معي أبدا يا ليلى أنا أسالك لماذا أنت منتبهة للتلفزيون بهذه الطريقة؟.

ظلت ليلى صامته قليلا ثم قالت لأمها.

- هل تذكرين يا أمي الشاب الذي ساعدك في عبور الطريق والذي أبعدك عن انفجار السيارة؟. قالت الأم:

- نعم يا ابنتي هذا الشاب الشهم ماله والتلفزيون؟. قالت ليلى:

- للأسف يا أمي هو ليس شاب عراقيا إنما هو مصري. قالت الأم:

- مصري أو عراقي يا بنيتي ما الفرق كلنا عرب أنتم لم تعيشوا أيام القومية العربية يا لها من أيام كانت جميلة.

قالت ليلى والدمع في عينيها وتحاول إخفاءه ليست هذه هي

المشكلة يا أمي هو ليس عراقي يهودي كما كنا نظن ولكنه شاب مصري كانت المخابرات المصرية قد أرسلته لتجسيد دور الشاب اليهودي ولكن للأسف قبض عليه في إسرائيل.  
قال الأم:

- عيني عليك يا بني كان الله معك يا تري ما وضع أمه الآن ربنا يصبرها.

لم تعد ليلى تسمع أمها والتي كانت تقول لها كان شابا شهما حقيقيا . إن الله سيخرجه الله من هذه الأزمة بسلامة وسيعود لبلده ثم قالت هل مصر لم تقل شيء حتى الآن ؟  
انتبهت ليلى وقالت لا يا أمي.  
قالت الأم:

- سأنام قليلا ولما تعلن مصر شيء قولي لي وسأدعو له.  
جلست ليلى وهي تفكر فيما يحدث لم تعد تعرف هل عليها أن تفرح أم تحزن؟.

لقد عرفت أن حبيبها ليس يهودي ولكن للأسف هو رهن السجون الآن. كان الله في عونك يا حبيبي .كيف حالك الآن؟. ليصبرك الله يا حبيبي .لست اعلم أن كنت سأقابلك فيما بعد أم لا؟.  
و انتبها رعدة قوية واضطرب وجهها وأحمر وقالت هل سيعدمونك يا حبيبي ؟. لن أستطيع أن أتحمل هذا . ليرحمني الله ويرحمك.

لماذا يا قلبي أدخلتني في هذا الحب الصعب بل والمستحيل.  
لما كان حرا كنت أظنه محرما علي ولما علمت الحقيقة أصبح سجيناً.

لذلك كان يحاول أن يراني كثيرا وكنت اشعر انه يريد أن يقول

شيء.

يا ليتك قلت الحقيقة.

لقد مرت علي ليالي كنت أتمني فيها الموت كانت أيام عصيبة جدا.

يا ليتك تحدثت معي هل كنت تخاف مني ؟ مني أنا حبيبي.

لم تكن خائف لماذا إذا لم تخبرني الحقيقة؟.

هل منعوك هم ؟ ولكنك حبيبي أنا.

كنت سأحافظ عليك أكثر منهم كنت ستكون في عيني وقلبي.

بكت ليالي كثيرا وكان قلبها منفطرا واستمرت في البكاء طويلا حتى دخلت غرفتها حتى لا يراها أحد وارتمت علي سريرها واستمرت في البكاء.

كانت ليالي تبحث في القنوات المختلفة عن أي خبر

يخص حبيبها ولكن الأخبار كانت قليلة وكانت تدعو الله في كل لحظة أن ينجيه حتى جاء خبر إعلان الخارجية المصرية عن استعدادها للتفاوض. كان هذا الخبر أفضل خبر سمعته ليالي في حياتها.

تبدل وجه ليالي من الكآبة والحزن إلي السعادة والفرحة.

لقد أوشك حلمها أن يتحقق أن يخرج حبيبها من هذا المأزق.

ربما تلتقي به ثانية ربما يربط الله بينهما برباط مقدس.

ولكنها مازلت قلقة عليه وتقول لنفسها لن أطمئن إلا عندما أراه أمامي حيا وهو يتسم لي كعادته وينظر في عيني ويسمع كلامي من عيني ونبض قلبي.

نظرت أم ليالي في عيني ابنتها وقالت لها مالك؟.

- لا شيء يا أمي

- وجهك يتغير بين حين والآخر والآن هو احمر جميل كالورد.

- لا شيء يا أمي.

- ما بال الشاب المصري؟.

قالت ليلى وقد أزداد وجهها احمرارا

- لا ادري يا أمي

- إذا تابعي أخباره عبر القنوات. عليك بالفضائية المصرية

- نعم يا أمي وأخذت تقلب القنوات حتى عثرت علي برنامج

يتحدث بالموضوع وعن ما أعلنت عنه الخارجية المصرية

سعدت أم ليلى وقالت الحمد لله لقد استجاب الله لدعائي لقد

دعوت الله له كثيرا أنه شاب طيب.

قالت ليلى وهي تتنهد

- ليس دعواتك أنت فقط يا أمي بل دعوات الكثيرين .

- ليصبر الله أهله وأمه.

- وليصبرني أيضا الله. يا تري ما وضع أهله بعد هذه الأخبار

الأخيرة؟.

أفاق في المستشفى واخذ ينظر لكل شيء حوله أين

أنا؟ وأخذت عينيه تدور في الغرفة و هو يحاول أن يتذكر ما

حدث. أخذت الأفكار تتسارع علي رأسه حتى جاءت الحقيقة

المرة فحاول رفضها وقال في نفسه ربما أكون هنا لالتهاب الزائدة

الدودية . نعم هي الزائدة الدودية وما هو في بالي غير هذا هو

مجرد أضغاث أحلام بينما هو علي هذه الحالة دخلت عليه

ممرضة واقتربت منه وكانت بملامح أوربية ولكنه كان قد تعلم

الدرس فلم ينشغل بجمالها ولا إقبالها عليه في هدوء ولكنه كان

ينظر ليديها هل بها حقنة أم لا. اقتربت الممرضة وأخذت تتحدث

إليه بالعبرية فعلم أن الحلم حقيقة وبدء يتذكر كل الأحداث السيئة التي حدثت له حتى لحظة فقدان الوعي. خرج الطبيب والممرضة وحاول تحريك أطرافه ولكنها كانت تتحرك بصعوبة بالغة.

أقدمت الممرضة الآن مرة أخرى ورأى ما بيدها ولكنه لم يستطع أن يمنعها فلم يعد يقدر أن يتحرك أو يحرك شيء في جسده وراح في ثبات عميق. وأثناء تواجده بالغرفة دخل عليه هذا الجنرال موشية وعلي وجه ابتسامة صفراء باهتة. ابتسامة تحمل معني الانتصار والاستهزاء بالأخر وحاول هو أن يبدو متماسكا وظل هذا الضابط صامتا مبتسما وهو ينظر إليه بثقة ازدادت هذه الابتسامة وقال باليتك الآن تحت يدي في السجن كنت سأكسر هذا الكبرياء لم يجبه ولكن أستمر ينظر إليه.

قال موشية:

- عندنا سجون أكثر بشاعة مما تسمع عنه في مصر في جهاز امن الدولة

وانتظر الضابط أن يري الانكسار علي وجهه ولكن دون جدوى فاستمر يقول:

- عندما تصبح قادر علي الحركة ستنقل إلي السجن وستكون تحت يدي وستعرف من أنا.

ظل صامتا لا يجيب فاستمر الضابط يقول:

- نحن لا نريد منك اعترافا إننا نعرف عنك كل شيء يا مصطفى ومعلوماتنا موثوق منها جدا لأنها من مصدر نثق فيه جدا في مصر فلا معني لما تحاول أن تفعل كل هذا لن يغير من الحقيقة في شيء كان لك مهمة وقمت بها علي أكمل وجه وأنا أشكر

علي حسن تعاونك معنا.

ابتسم ابتسامة باهتة وقال في نفسه أنك لا تعرف شيء أيها الأحمق أنا لست مصطفى والذي أعطاك المعلومات أكثر حمقا مثلك. أنت مغرور جدا وتظن نفسك تعرف كل شيء وتتفاخر بذلك أمامي ولكني سأتركك مغرورا بجهلك.

قال موشية:

- لما هذه الابتسامة الباهتة يا مصطفى إلا يعجبك كلامي.

قال محسن:

- أي كلام هذا الذي تقول أنا يوسف وليست مصطفى ولست أفهم لما تفعلون معي هذا؟.

ضحك الضابط بصوت عالي وقال:

- أننا لا نريد منك اعترافا الآن ولكن إن احتجنا فثق أنك ستعترف بما نريد أنا أثق في ذلك المهم أن تشفي تماما.

ضحك محسن وقال:

- ما الفرق بين أن اشفي أو لا ما دمت متأكد من أنني عميل مصري وسأعدم بالطبع.

قال الضابط موشية مستهزأ:

- إعدام ! لا أظن ذلك أنت تساوي عندنا وأنت حي أكثر بكثير مما لو كنت ميت إن حياتك تساوي عندنا نحن اليهود الكثير.

ابتسم محسن وقال:

- ستقدمونني قربان مثلا؟.

قال الضابط مبتسما:

- أنت ذكي يا مصطفى ولكن ليس بالقدر الكافي نعم ستكون

مثل القربان.

قال محسن ساخرا:

- هل يجب أن أكون معافي لأصلح قربان؟.

ضحك الضابط موشية وقال:

- الأفضل ولكن إن تماديت في ادعاء المرض سنقربك هكذا وتركه

وغادر الحجرة وهو يتسم ساخرا.

كانت هذه الزيارة بالغة في الأثر النفسي عليه وزادت الأمر سوء

وشعر بانتكاسة وانه لم يعد قادرا علي تحريك أي جزء في جسده.

كانت الأحلام المزعجة لا تفارقه في نومه والأفكار السيئة لا تفارقه

في يقظته

كان يسأل هل عرف أهلي إنني أنا مصطفى ويوسف.

وان كانوا يعرفون كيف يشعرون الآن؟.

تمني أن لا يعرف أهله الحقيقة وأن يطمئنوا ويعرفوا أنني لست

يوسف

هل أصاب أمي أو أبي مكروها لو كانا قد عرفا الحقيقة؟.

كيف حال أخوتي الآن؟.

وهل عرفت ليلى الحقيقة؟.

هل الأخبار تصلها؟.

لست أعرف إن كان الأفضل أن تعرف أم لا.

كيف سيكون وقع الحقيقة عليها؟.

هل ستعرف أنني لم أكن ابتعد عنها إلا خوفا عليها؟.

وأنتي كنت اقترب لأن قلبي لا يطاوعني.

هل ستستطيع تحمل هذا الوضع السيئ الذي أنا فيه؟.

ليرحمها الله.

استمرت المفاوضات عدة أيام وكان السيد بكري هو الذي حضر التوقيع النهائي علي الاتفاق وبرفقته العقيد حلمي. كان الضباط يزداد غضبهم وسخطهم كل يوم لكنهم أثروا المصلحة العامة وقرروا ألا يدخلوا في أي شيء جانبي إلا بعدما يعود محسن سالما إلي وطنه وبعدها سيكون لكل مقام مقال.

بدأت تتحسن حالته بشكل كبير وبدء يتحرك بشكل أفضل ويخضع للعلاج الطبيعي وكانت حركة ساقه اليسري سيئة ولكنها تتحسن مع الوقت أما يده اليسري فقد كانت حالتها أكثر سوء ولا يستطيع تحريكها جيدا.

أعلنت مصر خبر بدء المفاوضات مع إسرائيل بشأن مصطفى كان هذا الخبر مفرحا جدا ليلى والتي كانت تنتظر بفارغ الصبر نجاح المفاوضات لتطمئن علي حبيبها وتوالت الأخبار عن تعثر المفاوضات حتى كاد قلب ليلى أن يقف ثم عاد قلبها للخفقان عندما أعلنت مصر عودة المفاوضات وكاد يحدث هذا باستمرار مع توالي الأخبار وأصبحت ليلى متابعة ممتازة لبرامج التوك شو المصرية كالمصريين وأكثر فقد أصبح لها حبيب مصري يتحدث عنه العالم كله. وكانت أيضا تتابع معها الأخبار في أوقات كثيرة لتطمئن علي هذا الشاب الشهم .

كان منعزلا عن العالم لا يدري ما يحدث حوله وكان ينتظر بين الحين والآخر أن يبدأ التحقيق معه وبعدها سيكون الويلات من هذا الضابط حتى ينته الأمر بالنهاية التقليدية لقد جهز نفسه لذلك وأصبح ينتظر هذا المصير المحتوم

كان اشد ما يضايقه أنه سيواجهه الإسرائيليون بظهر مقسوم وعار وأيضا سيواجههم بكينونة غير كينونته

وأن أهله حتى لن يتفاخروا بابنهم أمام الناس  
وأن كل هذا سيجنيه مصطفى وأهله وان كان ما حدث لا يبعث  
علي الفخر

يا لسخرية القدر !

لم يهدئه قليلا إلا أنه صدق الوعد مع الله ويتمني أن يستمر في  
هذا الأمر حتى النهاية ليكون له عند الله الحسنى التي تعوضه  
عن كل شيء وقال في نفسه اللهم أحسن خاتمتي.  
هذان هما الأمل والرجاء الباقيان.

دخل هذا الضابط ليقطع عن محسن أفكاره وهو مبتسم  
كالعادة.

نظر لمحسن وقال له أنت من أوفر الناس حظا.

ضحك محسن عاليا.

قال موشية:

- طبعا يجب أن تضحك أنت لا تدري ما يدور حولك لقد  
أصبحت حديث الناس في مصر وإسرائيل بل والعراق والعالم كله.  
قال محسن:

- ما فائدة هذا؟ أنا محكوم علي بالإعدام فما فائدة هذا؟.

قال موشية:

- أتحب أن تعرف ماذا يدور حولك هذا حوار مع أهلك  
سأجعلك تشاهده.

نظر محسن فوجد أهلا غير أهله فقال في نفسه حقا لقد صدق  
حدسي وسرقت حتى بطولتي لغيري وزرقت عيناه دموع كثيرة.  
استمر الضابط في الحديث ولكن محسن لم يكن يستمع إليه حتى  
طلب منه الطبيب الانسحاب خوفا من تدهور صحة محسن.

قبل الضابط طلب الطبيب ونظر لمحسن وقال له لا يا مصطفى لا أريد أن تتدهور صحتك أبدا . لابد أن تصبح سليما. أن صحتك تعني عندي الكثير بل عند إسرائيل ثقب أننا لا نريد لك الموت الآن. اعتصر الألم محسن اعتصارا شديدا وساءت حالته الصحية مرة أخرى.

اجتمع الضباط بالقاهرة لبحث الخطوات النهائية لاستعادة محسن. كان الضباط كلهم يتحدثون عند الضرورة ولم يعد الود الذي كان بينهم كما كان ولكن كان كلا منهم يقوم بواجبه الذي لابد أن يقوم به. أصر الضابط محمود أن يحضر التبادل وان يستقل معه محسن السيارة من الحدود.

وافق العميد بكري ولكنه ذكره أن المهمة ستكون صعبة جدا وأكثر مما تظن ولا ندري ما وصلت إليه حالة محسن وكيف سيكون ردة فعله تجاهه.

قال محمود:

- أنا أعرف هذا جيدا وأعرف أنه سيكون غاضب جدا واعرف أنه قد يكون عنيفا ولكن يجب علي أن أتحمل كل ما سيقوم به فهو تحمل أكثر من ذلك بكثير من أجل مصر وعلي أنا أن أتحمل هذا العناء البسيط وفي النهاية يجمعني وإياه حب واحترام وأنا واثق أنني سأستطيع التصرف معه بشكل جيد.

تحسنت صحة محسن أكثر فأكثر كان يقول في نفسه ماذا سيحدث في الأيام القادمة

يا رب كن رحيمًا بي وأخرجني مما أنا فيه.

دخل الضابط بينما كان الطبيب خلفه وكان يقول له يجب ألا تتحدث معه الآن أمامه أيام قليلة ويتمثل للشفاء وبعدها

سينقل للسجن.

قال موشيه:

- لا بد من الحديث معه الآن ولا تخاف لن أغضبه اليوم وربما يشفي تماما من السعادة.

قال الطبيب:

- كل مرة تقابله فيها تزداد حالته سوء وتحدث له انتكاسة.

قال موشية وهو يبتسم:

- لا تخاف الأمر اليوم مختلف.

ووقف الضابط أمام محسن مبتسما كعادته كان محسن مستسلما ولا يرجو من وجه الخير فقال له الضابط:

- ألم أقل لك انك أكثر إنسان محظوظ في الدنيا.

ظل محسن متجهما ساخرا.

قال موشيه:

- نعم أنت متهم بالتجسس لصالح مصر ومع ذلك لم تسجن لم تعذب وستعود للأسف لبلدك كما تقولون سالم غانم.

تعجب محسن من قوله وارتسمت ابتسامة علي وجه وقال له سأعود لبلدي أيهم فهم كثير وان كانوا لا يغني كثرتهم شيء؟.

قال موشيه:

- نعم للأسف جرت مفاوضات وللأسف كانت سريعة وستعود خلال أيام لبلدك

كنت أئنمي أن تكون في السجن عندي حتى لو لليلة واحدة.

قال محسن ساخرا:

- لا تحزن فرؤيتك تساوي عذاب مائة عام أو يزيد.

ضحك الضابط بصوت عالي وقال:

- لقد أسعدتني إذا ستراني كل يوم وسيكون وجهي آخر وجه ستره عند إتمام صفقة التبادل.

قال محسن متعجبا:

- أي صفقة ؟.

قال الضابط متباهيا:

- صفقة نتبادل فيها السجين مصطفى بالسجين عساف.

قال محسن وهو يعصب عينيه محاولا التذكر:

- عساف ..... آه نعم تذكرته ذلك الجاسوس. لا.... لا.. لا أريد إتمام الصفقة أبقوني هنا وأعدموني.

ضحك الضابط وقال:

- ليس لك خيار في هذا ولو دخلت السجن عندي لكنت ستكون

سعيدا بهذا التبادل

وما الفرق بينك وبينه هو كان عميلا لبلده وأنت كذلك.

قال محسن ينتابه مشاعر متضاربة:

- الفرق كبير أنا كنت أتجسس لأحمي بلدي أما هو يتجسس

لتدمير بلدي وسكت محسن وقال في نفسه وهو كان حقيقيا

ورآه بلد تفعل كل شيء لحماية أبناءها . أما أنا فوراء بلد تدمر

أبناءها.

قطع موشيه أفكاره وقال له هنالك أيضا شيء آخر أنت محظوظ

فيه ستعود لبلدك لتجد مسئولين كبار يأخذون صور تذكارية

ويعاملونك معاملة الأبطال ولا أشك أنهم سيعطونك ثروة عظيمة

من المال بالطبع ستحصل علي خمسة الألف جنية هل المبلغ

صغير ؟ لا علي العكس انه نفس المبلغ الذي يعطي لأسرة الشهيد

.كم تقدر بلدكم أولادها. الأهم من ذلك ستكون ضيفا مستديما

في برامج التوك شو التي أصبحت كثيرة جدا وستحصل منها علي مبالغ طائلة ربما ملايين الجنيهات. أنا لا أشك أن أهلك أصبحوا يمتلكون ثروة . لقد رايتهم بنفسي في أكثر من خمس قنوات مصرية ومثلها عربية بل وأجنبية. ستكونون أغنياء يا مصطفى خمسة الألف جنيها بالإضافة إلي ملايين الجنيهات تساوي ملايين الجنيهات وخمسة ألف فقط لا غير. نعم ستكون غنيا لابد أن تذكر فضل إسرائيل يا مصطفى . إن فضلها عليك أكثر بكثير من فضل بلدك

ثم ترك الغرفة وهو يقول له لا تنسي يا مصطفى خمسة الألف جنيها وأخذ يضحك بصوت عالي.  
كان محسن صامتا يفكر في كل شيء.  
قال في حسرة هكذا اكتملت المعادلة.  
لقد أرسلوني ليتم تبديلي بعساف.

وأسرعوا الخطي عندما بدأت افصح بعض أعمالهم القذرة.  
ولمعاقتي علي حبي لوطني جاؤوا بمصطفى ليسرق حتى حقي المعنوي بل والمادي الخمسة الألف جنيها التي نسمعها منذ الطفولة كل شهيد من المصريين وألفي جنيها لكل مصاب.  
يا لسخرية القدر الإسرائيليين الأبخل في العالم يعيرونني ببخل وطني واه حسرتاه

يا ليت ينتهي عمري ها هنا ولا أعود لهذه البلد مرة أخرى  
حسبي الله ونعم الوكيل .

أصبح الضابط موشيه يأتي لمحسن شبه يومي فيلقي له كلمات لتعصبه ولكنه لم يكن يعلم أن رؤيته كافية ليكره محسن الدنيا بما فيها وخاصة إذا تذكر ما فعلته به بلده وهو لم يكن يقدر

أن ينسي.

كانت القنوات المصرية قد أعلنت أتمام الصفقة مع الجانب الإسرائيلي وعن أتمام التبادل يوم الخميس القادم علي الحدود المشتركة من الجانبين وبرعاية دولية فكان هذا الخبر هو الأفضل علي الإطلاق التي تسمعه ليالي. لم هنالك خبر أفضل منه في حياتها. وشعرت أنها تتمني أن تطير في الهواء حتى أنها شعرت أن جسدها خفيف جدا ويمكنها أن تطير بلا أجنحه وتمنت لو أن حبيبها معها ويطيروا سويا وأغلقت عينها وأخذت تحلم بحبيبها معها فوق السحاب ويمسك كلا منهما بيد الآخر حبا وخوفا وأخذت تنتظر يوم الخميس بفارغ الصبر وتقول في نفسها هل سيجمعها يوم ما بحبيبها في هذه الدنيا وأخذت تدعوا الله أن يسلم حبيبها وأن يجمع الله بينهما في خير.

جاءت اللحظة الحاسمة وبدأت الاستعدادات في مصر وإسرائيل للتبادل استخدم الرجل العجوز كل نفوذه ليقابل محسن وحاول محسن أن يمنع هذا اللقاء ولكن دون جدوى فقد كان لا يعلم كيف يستطيع النظر في عينيه فهو فقد خدعه من ناحية وانه قد فشل من ناحية أخرى فلا يجد معني يبرر له ما فعله معه. بدا العجوز حزينا جدا وقد قتل هذا محسن علي المستوي الإنساني ولم يستطع أي منهما أن ينظر في عين الآخر إلا مرورا ولكن كلا منهما قرأ ما في عين الآخر. فهم محسن انه حزين وغضبان انه خدعه.

وفهم العجوز انه فعل ما يمليه عليه ضميره تجاه وطنه.

ظل الصمت طويلا بينهما ولكن العجوز نزل علي ركبتيه و امسك بيد محسن وكاد يقبلها وهو يبكي.

حاول محسن وقد انهمر الدمع من عينه فهو كان لا يحب هذا الموقف ويؤمن انه هنالك سؤال واحد لما فعله.

قال الرجل العجوز:

- كان من المفترض أن أضربك أو أقتلك أو أسلط عليك من يفعل هذا و أنت تعلم أنني أقدر ولكن للأسف فقد جاءتني وأنا استعد للقاء ربي واني علي يقين انه قريب جدا وقد عدت لمشاعر الصبا حين كنت لا أري العالم إلا أسرة واحدة وكنت أظن أن الدين أيضا واحد وان الرب واحد ولكن اكتشفت المهزلة الكبيرة التي نعيشها وقد تناسيت كل مصطلحات الحياة المعقدة و بدا كل شيء عندي سواء فلا معني للكرامة ولها لغيرها وأنا أغادر الحياة بلا رجعة لذا لا أجد حياء ولا كبرياء في أن اقبل يديك وقدميك لتخبرني أين يوسف ؟ لا أعرف ماذا أقول لأبيه الذي مات علي صدري وهو يوصيني به.

قال محسن:

- كنت اعلم أن هذه السجدة لذلك ولكني والله لا اعلم عنه شيئا.

قال العجوز:

- أنت تكذب كما كذبت علي من قبل.

قال محسن:

- لا والله لم يخبروني بأي شيء عنه.

قال العجوز وهو حزين و غضب:

- كيف جرؤت أن تدخل بيته وتتمتع بثروته وحببته وتلعثم قليلا بل وابنتي و بدا الحنق في وجهه وأيضا تخدعني.

قال محسن في أسي وحزن:

- كنت أوّمن انه واجب وطني ولكن أقسم لك أي ما أخذت منه شيء لنفسي وكنت اعمل فيه كمال اليتيم وقد نهيته له واقسم لك أي لم امسس راشيل أو ابنتك فاني أخاف الله.

قال العجوز:

- لو كنت تخاف الله ما خدعتني أنا الذي فتحت لك قلبي.

قال محسن:

- والله لقد ذكرتني بجدي حين رايتك لذا احتضنتك وقد تعجبت أنت من ذلك.

قال العجوز:

- كنت أظن يوسف أصبح عاطفيا بعدما مر به من ظروف وقد رأي أبي أو جدا له . ولقد شعرت بصدق مشاعرك ولذلك لم اقدر علي قتلك فما أشعرتني أحد أبنائي بهذا الشعور ما ذنبنا نحن وقد أحبيناك.

قال محسن وهو ملئ فؤاده الحزن:

- وما ذنبي أنا ؟ ثم صمت قليلا وقال كان قدرا علينا و نزل علي ركبته وقبل بين عينيه وقال له لا مكان للمثاليات في هذه الدنيا للأسف ( وقد زاد انهمار الدموع من عينيه) يا ليت العالم كان يؤمن ويعمل علي صلاح الأرض وأهلها ولكن العكس هو الصحيح.

قال العجوز:

- أنت الذي دخلت حياتنا وللأسف لم نجد منك إلا الخير فلا نستطع أن نكرهك ولا نقدر أن نحبك باليتك لم تأتي إلينا وزاد انهمار عينيه يا ليتك لم تأتي.

قال محسن:

- يا ليتنا التقينا في مكان آخر غير هذا وزمان آخر ولكننا لا نملك أي قرار في حياتنا فسبحان من جاء بنا للحياة بغير خيار نعيشها بغير اختيار ونخرج منها بلا قرار.
- اجبني، أن يوسف كان عندي أمانه ولا بد لي أن أجد إجابة لأبيه حين ألقاه لست اعلم ما أقوله له.
- صدقني لا اعلم عنه شيء.
- ولا بإحساسك.
- لا والله.
- لا تكذب علي.
- لا أقدر أن اكذب عليك.
- قال العجوز والدمع في عينيه:
- بل فعلت ثم صمت طويلا ثم قال المهم ان تعديني أن تخبرني إن علمت شيء ولو بحسك.
- قال محسن:
- تطلب مني ما لا اقدر عليه.
- قال العجوز:
- مالي وللسياسة إني أسالك عن ابن أخي بل ابني.
- قال محسن:
- دخلت السياسية بقذارتها في كل شيء حتى في علاقات الأفراد.
- لست أريد إلا وعد ولن أتركك حتى تعديني لن اشرب أو أكل حتى تعديني.
- تطلب مستحيلا.
- حتى بعد ما حدث لك.
- أعطيهم مالهم واسأل الله ما لك.

- لا معني لما تقول الآن عدني.
- أعدك أن أخبرك إن استطعت.
- يكفيني هذا واعلم انك ستفعل ما يجب عليك فعله وتذكر أنها أمانة.

كان محسن يعمل أن راشيل هي الأخرى ستفعل كل شيء لتقابلة ولكنه لم يعرف لما ستحاول ذلك فهي أكثر شخص عرفه ينتقل من النقيض إلى النقيض تصبح ملاكا وشيطانا في لحظة واحده جميلة وقبيحة طيبة وشريرة ساذجة وخبيثة. بالفعل لم تخيب رجاءه فقد جاءته لأول مرة بلا زينة نهائيا ومهلبس فضفاضة لا تظهر مفاتها حتى انه لم يعرفها لأول مرة. التقت العين سريعا وجلست منكسرة لأول مرة أمامه ولم يقرأ أي منهما ما في عين الأخر.

كيف يقرأ كلا منهما هذه التناقضات التي في العين.

هو حب وكره نفور وإقبال رغبة ورهبة.

كانت النظرات بينهما كثيرة ورآها أمامه عارية رغم ملابسها الفضفاضة المحتشمة فقد رآها شفافة لأول مرة ووجدتهما أجمل بكثير مما كان يظن رق لها قلبه وتمني أن يحتضنها حضنا ليس فيه شيء من الشهوة ولكن يملئه الشفقة لعله يطيب خاطرها فهو قد قتلها.

ورايته عاريا أمامها في خجل منها ولكن أي منهما لم يحاول أن يخفي شيء عن الآخر فقد زالت الشهوة بينهما ولو لقليل وتبدلت بمشاعر راقية ولو لقليل فقد رآته فتني أحلامها الحقيقي البطل الشريف الذي يريد الانتصار ولكن دون التنازل عن المثل العليا ولكن للأسف ستكون الهزيمة والقتل هو مثواه الطبيعي

فهي إن كانت تحب يوسف فقد أحبت محسن حبا آخر وهو وان كان يحب ليلي فقد أحبها أيضا حبا آخر لا يمكن فهمه أو وصفه.

وكان لابد للكلام ليعبر ولو قليل عما في القلب لكن أي منهم لم يتكلم.

تحرك في استحياء نحوها وتحركت هي أيضا في استحياء نحوه احتضنها واحتضنته لفترة طويلة لا كرجل وامرأة ولكن كصديقين التقيا علي بئر ماء فتعلقك القلوب ثم افترقا وكلاهما يعلم أن لا تلاقيا وهما وان كان هنالك دفائن كثيرة في النفس إلا أن كلاهما لم يرد أن يعكر صفو هذه اللحظة وانطلقت مسرعة وهي تبكي لتخرج من الغرفة إلا أنها نظرت إليه فوجدته يبكي هو الآخر فعادت إليه وارتمت في حضنه الدافئ الذي يطمئنها رغم أنها تعرف انه غير مطمئن وتمنت أن تموت علي كتفه وعلي هذه الدرجة من الصفاء. فقد كانت تؤمن أنها بمجرد أن تخرج من هذا المكان ستعود لطبيعتها وربما أكثر.

كان محسن يعلم أن هذه اللحظات الإنسانية الراقية والتي تسمو فوق كل شيء قلما يعثر عليها الإنسان في حياته فهو إن كان دمرته هذه الأحداث إلا انه كان يبحث دائما في داخل الناس عن الإنسان ولكنه قلما وجدته. كان يعلم أن هناك من يحب أن يلتقي به ولكن الظروف لن تسمح ولكنه كان يشعر بما في داخلهم.

وصل موشيه ومعه عدد من الضباط واصطحبوا محسن في سيارة بحراسة مشددة إلي الحدود المصرية الإسرائيلية. كذلك كانت الأمور علي الجانب المصري فقد وصل عساف يقوده

عدد من الضباط المصريين من بينهم الضابط محمود إلي الحدود المشتركة. نزل محسن من السيارة وأخذ ينظر حوله وجد محسن الجنود والضباط الإسرائيليين يقفون في شموخ وكبرياء وشعور بالانتصار. بينما كان علي الجانب الآخر من الحدود الجنود والضباط المصريون يبدو عليهم الانكسار والهزيمة يقفون خاملون بزى غير مهندم وبلا حماية كبيرة. بينما علي الجانب الآخر يقف الإسرائيليون في زى مهندم وسيارات حديثة تحت حصون محصنة يحتموا بها. بينما المصريون يقفون في أبراج مكشوفة تعري ظهورهم كما كان ظهره مكشوف مكسور. وقف هو شامخا قويا رغم ما به فقد أصبح يؤمن بنفسه وان كفر بالآخر. كان محمود ينظر لمحسن ويرى ما علي وجه من شموخ فشعر بالسعادة والفخر به وانتظر بفارغ الصبر اللحظة المنتظرة

كانت ليلي تشاهد البث الحي لهذه اللحظة الجميلة بالنسبة إليها ها هو حبيبها يطل بوجه الجميل وعيناه ألامعه وأنفه الذي يحمل شموخ الأبطال وان كانت تري أن بداخله أمور كثيرة. وكانت تنتظر أن يصل للجانب الآخر حتى يطمئن قلبها تمام الاطمئنان فهي لن تطمئن إلا عندما تطأ أقدامه أرض الوطن حينها ستصدق أن حبيبها أصبح في أمان .

كانت عائلة محسن أيضا تشاهد الحدث وتشعر أن هذا الشاب هو محسن بروحه فكيف لا يشعرون به. ولكن كل شيء يؤكد انه ليس هو. يتصل بهم محسن كل يوم ويطمئنوا عليه. ورغم كل ذلك كان الجميع يشعر بشيء ما غريب فالروح روح محسن وان كان الاسم والشكل مختلف ومن يحدثهم صوته صوت محسن ولكن الروح مختلفة.

جاءت اللحظة الفارقة وتقدم محسن إلي الحدود الفاصلة  
وعبرها وهو ينظر للضابط الإسرائيلي بكبرياء ويقول له  
- إلي لا لقاء أن شاء الله  
قالت الضابط سعيدا  
- أنا سعيد أنني الوجه الأخير الذي ستراه في إسرائيل.  
قال محسن مستهزأ

- صدقني لم تعد أنت الوجه الأقبح الذي أراه رغم أنك هو الوجه  
الذي أتخيله لإبليس ولكنني رأيت وسأري كثيرا من شياطين الأنس  
وهم الأقبح علي الإطلاق إلي لا لقاء ونظر إلي عساف الذي كان  
ينظر إليه في كبرياء بكبرياء أيضا واستجمع قوته رغم ما بجسده  
من مرض وتعب حتى قهره وأجبره أن يبذو قويا متماسكا شامخ  
ينظر بكل فخر إلي عساف المغرور السعيد بما فعله وطنه معه.  
ورغم غضب محسن مما أصبح يؤمن به من خيانة وطنه له  
ولكن لم يرد أن يشمت فيه أحد أو في وطنه وقال سيأتي الوقت  
الذي سنتحاسب فيه ولكن ليس أمام العدو . كان محسن يمشي  
علي ارض مصر فيشعر بان قدمه تغوص في الرمال الكثيفة وتأخذ  
معه جسده ورأسه وانفه عزته وكرامته وشموخه. وكان كلما  
يمشي في ارض مصر يشعر بأنه يخسر من كرامته وشموخه وانه  
يهبط مع انه كان يرتفع حتى شعر بأنه فقد كل كرامته وشموخه  
عندما وجد نفسه أمام الضابط محمود الذي قال له حمدا لله  
علي سلامتك واحتضنه لم يبادل محسن الحديث ولا الأحضان ولم  
يغضب منه محمود بل طلب منه أن يركب السيارة. ورأي محسن  
بأم عينية أنابيب الغاز الواصلة لإسرائيل والتي لم يكن يؤمن  
بصدق هذا الأمر رغم أنه كان شريكا في الشركة ومع هذا تمني

لو كان كل هذا كذبا ولكن ها هي الحقيقة جلية أمام الجميع ومع هذا تدعي الحكومة المصرية أنها لا تصدر الغاز لإسرائيل. كانت ليلى قد أطمئن قلبها بعودة حبيبها لأرض الوطن ولم تكن تعرف ما يشعر به إلا أنها شعرت بأنه غير سعيد ولكنها كانت سعيدة بشموخ حبيبها وكانت تمنى أن تقول لكل من حولها هذا هو حبيبي البطل الشامخ.

كان الصمت طويلا بين محسن ومحمود لذا حاول محمود أن يبدأ بالكلام فقال له:

- حمدا لله علي سلامتكم.

قال محسن وصوته يتقطع ولا يكاد يخرج رغم محاولاته أن يبدو طبيعيا :

- الحمد لله الذي لا يحمد علي مكروه سواه.

قال محمود في ود:

- كيف صحتك الآن.

قال بصوت أقوى قليلا:

- الحمد لله أيضا الذي لا يحمد علي مكروه سواه.

قال محمود محاولا كسر الجمود

- هل اشتقت لمصر وأهلك.

- أي أهل أهلي أم أهل مصطفى؟.

- مصطفى من مصطفى؟.

ابتسم محسن ابتسامه باهته

- وقال مصطفى الذي سرق حقي لأنه كان كثيرا علي أن أكون

بطلا أمام الناس

- مصطفى هو مجرد أسم في جواز سفر كان معك وسنكشف

هويتك الحقيقية في الوقت المناسب كل ما كان يشغلنا هو سلامتك  
ها أنت اليوم في بلدك ويمكنك أن نصحح كل لبس.

استمرت ابتسامة محسن الباهتة وقال له  
- هل تظنني ساذج لهذا الحد؟. لقد رأيت أهل مصطفى بنفسي  
في التلفزيون وهم يتباكون علي أبنهم.

قال محمود متعجبا

- رأيتهم كيف هذا؟.

- الضابط الإسرائيلي نقص الله خيره أراني إياهم أعرف أن نيته  
كانت أن ينفطر قلبي علي أهلي ولكن للأسف فطر قلبي علي  
نفسي.

- لقد أكدت لك أن كل خطأ سيتم معالجته لا تخاف.

ضحك محسن بصوت عالي والدمع في عيونه وهو يردعه وقال

- الخيانة كيف ستحاسبون عليها الناس ؟ وصحتي وشبابي و  
كرامتي وحبي لوطني سذاجتي كيف سيعودون إلي؟. إنني  
سافرت إلي إسرائيل شاب يافعا ممتلئ صحة وحيوية وقوة واهم  
من ذلك أحب وطني أكثر من الدنيا وما فيها. وها أنا أعود  
إليه اكره واكره من فيه رجل عجوزا مريضا بلا أمل في يومه  
ولا مستقبله يا ليتكم سمعتم ما قلته لكم لست أنا الشخص  
المناسب للعملية التي قمت بها. لقد كنتم تحتاجون إلي ممثل  
بارع يعرف الحقيقة ودوره فيها ويؤديه علي أكمل وجه ثم  
يخرج من الدور كأن شيء لم يحدث.

أوقف محمود السيارة علي أحد جانبي الطريق وقال له:

- أعرف أن ما تعرضت إليه كان قاسيا جدا ولكنني أعرف أيضا  
انك لازلت تحب بلدك وأعرف أيضا انك إنسان قوي تستطيع

تجاوز المحنة.

ضحك محسن وقال:

- أتجاوز المحنة..... أي محنة؟ يا سيد محمود أي محنة يجب أن تسميها نكبة أو نكسة بل كلاهما. لقد كسرت بلدي ظهري وواجهت العالم بصدر عاري وظهر مكشوف قال محمود وهو يمسك يده اليسري ويقبلها:

- أن يدك هذه ذهب في سبيل الله وهي جديرة بأن يقبلها كل مخلص لوطنه

قال محسن وهو يحاول يسحب يده ويحاول أن يحبس دمعة في عينيه:

- يا ليت كل جسدي وروحي راحوا في سبيل الله حقا وأديت شيء ثمين إلي وطني وليس هباء. قال محمود محاولا تهدئته:

- لقد كنت مخلص لوطنك ودينك وهذا هو المهم ولكن ما حدث سيفتح فيه تحقيق عاجل وسيحاسب المخطأ وأنا واثق من ذلك. صدقني يا محسن دائما إذا حدث حدث كبير يكون بعدها المحاسبة شديدة وراعدة.

ضحك محسن بصوت عالي وقال:

- هل لابد أن تحدث كوارث حتى تتحركوا. هل لا يمكن أن نصلح أنفسنا باستمرار؟ ولا نترك الفساد حتى يستشري ويصبح كالعفريت الضخم الذي يهددنا ونحن نخافه ونعمل له ألف حساب.

قال محمود متأثرا:

- لقد قلت الحقيقة إن الفساد قد أصبح عفريتا كبيرا ولكن

الكوارث تهدده وتكسره وتجعلنا قادرين علي إدخاله في المصباح مرة أخرى. لقد تم محاكمة الضباط الفاسدون بعد نكسة ١٩٦٧ بل ودخلوا السجن ووضعوا في المصباح. ضحك محسن بصوت أعلي وقال:

- وللأسف أخرجتموه من المصباح مرة أخرى وجعلتموه وزراء بل وأكثر نعم المحاسبة والإصلاح أين كان عقلي حين وافقت علي ذلك كنت اعلم أن كل هذا سيحدث لقد أخبرتكم به كله كما حدث لم تصدقوني ولم اجني إلا دمارا لنفسي ولآخرين ليس لهم ذنب إلا أن القدر قد وضعهم في طريقي كيف أسامح نفسي علي ما فعلته بنفسي بالآخرين يا ليتني لم أصغي إليكم فانا الآن وحدي فيما أنا فيه أن الجرح يكبر كل يوم أكثر وأكثر ولن يشفي أبدا.

سكت الضابط محمود قليلا وقال له:

- كانت ظروف معينة ولن تتكرر أنا واثق من ذلك.  
- وأنا لا أثق في شيء انظر كيف وصلت ووصل كل المسئولين في الدولة إلي مناصبهم ستعرف حينها أين سنذهب وتذهب مصر.  
- لا تتعجل في الحكم علي الأمور وعلينا ترتيب الأمور الخاصة بك.  
يمكنك العودة إلي بيتك مباشرة ولكننا لا نفضل ذلك ويمكنك هذا الأمر لكننا حجزنا لك فندق في مدينة شرم الشيخ مفتوح المدة حتى تجد الوقت المناسب للعودة لبيتك وسوف أعطيك هاتف يمكنك به الاتصال بأهلك كأنك في ألمانيا بالضبط .  
- أنا أفضل الاقتراح الثاني لأني بحاجة لوقت أجلس فيه قليلا ولست أقدر أن أقابل أهلي الآن.

وصلت السيارة لمطار القاهرة وسلم محمود علي محسن

ووعده باستكشاف الحقيقة وإعادة حقه المادي والمعنوي له. كان محسن هادئاً وسلم علي محمود بفتور ودخل إلي المطار. وصلت الطائرة إلي شرم الشيخ ليلاً ورغم أن المدينة كانت جميلة إلا أن محسن لم يهتم بجمالها. كان الفندق أيضاً جميلاً جداً ولكن كل هذا لم يغير شيء مما في داخل محسن ولم يكن محسن ينزل من غرفته إلا للطعام وللعلاج الطبيعي فقط وأحياناً يتناول الطعام في الغرفة. كان محسن يحاول ألا يفكر فيما حدث ولا يتذكر شيء منه وكان يقاوم بقوة أي ذكرى من هذا الأمر إلا ذكرى ليلى التي كانت تهون عليه كثيراً مما يشعر ولكن الحرج كان غائراً ولم يندمل. شعر محسن أن الوحدة ستقتله وأنه مهما حاول أن يعطي نفسه أجارة فإنها تعود ومسرعة لتتذكر أسوأ ما كان ولا تذكر ابداً أي لحظة كانت سعيدة. لذا قرر أن يعود للقاهرة ففكر محسن أن يتظاهر بأن حادث سيارة تعرض له في ألمانيا وادي هذا الحادث إلي إصابة ذراعه و أنه خضع لعدة عمليات تجميل في وجهه أثر هذا الحادث وطلب من طبيبه أن يربط له ذراعه و يخفي وجهه بالشاش كأنه خاضع لعمليات تجميل في وجهه.

اقتربت الطائرة من مطار القاهرة عائدة من شرم الشيخ وكانت القاهرة تبدو جميلة ولكنه أغمض عينيه حتى لا يراها ولولا الحياء لبصق عليها. خرج محسن ووجد كل أهله في انتظاره اقبل عليهم وأخذ ينظر إليهم وهم لم يعرفوه لأن وجهه كان مغطى بالشاش وكان يتذكر الأستاذ محمود المليجي عندما حلقوا له شاربه في فيلم الأرض وكيف كان يغطي وجهه ولكنهم بكوا جميعاً عندما اقترب منهم وعرفوه. حاول محسن أن يطمئنهم علي نفسه ويؤكد لهم أنه بصحة جيدة وأنه كان مجرد حادث سيارة بسيط

ليس إلا . وصل محسن لبيته واخذ ينظر إلي كل ركن فيه ويتذكر ذكرياته الحلوة فيه ويبكي. كان البكاء هو اللغة السائدة بين الجميع والتي ظلت لفترة طويلة يتخللها الأحضان أحيانا وبعض الكلمات.

## الفصل السابع

طلب الضباط مقابلة السيد بكري وأذن لهم وكان موجودا معه في مكتبة السيد حلمي و بعد إلقاء التحية جلسوا. شعر السيد بكري بما في داخل. وشعر بهم يتعاملون معه كأنهم لا يعرفونه بدأ السيد حلمي الكلام فقال:

- لماذا أنتم صامتون.

لم يجب أحد.

عندها تحدث السيد بكري وقال:

- مالكم؟ هل تروني لأول مرة؟. وأول مرة تدخلوا مكتبي؟.

لما لم يسمع جوابا قال في صرامة قولوا لي ما بكم؟.

قال صالح:

- يضييق صدري ولا ينطلق لساني.

قال بكري:

- ماذا تريدون؟.

قال محمود:

- نريد تقديم استقالتنا.

قال بكري:

- هل كلام الرائد مضبوط؟.

قالوا في صوت واحد منخفض.

- نعم.

قال بكري وهو ينظر إليهم بحزن.

- هذا رأيكم الأخير؟.

قالوا:

- نعم

قال بكري في سخرية:

- هل يمكنني أن أعرف السبب؟.

لم يجب أحد.

قال بكري:

- بسبب العملية الأخيرة ؟

قالوا بصوت واحد قوي

- نعم.

- العملية كانت ناجحة جدا زرعنا عميل لنا لمدة و خلالها وهو

عميل غير نشط أمدنا بمعلومات مهمة جدا وأنتم تعرفون قيمة

ما قدم لمصر هذه مهمة جليلة وانتهت مهمته ورجع لبلدة و

الحمد لله. لقد أرسلنا عملاء في مهمات أسهل وأقصر بكثير و

منها ما نجح ومنها ما انكشف أمره ولم نستطيع استبداله كما

حدث مع محسن.

قال صالح بهدوء:

- حضرتك تعلم أننا نعلم ما تقول ولكن .....

قال حلمي مقاطعا:

- لماذا أنتم غاضبون ولما تريدون تقديم الاستقالة؟.

فلم يتحدث أحد.

قال بكري في حسرة وحزن:

- أنا أقول لكم أنتم تشكون في أي خنت بلدي والجهاز الذي  
عشت فيه طول عمري وسربت معلومات عن محسن أليس  
هذا صحيح؟.

لم يجب أحد.

قال بكري:

- لا بد من إجابة لو سمحت.

لم يجب أحد.

قال بكري بعصية وهو ينظر لخالد:

- خالد كم سنة عملت معي.

قال خالد:

- سبع سنين.

ثم نظر لصالح وقال له:

- وأنت يا صالح؟.

- خمس سنوات.

و التفت لرأفت وقال:

- ورأفت.

قال رأفت:

- ثلاث سنوات يا فندم.

وقال لمحمود

- ومحمود؟.

قال محمود:

- ثلاث سنوات يا فندم.

قال بكري:

- وأين تعملون جميعا؟.

- في جهاز المخابرات المصرية.

صمت بكري قليلا ثم قال:

- ومازلتم غير قادرين علي معرفة الصادق والخائن.

قال صالح:

- نحن نريد أن نفهم.

قال بكري وهو ينظر في عيونهم:

- لو قلت لكم أن ظنكم في غير محلة هل ستصدقوني ؟

فلم يجب أحد ونظر كلا منهما للأخر.

قال بكري متعجبا:

- لما لم تشكوا في السيد حلمي أوفي بعضكم أو حتى في أنفسكم.

قال محمود محاولا تدارك الموقف:

- أنا لا أنام نهائيا و حالة محسن سيئة جدا وشاك في كل شيء

أنا خائف يعمل في نفسه شيء في لحظة يأس وساعتها لن أسامح

نفسي نهائيا. ولقد شككنا في كل شيء.

قال بكري وهو يهز رأسه حزينا:

- أنا لم أكن أظن أنكم تظنوا في ظن السوء .لابد أن تعرفوا أنكم

في الجهاز تعرفوا المعلومات علي قدر الحاجة فقط وفي الوقت

المناسب أولا لابد أن تنسوا نهائيا تقديم استقالتكم ليس هنالك

جندي مخلص يترك المعركة في المنتصف حتى لو حصل خيانة كل

واحد لابد أن يحارب حتى النهاية مهما حدث. ولو في خائن لابد

أن يحاسب هو ويترك هو الجهاز وليس المخلص . ولابد أن تثقوا

في أنفسكم وفي مجموعة العمل

ولابد أن تنسوا الانكسار والاستكانة  
فقالوا في صوت واحد به بعض الثقة والأمل:

- تمام يا فندم.

قال بكري:

- لابد أن تعرفوا أن العملية من أنجح عملياتنا وستستمر هكذا  
حتى نهايتها.

أندھش الشباب وقالوا في نفس واحد:

- تستمر ؟

قال بكري في ثقة»

- طبعا العملية كأنها لم تبدأ بعد. الكلام الآن سري للغاية كأنكم  
لم تسمعوا شيئا نهائيا. لما وصلت الرسالة استغربتها ونفس  
الإحساس كان عند السيد حلمي وبعد الاجتماع جلسنا سويا لفترة  
طويلة جدا ورغم أن طلب عميل من هذه الجهة ليس بالغريب.  
إلا أننا شعرنا أن الأمر ليس طبيعى لأن طلباتهم لم تكن واضحة  
والكذب كان واضح لكن ظل احتمال فقط وكان لابد أن نتأكد.  
بعد ذلك سارت الأمور حتى وقع الاختيار علي الشباب الثلاثة  
وكان أي واحد فيهم يصلح لأي مهمة وكان لابد أن نطلع هذه  
الجهة علي النتائج التي وصلت إلينا ولكننا انتظرنا حتى تصل  
النتائج الطبية والتحليل وبعد ذلك كانت المفجأة المستحيلة  
بتطابق DNA عادل ويوسف وفي هذه اللحظة تأكدنا أن ربنا  
واقف معنا ضد الغدر والخيانة . وكان لابد أن نستفيد منها  
واتفقت مع السيد حلمي أن التفاصيل تكون سرية بيننا فقط  
.وأرسل لهذه الجهة تقرير نرفع فيه من شأن محسن ونقل  
من شأن مصطفى وأخفينا نهائيا أي شيء يخص عادل. وكان أمام

هذه الجهة أنها تختاروا حد من اثنين يا محسن يا مصطفى. لو اختارت محسن تبقي العملية حقيقية ولو اختارت مصطفى يبقي هنالك نية للغدر وأن تفشل العملية ويتم القبض علي مصطفى لأنه عميل غير كفاً . رغم أن ثقتنا في مصطفى ومحسن كبيرة لكن كان الاختيار لمحسن ليقوم بالعملية . لأنه شديد الذكاء وشخصيته قوية وأكثر قدرة علي مواجهة الصعاب وتحمل الأخطار ويرفض الاستعباد وأيضا لديه ويستطع قيادة أي عدد من العملاء بعد ذلك في إسرائيل. نظر الشباب لبعضهم البعض لا يصدقون ما يسمعون وحركوا رؤوسهم يميننا ويسارا لعلمهم يدركون ما يسمعون .

- يقود ؟ يقود من وأين وكيف؟.

قال بكري:

- لو سمحتم بدون مقاطعة . وكنا قد أخذنا القرار بسفر محسن سواء اختاروا هم محسن أو مصطفى ففي النهاية هم لا يعرفوا هذا من ذاك لأنهم شكل بعض وأيضا ستجري إلي أي منهما عملية ليكونوا شكل يوسف .

استمر اندهاش المجموعة بل زاد أكثر وأكثر.

واستمر السيد بكري يتحدث:

- وفي الفترة التي كنتم تدرّبوا محسن في المزرعة تم تعيين عادل هو أيضا وشغلناه في مزرعة أخرى وراقبناه جيدا عن قرب وتأكدنا من وطنيته رغم أن شخصيته لم تروق لكم وعرضنا عليه أن نجنده للسفر لإسرائيل بدون أن يعرف أي شيء عن المهمة سواء يوسف أو محسن. وافق عادل بلا تردد أن يخدم بلدة ولكنه قال أنه وحيد والديه وهو خائف أن يتركهم بمفردهم ولكنة أكد أنه

تحت أمر مصر في أي شيء . وكان مطلوب منه القيام بدور محدد في مصر وقد نحتاج إليه فيما بعد وقد لا حسب سير المهمة. ولما كان اختيار الجهة لمصطفى أصبح الشك شبه يقين ومع ذلك كنا نتمنى أن نكون مخطئين وينجح محسن في مهمته في إسرائيل بدون الحاجة لخطط أخرى بدون وجود خونة. في هذه الفترة أنتم استغربتم أنهم لم يختاروا عادل الذي يمتلك نفس DNA يوسف وقتها أنا قلت لكم ربما يكون لديهم وجهة نظر معينة. وبالفعل سافر محسن إلي إسرائيل , وعينات محسن تم استبدالها بعينة أخرى من عادل عن طريق عميل لنا في نفس المعمل. ولما حصلت الخيانة وتم تسريب كل شيء عن العملية من العميل داخل هذه الجهة وكان التسريب في حدود المعلومات التي عندهم وبالتالي بدأنا نلاعبهم بالطريقة التي نريدها وطلبنا من عميلنا عدم وضع أي شفرة وراثية تخص عادل وبالتالي تأكدوا من أن محسن ليس يوسف وفي نفس الوقت أن يوسف حي في مصر.

وكانت المعلومة هذه مطلوب تأكيدها في إسرائيل وأكدها إليهم العميل الخاص في مصر . وبالتالي سيطلبون يوسف مع العميل المقبوض عليه في مصر عند المساومة قالوا وهم مدهشون:

- كيف وأين رأي العميل يوسف يا فندم؟.

قال بكري بهدوء:

- في هذه الفترة كان يوسف قد دفن في المقابر اليهودية في مصر حسب شريعته وحسب وصيته. زاد الاندهاش علي وجوهم وسألوا:

- وصيته .

ضحك السيد بكري وامسك بكوب من الماء وشربة حتى آخره واتصل بعامل البوفيه وطلب قهوة وسأل هل يريد أي منكم أن يحتسي أي شيء؟. فلم يرد أحد واستمروا في دهشة كبيرة. عاود السيد بكري الحديث

- وبعد ذلك نعم... وبعد ذلك نعم... تذكرت ولكن هذا يكفي اليوم أنا تعبت جدا أنا لا اقدر إلا أن أشرب القهوة . يكفي هذا اليوم وسنكمل غدا إن شاء الله  
قالوا في نفس واحد»

- وكيف نصبر علي ما لم نحط به خبرا.

- وبعد ذلك رجع محسن لمصر وانتهي.

قال صالح :

- هل كان ليوسف له علاقة مع المخابرات المصرية؟.

نظر العميد بكري الي العقيد حلمي وقال:

- لتكمل لهم يا سيادة العقيد حلمي هم لن يرتاحوا حتى يعرفوا كل شيء.

قال السيد حلمي هادئا سعيدا:

- يوسف كان يهودي ولما وصل مصر وعرفنا أنه يهودي أردنا أن نعرف لماذا قدم إلي مصر وبالفعل قابلناه في المطار وعلي مدي يوم كامل تم مناقشته في كل شيء وأرسلنا لعملائنا في العراق الذين أكدوا لنا انه جاء إلي مصر هربا من إصرار اليهود علي تهجيريه وأنه قام بأكثر من عملية تمويه داخل العراق حتى يهرب منهم بدون أن يعرفوا وجهته. وزيادة في الاطمئنان اخترنا له مكان الإقامة في الشروق وكان تحت الملاحظة وفي هذه الفترة طلب منا

يوسف أنه لو مات في مصر أن يدفن طبقا لشريعته في العراق وان تعثر ففي مصر وألا تسلم حثته لإسرائيل. وفي هذه الفترة لم نعر هذا الأمر انتباها لأن يوسف كان شابا ويبدو أن صحته جيدة. لكن كان قلبه كان يشعر بذلك ومات موته طبيعية. قبل موت يوسف كانت المهمة أرسلت إلينا ولم نفكر نهائيا في يوسف بأي شكل لكن لما مات وانتم عرفتم واقترحتم الفكرة وضعنا هذه الفكرة في ذهننا وبدأنا نخطط.

قال رأفت:

- كيف عرفوا أن يوسف في مصر.

قال حلمي:

- لما وصل محسن إسرائيل واستمر هناك فترة ولم يقيم بأي خطوة متهورة وبالتالي لم يكشف استمر العميل يؤكد لهم أن يوسف في مصر وان الذي في إسرائيل بديل عنه ولأن تحاليل الشفرة الوراثية في صالح محسن أرادت إسرائيل أن تتأكد فطلبت من عميلها في هذه الجهة أن يتأكد بنفسه من يوسف في مصر وأن يرسل لها بعض شعر يوسف وعينة من دمه. وبالفعل استغل سلطاته وتأكد من أن يوسف في السجن و أيضا رشي أحد الحراس بمعرفتنا واخذ بعض خصال شعر يوسف بل وأجبره أن يأخذ عينة من الدم وضعها في أنبوبة اختبار أعطاه له العميل بها مادة تمنع تجلط الدم وأرسلهما في نفس اليوم لإسرائيل. وبعد التحاليل. تأكدت إسرائيل من أن يوسف في مصر وأخذت عينة لمحسن وحللتها في أكثر من معمل منها نفس المعمل الذي يعمل فيه عميلنا وطلبنا منه ألا يتدخل وبالتالي تأكدوا من أنه ليس يوسف وان يوسف موقوف في مصر. بل أكثر من ذلك كشفت إسرائيل

عن أحد عملاءها في مصر عندما طلبت منه أن يتأكد من وجود يوسف في مصر.

قال رأفت في حيرة:

- يوسف كان في السجن . كيف هذا؟.

قال حلمي:

- يا حضرة الضباط أين ذكائكم؟.

قال صالح:

- تمام يوسف هو عادل.

قال حلمي:

- تمام هذا الشاب ممتاز وتحمل الحبس الانفرادي لفترة طويلة مع أنه كان يبدو عليه غير ذلك تماما خصوصا أنه وحيد دلوعة ماما وغني وكونه حلنجي هذا جعله يتصاحب علي السجنائين ويوصل إليهم كل ما نريد أن يصل.

قال خالد:

- ومصطفي ما هو وضعه؟.

قام السيد بكري والسيد حلمي وقالوا غدا بأذن الله نكمل لأنه لابد أن تعرفوا ما عليكم . السلام عليكم. حاولوا أن يثنى الضابطان عن عزمهما ولكن دون جدوى.

في صباح اليوم الثاني اجتمعت مجموعة العمل وقد بدأ أنهم لم يناموا نهائيا بينما حلمي وبكري يبدو أنهم قد ناما جيدا وبسرعة سأل السيد محمود:

- لماذا سربت الأخبار وأكدتم أن محسن ليس يوسف وأن يوسف مازال حي.

قال بكري

- لأن الخطة أن يقبض عليه.

- ولما؟.

- لتأكد من وجود الخونة عندنا و لنعرف هدفهم من العملية.

قال خالد:

- هل كنتم تظنوا أنهم يريدون استبدال العميل عساف بعميل

مصري.

قال حلمي:

- كان في تصورنا خطط كثيرة و منها هذه الفكرة وكان لابد أن

نتأكد من سبب المهمة خوفا من وجود أسباب أخري أخطر علي

الأمن القومي وأيضا لنكمل خطتنا.

استغرب الشباب وقالوا

- أهناك مفاجآت أخري؟.

قال بكري:

- كان هدف إسرائيل إنها ترجع عميلها من مصر. نحن أيضا

أصبح عندنا خطة وأكثر من هدف. إسرائيل كانت ستطلب

عساف ويوسف في مقابل محسن وبعد محاولات كثيرة للضغط

علينا وافقنا علي عساف في مقابل محسن وأنا نرجع يوسف في

مقابل عدد من الأسري المصريين من حرب ٦٧ وغيرها في مقابل

يوسف. ولأن يوسف كان ميت أنتم شككتكم في للمرة الثانية وقال

السيد رأفت هو أسري سبعة وستين عمرهم ما يرجعوا بلدهم

أبدا. ولكن كانت الخطة استبدال اسري سبعة وستين بعادل يعني

مصريين بمصريين و زراعة عميل مصري بسهولة في إسرائيل ولا

يمكن لأي أحد يكشفه نهائيا لأنه يحمل نفس الشفرة الوراثية

ليوسف.

قال رأفت:

- لماذا علي مرحلتين وليس مرحلة واحدة.

قال بكري:

- لأن محسن لابد أن يقابل عادل ويكون بينهم جلسات كثيرة. وفي الوقت الذي كان المسئول الإسرائيلي الكبير يؤكد لمحسن انه يعرف عنة كل شيء وأنه مصطفي كان محسن مستغرب جدا من غرور الضابط الذي في النهاية يكلمه علي أنه شخص آخر وبالتالي ظل محسن علي موقفه من انه يوسف وعرف أن الضابط لم يكشفه واستخف به. وأصبح علي يقين من حدوث خيانة.

قال رأفت:

- وأين كان مصطفي طوال هذا الوقت؟.

قال بكري:

- كانت فكرة محسن عن المزرعة النموذجية المنتجة الطاقة حيث يستخدم فيها طاقة الرياح والشمس ومخلفات الزراعة حتى الطاقة البشرية قد لاقت قبولا كبيرا وكان لابد من شخص يكمل هذه الدراسات في ألمانيا وكان مصطفي هو الشخص المناسب لتفوقه العلمي و للشبه بمحسن لذا اتفق معه علي ذلك ولم يكن الأمر بسيط ولكن لما عرف جزء محدد مما يقوم به محسن سعد بأن في مصر شباب مخلص لبلدة بهذا الحد وافق علي الفور حتى من غير أن يعرف أن محسن مسافر بكينونتته .

أصبح رأفت ومحمود وصالح وخالد في حالة لا يمكن وصفها وأصبحوا يريدوا إعادة ترتيب الأحداث ثانية لذا قالوا للسيد بكري نريد أن نحتسي قهوة واستراحة نجمع فيها الأحداث لقد ضلنا الطريق. وتناولوا القهوة وبدؤوا يعيدون ترتيب المهمة من

البداية سويا.

أولا يوسف مات والحمد لله أول حقيقة.

ثانيا محسن في إسرائيل بدل يوسف.

ثالثا عادل بدل يوسف في السجن.

رابعا مصطفى مكان محسن في ألمانيا.

خامسا محسن بدل مصطفى في إسرائيل.

وقالوا في نفس واحد:

- لماذا كل هذا؟.

قال بكري في ثقة:

- لأن العملية الحقيقية لم تبدأ بعد.

- كيف لم تبدأ العملية بعد؟.

قال بكري:

- هذا يكفي اليوم وغدا صباحا سنكمل أن شاء الله. الساعة الآن

التاسعة مساء السلام عليكم . نظر كل واحد من الضباط في ساعته

ولم يصدق أنه مرة أكثر من اثني عشر ساعة لم يأكلوا شيء ولم

يشربوا إلا القهوة ولم يدخل أحدهم إلي الحمام وشعر كلا منهم

أن بطونهم تألمهم من الجوع ومن رغبتهم في دخول الحمام

وجري كل منهم إلي احدي الحمامات وابتسم السيد حلمي الذي

كان مازال في المكاتب ورحل وتركهم.

في الصباح اجتمع الضباط معا وانتظر الضباط باقي الأحداث في

تشوق كأنهم ينتظرون شهر زاد لتروي لهم حكاية خيالية من

قصص ألف ليلة وليلة. انتظر الضباط أن يبدأ السيد بكري أو

السيد حلمي الحديث ولكن دون جدوى وكانا السيدان ينظران

بأعينهم التي تلمع من السعادة والثقة إلي أعين الضباط الأربعة

التي يملأها الرغبة في معرفة باقي الأحداث والسعادة باستعادة الثقة في أنفسهم وجهازهم وبلدهم والحيرة من كلمة السيد بكري أن العملية الحقيقية لم تبدأ بعد. وبعد صمت طويل بدأ السيد محمود الحديث قائلاً:

- يا فندم حضرتك قلت أن العملية الحقيقية لم تبدأ بعد كيف ذلك؟

- هل أنتم تأتون الجهاز كل يوم لتسمعوا حواديت؟

قالوا وهم يتتسمون:

- هذا هو شغلنا يا فندم أن نعرف الحقيقة.

قال بكري:

- وعرفتوها.

- أننا لم نعرف شيء وكأننا لم نعمل في المخابرات من قبل.

- لأن عادل سيسافر لإسرائيل بدل محسن وسيجسد دور يوسف وبذلك نجحنا في زراعة عميل لا يمكن كشفه تحت أي وضع من الأوضاع. وهذا حجم المعلومات المسموح لكم حتى اللحظة.

ثم وقف وقال متناسياً كل الالتزامات ووضعه ومنصبه وقال:

- هو أنت يا ولد أنت وهو فاكرين إنكم انتم الوحيدين المخلصين في هذه البلد.

قال صالح:

- لكن محسن خسر كل شيء. لا يعد عميل لبلده ولا أصبح بطل ونال التكريم الذي يستحقه ولا مكاسب مادية ولا حتى صحة. بالإضافة للمعاناة في إسرائيل والانكسار الذي أصبح فيه وبالتأكيد لن يثق في أحد بعد اليوم والله اعلم شعوره تجاه بلده الآن خسارة شاب بوطنية وإخلاص وذكاء محسن خسارة كبيرة لمصر.

قال محمود:

- يا فندم أنا مقتنع أن محسن لازم يعرف كل شيء وينال التكريم الذي يستحقه من المخابرات والدولة تكريم حقيقي وليس كما استخف به الضابط الإسرائيلي.

قال حلمي:

- كل شيء في الوقت المناسب؟.

قال خالد:

- يا ليت يافندم الناس تعرف الحقيقة حتى يتأكدوا أن البلد فيها مخلصين كثيرون كما فيها خونة ولصوص. كثير من المواطنين سيصل بهم تفكيرهم لنفس ما وصل له محسن وسيقتنعون أننا أرسلنا محسن ليحرر عساف.

قال بكري:

- المهم ما هي الحقيقة؟.

قال محمود:

- ممكن الأعلام يتحدث في القضية ويوصل للناس نفس المعني وسيكون شكل الجهاز سيء جدا والجهاز طول عمرة مصدر ثقة وفخر للشعب والشعب لم يعد قادر علي فقد الثقة في جهازنا فهو يفقد كل يوم الثقة في أحد مؤسسات الدولة.

قال حلمي:

- لقد حذرنا من أمور كثيرة ولكن لا أحد يسمع.

قال خالد:

- ألن يحاسب العميل يافندم؟.

قال بكري:

- بالطبع سيحاسب ولكن في الوقت المناسب.

قال رأفت:

- الناس ستستمر تشك فينا وإسرائيل تضحك علينا.  
- بالنسبة لإسرائيل لا بد أن تستمر في ظنها أنها الأذكي والأفضل  
ولا بد أن نخذي الفكرة عندها ولا بد تستمر تقول العرب لا  
يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون. أما الشعب المصري سيعرف  
الحقيقة في الوقت المناسب وساعتها سيكون أكثر فخرا واعتزازا  
بالجهاز وببلده وشبابها الذي ضحي بكل شيء بدون انتظار أي  
مقابل حتى لو معنوي

وان شاء الله الظروف ستتغير للأحسن نحن في كبوّة نحتاج فيها  
أن نكون مخلصون لبلدنا ونعمل كل ما في وسعنا حتى نغير  
بلدنا وندعي ربنا يوفقنا ويطلع البلد مما هي فيه.

قال محمود:

- من في الجهاز معنا ومن ضدنا؟.

قال بكري:

- السؤال في غير محلة ما عليكم أن كل واحد يقوم بدورة في  
سرية تامة ولا بد أن تعرفوا أن الجهاز مازال بخير حتى لو كان  
فيه بعض العملاء مسيرهم يقعون وتخلص منهم . وكأي جهاز في  
العالم ممكن يتعرض لأخترق ولكن ظروفنا وظروف بلدنا مختلفة  
وفرض علينا طريقة معينة في التعامل معهم ولا بد أن تثقوا أنهم  
سينا لوا جزأهم ولكن في الوقت المناسب.

قال محمود:

- حالة محسن سيئة جدا لا بد أن نساعد للخروج مما هو فيه  
. أنا أخشي عليه

- أنا أعرف مدي حبك وتقديرك لمحسن ولكن كل شيء في الوقت

المناسب . مطلوب أن محسن يدخل التجربة حتى النهاية ودع الأم  
يعتصره .

قال محمود:

- ما الفائدة يا فندم ؟

قال بكري:

- حدود معرفتكم ستقف عند هذا الحد. كل واحد سيجد مهامه  
الجديدة علي مكتبه.

## الفصل الثامن

لم يرد الخروج من حالته كأنه أدمن الاكتئاب أو اتخذه صديقا وكره النظر لنفسه في المرآة لأنه يري يوسف أو مصطفى أو نفسه الذي أصبح يكرهها أكثر من الجميع. فقد كرههما حتى من دون أن يعرفهما وأصبح يكره حياته وسئمها وتلمي لو يخلصه الله منها . وتعجب من الدور الذي لعبه في الحياة وهو كان يؤمن أن الله خلق كل إنسان لدور في الحياة مهما كانت قدراته ووضعه الاجتماعي والمادي والعلمي والأدبي. ومهما بدا للآخرين أن وجوده لم يفرق كثيرا من عدمه.

فعبد الله والد النبي محمد صلي الله عليه وسلم ماذا كان دور في الحياة غير النطفه التي كان منها النبي . ومن العجيب أن حياته انتهت مع انتهاء دوره فمات بعد ذلك بقليل . فكان يقول في نفسه هل كان دوري فقط أن أخدع ويستغلني الآخرين. كان ذراعه أيضا يذكره بما مني به من هزيمة نكراء في موقعة سماها نهاية .

فكر أن يسافر للعمل خارج مصر وقال في نفسه كيف يقبلون مهندسا زراعيا بيد واحد ووجه مكتئب يائس من الحياة وآلاف الشباب يتقدمون لهم تملأهم الحيوية والنشاط والصحة . وكان حاله ذراعه تزداد سوء يوم بعد يوم نظرا لحالته النفسية رغم أن الأمر كان يحتاج فقط لعزيمة وعلاج طبيعي. دارت نقاشات طويلة مع نفسه وقد اتخذ من نفسه عدوا. زادت من ألامه فلم يعد معه أحد حتى نفسه.

كان يعنفها كثيرا.

كم أنت ساذجة إذ وافقني.

لقد كنت تعرفي كم الخيانة في مصر.

لم تكن مصر تستحق التضحية.

كان يكفيها الخونة والمستغلين التي عشقتهم وأعطيتهم كل ما

تملك حتى أبناءها

لقد أدمنت الاستعباد والرذيلة.

ماذا يفعل شاب ذو كرامة في امة بلا كرامة.

بالطبع هو المخطأ.

كقوم لوط كانوا يروا نبيهم هو الضال.

نعم أنا المخطأ.

سأترك في فراش الخطيئة يا مصر.

أتعرفي كيف كنت أراك وكيف أصبحت.

كنت أمتي التي أظنها أفضل امرأة في التاريخ وأكثرهم إخلاصا

لزوجها وكم تتحدثين عن الفضيلة وعن إخلاصك لزوجك ثم

فوجئت بك في فراش قاتل أبي.

بل والله أكثر من ذلك بكثير الفارق كما بين السموات والأرض.

بل أكثر بكثير.  
 لعنتي يا بلدي آه يا من كنت بلدي.  
 نعم أقسم بالله.  
 نعم الله الذي دعوته كثيرا واستخرته ثم القاني ليد الخونة  
 يفعلوا بي كما يشاءون  
 كم هي قذرة هذه الحياة.  
 هل كان لنا حق الاختيار.  
 أم كانت مفروضة علينا.  
 هل كنا سفهاء إذ رضينا بهذه الحياة.  
 كيف نحاسب عليها ونحن جهلاء وظلمة ومظلومين.  
 لم تكن الحياة كلها تستحق هذا العناء.  
 لقد تركت الظلم والطغيان يسعي في الأرض فساد ولم تتدخل  
 لتحمي الضعفاء ..  
 لم سلمت الأرض للشيطان.  
 إن يده ظاهرة وهو يدير العالم الآن.  
 لما لا تظهر نفسك للناس حتى يعرفوك.  
 لما لا تنصر الحق انصره  
 ألا يستحقوا عفوك؟.  
 ألا تمتحنهم بالخير بدلا من الشر؟.  
 ألا ترشدهم إليك؟.  
 ألا تظهر قوتك وعدلك؟.  
 الحقيقة الواحدة هي انه لا يمكن إنكار وجودك للأسف.  
 كنت ولا لازلت أحب أن اسجد لك سجدة طويلة ملئها الرضي  
 عنك لا أقول فيها شيء إلا ما استشعره في قلبي.

لما لا تريدني أن ارضي عنك وترضي عني.  
هل تكرهني؟.

هل كرهت صنعة يدك؟.

لماذا خلقتني لتلقني في النار؟.

نعم تستطيع.

فمن أنا ومن أنت؟.

أمر غير متكافئ؟.

قوة مطلقة وضعف مطلق.

سفيه من اتخذك عدو.

فأنت عليه قادر.

الم أكن أستخيرك.

لما ألقىت بي في هذه التجربة.

الم ادعوك ألا تحملني ما لا اقدر.

الم ادعوك ألا تسط علي بذنبي من لا يخافك ولا يرحمني.

الم استعيذ بك من قهر الرجال.

كان الموت أهون علي مما أنا فيه.

لما خلقتني من البداية.

لما جعلتني في هذه البلاد الظالم أهلها.

لما لم تعطيني وطنا يقدرني ويحترمني.

لما لم تجعل العالم يستفيد من علمي.

لعلي فعلت خيرا بهم.

هل مقتني؟.

الست ارحم الراحمين.

أأنت غضبان علي لهذا الحد؟.

يا رب اعلم أنني تجاوزت. هل كان خيرا لي أن لا أقول ما في نفسي فابدوا مؤمنا راضيا وأنا بداخلي غير هذا؟ ولكنك تعلم ما في نفسي من غير أن أقوله.

إلا تغفر لي فمن يغفر لي؟.

إن لم ترحمني فمن يرحمني؟.

إن لم تهديني فمن يهديني؟.

إن لن تنصرتني فمن ينصرتني؟.

اعلم انك غني عني ولكن لا غني لي عنك.

إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي.

علي أن أسافر خارج مصر حتى لو في مراكب الموت.

لهذه الدرجة أنا رخيص لا اتصال تليفوني واحد يطمئنون علي.

لن اتصل بأي منهم لمساعدتي علي العمل خارج مصر.

استمرت هذه الأفكار تدور في ذهن محسن وغيرها من النقيض

للنقيض من قمة الإيمان إلي العكس من الرضا إلي السخط ولكن

مع ذلك لم يترك الدعاء رغم شعوره انه لن يستجاب له.

كان محسن يشاهد التليفزيون ويقلب في القنوات

فرأي ما أدهشه . كان السيد عبد

الغني في أحدي برامج التوك شو يتحدث إلي مذيع وقد بدا أصغر

كثيرا في السن وصحته بدت أفضل بكثير . وفهم من الحوار أنه

قد عاد من رحلة علاج من الخارج وأنه قد شفي تماما من

المرض. قال محسن في نفسه الأستاذ عبد الغني هو من شجعني

علي التضحية يا ليتني ما ذهبت له من البداية ثم صمت قليلا

وقام متعجلا وخرج من البيت وأنطلق إلي منزل الأستاذ عبد

الغني فلما وصل إلي بيته ودق الباب فتحت له زوجة الأستاذ

عبد الغني وقد بدت في صحة وحاله أفضل من ذي قبل فقالت:  
- من تريد؟.

قال محسن:

- الأستاذ عبد الغني.

قالت السيدة:

- مازال في التليفزيون عنده تصوير.

قال محسن:

- شكرا ونزل السلام وعندما خرج من العمارة وجد السيد عبدا  
لغني ينزل من سيارة مكتوب عليها أسم أحدي القنوات الخاصة  
فحاول أن يتخفي منه وينطلق بدون أن يلاحظه ولكن السيد  
عبد الغني لاحظ وقال له:

- يا ابني تعالي أتفضل.

وحاول محسن أن يتهرب منه ولكنه أصر عليه وأمسك بيده  
وأصطحبه إلي داخل بيته وقال لزوجته:

- اثنين شاي يا حاجه, سأشرب شاي معك هذه المرة, يا بني  
كيف حالك لم أرك من زمن بعيد.

قال محسن:

- الحمد لله وحمدا لله علي السلامة .

قال عبد الغني:

- الله يسلمك, أين كنت؟

قال محسن:

- كنت في شغل بره مصر

قال عبد الغني وهو ينظر إليه:

- يا تري عملت ما عليك لبلدك؟

قال محسن وهو ينظر إليه:

- ليتني لم اسمع كلامك.

قال عبد الغني في هدوء:

- لما يا بني ؟

قال محسن والدموع في عينه وصوته لا يكاد يخرج:

- خانوني.

قال عبد الغني متسائلا:

- من خانك؟

قال محسن وهو ينظر إلى الأرض حيناً و إلى عبد الغني حيناً آخر:

- الكل.

قال الأستاذ عبد الغني في ابتسامه هادئة:

- لا يمكن أن يخونك الكل.

قال محسن وهو ينظر إلى الأستاذ عبد الغني:

- بل الكل خان.

قال الأستاذ عبد الغني وهو يبتسم:

- تقصد أنني خنتك؟. لأني شفيت ؟ و كيف دبرت مصاريف

العلاج؟ لتعلم ليس علي نفقة الدولة لأنهم أصبحوا عندهم

سياسة ممنهجه لمعاقبة كل من شارك في الحرب ليرضوا اليهود .

لكن ربنا حي وموجود والبلد فيها ناس كثيرة يحبوها بلا مقابل

شاب مصري كان أصيب في حادثة وعارف أي احتاج قلب جديد

أتبرع لي بقلبه قبل الموت و دكتور مصري في بريطانيا صمم أنه

يعمل العملية في لندن وتنازل عن حقه المادي و دفع جزء من

تكلفة العلاج في المستشفى و دفع أهل الشاب المتبرع بالباقي

لينفذوا وصية ابنهم .هل تصدق هذا؟. أنا نفسي لا أصدق وبكي.

بكي محسن وهو يسمع هذه التضحية وقال:  
- أهذا معقول؟.

قال عبد الغني وهو يجفف الدمع:  
- قلت لك الإخلاص بلا مقابل إلا من الله . هل فهمت يا بني  
ولا لا؟.

قال محسن وهو يجفف الدمع:  
- فهمت جدا ولكن للأسف في الوقت الضائع تسمح لي  
بالانصراف؟.

قال عبد الغني بهدوء وثقة:  
- يا بني خلي ثقتك في ربنا كبيره أكيد هو يخبأ لك الخير لا  
تتعجل للعلم أنا وابني ساهمنا بكل ما معنا في العملية دفعنا  
ثمان التذكرة وجزء من حساب المستشفى في لندن والله يا بني  
لن تصدق إدارة المستشفى لما عرفت كم التضحيات التي حصلت  
تنازلت عن عشرة في المائة من أرباحها.  
قال محسن متعجبا:

- يا..... هم عندهم إحساس والبهوات في البلد لا.... ربنا معانا.

## الفصل التاسع

كان محمود يعرف شخصية محسن جيدا فهو لا يحب أن يظهر ضعيفا أمام أحد ألا نفسه . ولا يحب أن ينظر إليه أحد نظرة شفقة ولذلك لم يضغط عليه وسأله عن أحواله وعما ينوي أن يفعل في المستقبل فكانت أجوبته تعطي إيحاء أنه نسي كل شيء وأنه تجاوز المحنة وسيبدأ من جديد ولكن محمود كان علي يقين أن الأمور ليست كذلك. واتجه محمود مباشرة إلي مكتب السيد بكري بدون أن يخبر محسن أن السيد بكري يريد مقابلته لأنه يعلم أنه سيرفض رفضا نهائيا ودخل مع محسن إلي المبني مدعيا أنه يريد شراء هدية من محل به فوجد محسن نفسه فجاءه أمام السيد بكري والسيد حلمي فبدأ الغضب علي وجهة فقام السيد بكري إلي محسن وذهب إليه وقال له حمدا لله علي السلامة يا بطل فقال محسن الحمد لله ولكني أنا لا بطل ولا حاجة ونظر إلي محمود نظرة الغاضب ولكن حياه منعه من عدم السلام عليهم.

قال السيد حلمي له وهو يسلم عليه بحرارة:

- لا طبعا أنت بطل كبير أتفضل بالجلوس .

وطلب السيد محمود الأذن بالانصراف إلا أن السيد بكري قال له ستحضر اللقاء للنهاية فجلس السيد محمود في مقابل السيد محسن وامسك السيد بكري بالتليفون وقال ماذا تشرب يا سيد محسن.

قال محسن:

- شكرا يا سيد بكري.

قال بكري:

- كلنا سنشرب قهوة أنا عارف أنك شباب ستشربها زيادة وطلب القهوة لهم

ابتسم محسن ابتسامة ساخرة ولسان حاله يقول ذهب الشباب. ثم قال بكري:

- مصر تشكرك علي الخدمات العظيمة التي قدمتها لها وتؤكد لك امتنانها لسيادتك وتقدم لك شيك بمبلغ مائة ألف جنيه وهي مستعدة لتقدم لك أي شيء وأعطاه ظرف مغلق.

لم يمد محسن يده لاستلام الظرف وقال:

- الحمد لله أنهم ليسوا خمسة آلاف جنيه كما قالوا في إسرائيل و يا تري الشيك باسم محسن ولا مصطفى.

قال بكري بهدوء:

- الشيك لحاملة وأنت محسن ومصطفى.

فقال محسن ساخطا:

- لما تكرموني؟ هو أنا عملت حاجة أنا مجرد دوبلير قام مكان النجم الكبير مصطفى الذي يعمل دور يوسف . سافرت و اتبهدلت مكانه في الآخر الجمهور صفق للبطل مصطفى ونسوا نهائيا الدوبلير طلعت قصة خرافية ولا يوجد بطل حتى مصطفى

كان كبش فدي لعساف

ضحك بكري وقال:

- طلعت مؤلف كبير ونحن لا ندري. ما كل هذا الخيال الواسع  
لقد كنت في مهمة وطنية وقمت بها علي أكمل وجه.

قال محسن غاضبا:

- من ناحية أني قمت بها أنا قمت بها فعلا ولكن علي أسوء  
وجه. لو سمحت يا سيد بكري لا تستخف بكلامي ولا تستخف  
بذكائي.

قال بكري بهدوء:

- يا محسن لما كنت في إسرائيل أمدتنا بتفاصيل ثلاث عمليات  
لمنتجات زراعية مسرطنة وحميت بلدك منها وهذه كانت المهمة  
و قبض عليك واستبدلناك بواحد يهودي وأنت في مصر الآن  
ونكرمك.

في أثناء ذلك كان محمود يسمع هذا الكلام ويتعجب من السيد  
بكري لماذا لا يقول الحقيقة لمحسن ولكنه ظل صامتا.

قال محسن قاطعا الحديث:

- يا فندم لو سمحت لو بلدي تحب تكرمني يبقي تسفرني أي  
بلد وتوفر لي فرصة عمل محترمة فيه.

قال بكري مبتسما ابتسامة هادئة:

- نحن نستطيع أن نسفرك لأي بلد عربي أو أجنبي حتى لو  
تحب ممكن نسفرك إسرائيل.

ابتسم محسن وقال:

- لا شكرا كفاية دولة عربية أو أوربية.

قال بكري هادئا:

- مصر تحت أمرك ولكن عليك أن تعرف الحقيقة وبعدها أنت حر تعمل ما تريد كلامك الذي قلته كان فيه صح وفيه خطأ. الصحيح أنه فعلا كان في محاولة من جهة بها عملاء لاستبدال عساف بشاب مصري ضحية لكن كشفنا اللعبة من البداية و تظاهرننا بأننا بلعنا الطعم ومشينا معهم حتى نحقق هدفنا وهو زراعة عميل لنا في إسرائيل بطريقة لا يمكن كشفها.  
ضحك محسن:

- كيف هذا يافندم والعميل قبض عليه؟  
قال السيد بكري:

- يا محسن العميل مازال في مصر.  
قال محسن في تهكم:

- كيف العميل مازال في مصر؟  
قال السيد بكري:

- طبعا مازال في مصر. بداية يوسف في ذمة الله من بداية العملية ولما وقع الاختيار عليك لتقوم بدوره كانت الجهة السيادية لا تعرف أن يوسف ميت وكانت تعرف انه محبوس في مصر لدخوله مصر بطريقة غير شرعية وأبلغناهم انك ستسافر لتلعب دور يوسف وكان شاب مصري آخر وهو عادل يشبه يوسف وممكن نسفره مكانك ولكن حدث شيء عجيب كان عادل له نفس الشفرة الوراثية ليوسف وبالتالي أصبح هو أفضل منك للقيام بدور يوسف ولكننا اخترناك أنت للعملية .وخصوصا لأننا نعرف أن العملية ستفشل ويقبض عليك. وسرنا لإسرائيل ما يؤكد أنك لست يوسف.

قال محسن وقد اعتلي وجه الدهشة:

- أنتم ؟.

قال بكري:

- طبعا لأن عادل سيرجع إسرائيل علي انه يوسف وبالتالي لا يمكن كشفه لأن له نفس الشفرة الوراثية ويقدر يكون عميل مفيد لنا جدا.

قال محسن:

- هذا يعني أنا كنت كبش فدا لعادل . تمام يبقي علي الأقل لم أكن كبش فداء لعساف.

قال بكري:

- أما مصطفى الذي تظنه قد سرق حقك فهو ذلك الشاب الذي ضحي بعلمه ومجهوده ليغطي مكانك في ألمانيا ومصر. طبعا أنت لم تفهم شيء و لكن التفاصيل كلها سيطلعك عليها السيد محمود وليس هذا هو المهم. المهم هو... هو أنك ستحضر مع السيد عادل تدريبه وتحكي له كان شيء حصل لك في العراق وإسرائيل من سفرك لعودتك . وهذا من حيث المبدأ لكن النقطة الأساسية أن عادل ليس الشخص المناسب للعملية لأسباب كثيرة منها شخصيته ومقوماته وأيضا ظروفه العائلية و سيكون في إسرائيل في مهمة خاصة لتأكيد أن يوسف حي ويطمئنوا لعادل و سيرجع مصر ولن يستطيع أتمام المهمة وبالتالي لابد من وجود شخص آخر للقيام بالمهمة.

قال محسن متسائلا ومحاولا تجميع كل شيء:

- يعني أنا سأحضر التدريب مع الشخص الجديد ؟ من هو هذا الشخص ؟ هل هو مصطفى؟.

قال بكري:

- مصطفى أيضا لا يصلح للمهمة.

وفي هذه اللحظة قال السيد محمود يعني سندخل في رحلة بحث جديدة يا فندم.

قال بكري:

- طبعا العميل الوحيد المناسب للمهمة موجود ومدرب كذلك.  
قالا في نفس الوقت:

- من هو؟.

قال بكري:

- محسن.

لم يصدق محسن ولا محمود ما يسمعا وبدا عليهم الذهول والتعجب فأكمل السيد بكري حديثه:

- محسن هو الشخص المناسب للمهمة وخصوصا لقيادة مجموعة العمل المساعدة له في إسرائيل. بدا الاندهاش واضحا علي وجه محسن ووجه محمود. وأكمل السيد بكري التفاصيل ستعرفونها في الوقت المناسب المهم الآن السيد محمود سيطلعك علي كل التفاصيل وبعد ذلك ستعرف التفاصيل الجديدة. يا محسن البلد فيها خونة أيضا و مخلصين والصورة ليست سوداء كما كنت تظن وصمت لفترة وجيزة ثم قال في الفترة الماضية أنت كنت اقل واحد عنده معلومات لكن من اليوم ستكون أكثر واحد عنده معلومات . ربنا يعينك علي المسئوليات الجديدة. ربنا يوفقك.

لم يستطع محسن الكلام فقد انتابته حاله من السعادة الغامرة مع التفاؤل والثقة بعد فترات طويلة من الحزن الممزوج بالاكئاب واليأس أسكتته تماما ومع هذا حاول بصعوبة شديدة أن يعبر عن نفسه وما يدور داخلها فلم يستطع. أخذ محسن

الظرف من علي مكتب السيد بكري ونظر إليه وهو يبتسم ثم فتح الظرف وضحك بصوت مرتفع جدا ولا حتى خمسة آلاف جنيه أنا لا أصدق يا ليتة صدق الظرف فارغ تماما وأستمر في الضحك بصوت عالي وهم يضحكون معه.

محمود أتصل بمحسن وطلب منه أن يلتقي به في المزرعة التي كان يتدرب فيها، لذا مر عليه بالسيارة و أصرحبه معه. في الطريق تذكر كثيرا من الأحداث التي حصلت له في أثناء التدريب وتبادل الذكريات مع محمود كان يضحك ولكنه يشعر بشيء في قلبه حتى إذا وصل إلي المزرعة ووجد نفسه أمام بابها امتزجت السعادة بالحزن في قلبه. صمت طويلا ولم تتحرك قدميه بدء يشعر بألم في ذراعه الأيسر.

كان محمود يشعر بما في داخله ووقف إلي جواره ولم يتكلم ثم بدء بعد صمت طويل

يقول له أعلم أن الأمر صعب لكن لا بد من تجاوز المحنة والبدء من جديد . بدا الاختناق علي محسن وظل صامتا. محمود أستمر في تهدئته وتطييب خاطره ليتعدى هذه المرحلة.

حاول محسن أيضا التغلب علي ما به حتى أغلق عينيه برهة ثم فتحها وقد أستجمع قوته

وقال لمحمود لنذهب قضي الأمر. محسن تجلد ودخل إلي المزرعة وقابل السيد بكري

الذي أصرحبه في جولة حول المزرعة ثم دخل معه مكتب وخرج من باب آخر داخل الغرفة ثم إلي ممر طويل. فتح السيد بكري باب ونظر محسن من خلاله فرأى ما لم يصدق رأي مرآة فيها صورته تماما ويتحرك نفس حركته ولكن لا توجد صورة السيد

بكري فتعجب ودخل من الباب علي مهل وهو ينظر أمامه لدرجه أنه خاف أن يصطدم بها ولكن السيد بكري كان مستمرا في السير تجاه المرأة ولا تظهر له صوره وفجأة مد شخص من المرأة يده ليسلم عليه توقف محسن عن الحركة وهو مندهش و تذكر أنه سيقابل عادل فقال في نفسه عادل لا لا هذا شكلي قبل ما أكون يوسف..... يوسف ..يوسف لا لا يوسف في ذمه الله وقال:

- مصطفى نعم مصطفى فمد يده سريعا وقال مصطفى كيف حالك؟.

أندهش مصطفى من ذكاء وسرعه بديهه محسن وقال:  
- كيف حالك يا محسن؟.

أخذ محسن ينظر إلي مصطفى وهو يقول:  
- وحشني شكليي جدا كم كنت جميلا . أخيرا رأيت نفسي الحمد لله .

قال مصطفى:

- ولكنني لن اقدر أن أري نفسي مرة أخري والحمد لله كلنا فداك يا محسن.

قال محسن والدمع في عينيه:

- كلنا فداء مصر. أنا أسف إن كنت ظننت بك ظن السوء صحيح إن بعض الظن أثم أنا اعتذر لك ,أنا حتى لم أكن أعرفك.

قال مصطفى:

- ولا يهمك أحب أن اطمئن عليك وعلي ذراعك . كيف حالك الآن؟.

قال مصطفى:

- الحمد لله لقد تحسنت كثيرا، الحمد لله وهذا هو ذراعك أنت وليس ذراعي.

قال محسن:

- لقد أصبحنا واحد.

قال بكري:

- كفاية قطعتم قلبي. المهم سأترككم قليلا مع بعض. بعدما تخرجوا من هنا لا بد أن تنسوا نهائيا أنكم تقابلتم. وممنوع تعرفوا عناوين أو تلفونات بعض أو تتقابلوا بعد ذلك ولو بالصدفة رأي بعضكم البعض سواء داخل أو خارج البلاد أنسوا أنكم تعرفوا بعض وأبعدوا عن المكان فورا.

قالا في صوت واحد:

- تمام يا فندم وأقبلا علي بعضهما البعض يتحدثون ويضحكون كأنهم أصدقاء منذ الطفولة . وتركهم السيد بكري قرابة الساعة ثم دخل عليهما وطلب منهما أن يودع كلا منهما الآخر . احتضن كلا منها الآخر حضنا دافئ مملوء بالمحبة والصدقة التي أصبحت بينهما ومني كلا منها ألا يترك الآخر . ومني كلا منهما التوفيق للآخر في مهمته وغادر كلا منهما وهو ينظر للآخر.

سارت السيارة في اتجاه طريق مصر إسكندرية الصحراوي حتى وصلت للمزرعة التي كان يتدرب فيها محسن. نظر محسن إلي المزرعة وشعر بأحاسيس مختلفة من الفرحه من ذكرياتها الجميلة والحزن مما حدث بعدما تركها والخوف مما هو آت إلا أنه كان سعيدا بالعودة للمزرعة فقد كانت ذكرياتها جميلة فيها تعرف علي السيد خالد وعلي الصديق المحبوب محمود وعاش

معه حلم مشروعة. قاطع محمود ما كان فيه محسن وقال له تعالي لنقابل السيد بكري. أبتسم محسن وقال لمحمود هل تذكر الأيام التي قضيناها هنا؟. نظر محمود إلي محسن فوجد عيناه تلمعان ووجهه صافي فسعد انه رأي وجه محسن هكذا وقال له نعم اذكر أنها كانت أيام جميلة جدا. ولكن للأسف ليس أمامنا وقت للذكريات السيد بكري ينتظرنا. انطلقا سويا حتى وصلا إلي السيد بكري الذي أستقبلهما بحفاوة وجلسا معا ينتظران ما سيقوله السيد بكري.

ظل السيد بكري صامتا لفترة طويلة ولم يقطع هذا الصمت إلا طرق علي الباب تحرك علي أثره السيد بكري لفتح الباب. فتح السيد بكري الباب ودخل عليهم يوسف. قام محمود ومحسن سريعا وأخذا ينظرون لمن دخل عليهما. - محسن يو.....عادل كيف حالك؟.

ابتسم عادل الحمد لله كيف حالك يا محسن؟ الحمد لله ذراعك قد شفاه الله أنا سعيد بذلك كان محمود يقف مندهشا فهو لم يشاهد اثنان متشابهان كما هما.

هما أكثر تشابها من أي توأمان رأهما في حياته كأنهما صور لبعض في مرآة.

طلب السيد بكري من الجميع الجلوس وأخذ كل شخص ينظر لمحسن وعادل حتى محسن وعادل كانا ينظران إلي بعضهما البعض ولا يصدقوا.

قطع السيد بكري هذا المشهد قائلا سيبدأ اليوم التدريب الخاص بعادل وعليك يا محسن أن تحكي كل شيء منذ سفرك من القاهرة

حتى عودتك إليها وعليك ألا تنسي شيء  
وعليك أن تعطي له معلومات وافية عن كل شخصية. سيصطحبكما  
السيد محمود إلي أحد المكاتب.

انتقل محسن وعادل إلي هذا المكتب وجلسا سويا ينظر كلا منهما  
للآخر ويقول سبحان الله وجه واحد وأكثر من روح. بدء محسن  
الكلام قائلاً برغم كل ما حدث لي إلا أنني سعيد جداً بما أنا فيه  
لأنني تعرفت عليك وعلي مصطفى.

قال له عادل وأنا كذلك وأكثر ولكن أخبرني عن مصطفى؟.

حاول محسن أن يصف مصطفى إلا أن الكلمات عجزت عن  
وصفه فقال لعادل لا أجد الكلام الذي أصفه به إلا أنني أشعر  
أنك ستشعر بما أشعر به.

صمت عادل قليلاً ثم قال نعم يا محسن شعرت بما تحب أن  
تقول فقد كنت أرسم لك في خيالي صورة لروحك وقد كانت  
روحي صادقة معي وأنا علي يقين وخاصة بعدما شعرت بما  
أردت أن تقوله أنني أعرفه جيداً وأتمنى أن أراه قريباً.

- محسن وهو سعيد بما يسمعه من عادل ودمعة السعادة في  
عينه أتمنى أن نتقابل سوياً ثم مسح عينيه وقال يا عادل دعك  
من هذا سيأتي السيد بكري الآن وسيسألنا عما وصلنا إليه .

ابتسم عادل ومسح عينيه وقال نعم..... نعم السيد بكري أحكي  
لي سريعاً.

كان السيد بكري يراقبهما مع السيد محمود وسعد بهذه الروح  
التي بين هذا الفريق العجيب.

استمرت اللقاءات بين محسن وعادل ورغم كثرة

الشخصيات التي سيتعامل معها وتنوع صفاتها إلا أن راشيل كانت

أغربهم وأكد محسن له أنه لن يتخيلها إلا إذا تعامل معها وأكد  
 له أنها في النهاية امرأة ضعيفة تخفي ضعفها بما تحاول أن تظهره  
 من القوة وانك إن لم تحبها فستشفق عليها برغم كل صفاتها،  
 وحكي له محسن عن حلمه الذي رآه في إسرائيل رغم تخرجه  
 منه إلا أنه كان يشعر أنه يتحدث مع نفسه فكيف يتخرج منها  
 وضحكا كثيرا عندما قال له عن أن المخابرات المصرية والإسرائيلية  
 سلمته لراشيل كعقاب له أشد بكثير من أي عقاب آخر ولكن في  
 الحقيقة عندما تأكدت راشيل أن يوسف عازم علي الابتعاد عنها  
 تركته وهي تبكي . ولم يراها من بعد ولم تؤذ حتى.

تحدث إليه أيضا وقال عندما ذهبت لإسرائيل كنت أرفض  
 وجودها علي أرض فلسطين وليس ذلك لأنني عربي أشعر بأن  
 أرض عربية قد اغتصبت ولكن لأنني إنسان اشعر برفض شديد  
 بسرقة أرض الآخر وانتهاك حرمانه وطرده من أرضه. كنت اشعر  
 أيضا بكراهية لهذا الشعب ولكن مع الوقت ومع التعامل مع  
 الناس والاندماج في المجتمع اختلفت الأمور بعض الشيء وجدت  
 بلدا متقدما كثيرا عما كنت أظن وأعرف وعلي الرغم من إنكار  
 ذلك في البداية ولكن مع الوقت كان الإنكار مستحيلا وعلي الر  
 غم أيضا من اعتمادها علي المساعدات وبالرغم من الفساد  
 وبالرغم أيضا من سلطة المؤسسة العسكرية ولكن هناك تقدم  
 علمي حقيقي وعدد كبير من الجامعات مصنفة في أفضل مائة  
 جامعة وبالرغم من أنني كنت أظنه تحيزا لإسرائيل ولكن مع  
 التوغل في هذه المؤسسات العلمية وخاصة ما يخص الزراعة فقد  
 أيقنت فعلا بتقدمها ومهما حاولت الإنكار كانت النتيجة عكسية.  
 ليس هذا فقط اقتصادي قويا ومتماسك وصناعات حديثة

وتكنولوجيا متقدمة. مدن حديثة جميلة منظمة ونظيفة. مدارس حديثة تجعلك تحب التعليم. الجميع يعمل ولا يتكلم وأمور كثيرة أخرى. هذا الأمر محترم جدا وأراه عظيما وكنت أتمني أن تكون أكثر تقدما منها ولكن مع ذلك فأنتني أرفض تماما الطريقة التي امتلكوا بها الأرض من قتل وسرقة وتهجير وهم يشبهون كثيرا ما فعله الأوروبيون حين ذهبوا للأمريكتين وخاصة ما حدث في أمريكا وسأعود لذلك قريبا ولكن أود أن أحدثك أولا للناس وبالمعاملة معهم فهم إشكال كثيرة. الأول منهم هو من يرفض وجود اليهود في فلسطين وهم إما اضطروا للهجرة نتيجة اضطهاد من بعض الدول ونتيجة الضغوط عليهم من وكالات التهجير ولكنهم يشعرون بأنه ما كان ينبغي لهم الهجرة الي أرض فلسطين ويرون أن في قيام إسرائيل مخالفة لأوامر الله في تشتيت اليهود وبعض منهم ولد في إسرائيل ولكنه تبني هذا الفكر. الثاني منهم من لا يشغله هذا الأمر يرون أنه وطن لهم يشعرون تجاهه بإحساس الوطن وهو ما افتقدوه في كثير من البلدان الأخرى ومن هذا الصنف أيضا من ولد في إسرائيل وعاش فيها كوطن لا يشغله الأمر كثيرا ولا تهمة القضية من الأساس ولا يسمع عن الخلاف مع الفلسطينيين إلا من خلال الحديث عن المفاوضات أو عمليات تتم بين الجانبين من وقت لآخر يري فيها أن دولته محقه وأن الفلسطينيين هم علي خطأ دوما وهم كثير. الثالث منهم هم من يروا أحقيتهم في السيطرة علي فلسطين بل البلاد المجاورة وربما العالم أجمع وأنه يجب التخلص من الفلسطينيين بل وربما كل من هو ليس يهودي ويرى سفك دمائهم وطردهم أمر لابد منه وقربي إلي الله وطاعة له وإنفاذا لما أمر به . وهذا

الصف هو الأخطر وعلي الرغم من رفضي لهم جملة وتفصيلا إلا أنني أشعر تجاههم بالآسي أحيانا أو علي الأقل علي جزء منهم لأنهم ضحايا للقادة وليس أقصد الحكام فقط بل كل من يقدر علي تشكيل فكر ووجدان الناس وعلي رأسهم رجال الدين والسياسة والأعلام والكتاب وغيرهم وليس أقل من ذلك أهمية الإباء والأساتذة في المدارس والجامعات. هؤلاء من شكلوا وجدان الناس ليس في إسرائيل فقط بل في العالم كله. بالطبع الأنفس تختلف وليس الكل يقبل هذا ولكن الأنفس تحب ذلك وترحب به و عامة الناس تستقبل ما يقال لهم وخاصة من هؤلاء كأنه مقدس ولا أقصد عامة الناس الجهلاء ولكن هم من يحتاجون لأن يشكل فكرهم أحد وهم ربما يكونون أساتذة جامعات وقضاة وحتى وزراء ورؤساء دول. وكما يقال الزن علي الأذن أمر من السحر. ويظل من يرفض هذا الفكر قليل جدا لا يقدرّون علي قيادة الدفة حتى لو تمكن واحد منهم من الدفة فانه سريعا ما يضطر لتكها إما بالموت أو العزل. إن غالب الأنفس تتشوق للقتل وسفك الدماء والسرقه واضطهاد الآخر لذا تكون أيسر عليها إتباع من يقودها إلي ذلك وليس من يروضهم علي عكس ذلك. لقد أخبرتك أن هذا النموذج الإسرائيلي يماثل كثيرا نظريه الأمريكي لذا تجد تقارب كبير في الفكر منعكسا علي السياسة أو العكس فحين دخل الانجليز أمريكا تناحروا مع الهنود الحمر أو من سموهم كذلك علي الخيرات وعلي الرغم من كونها كثيرة وكانت تكفي الجميع وتزيد عن ذلك إلا أنهم تناحروا وكان لكل مبرراته الكثيرة وانتهى الأمر بقتل عدد كبير من الناس من الطرفين وفقدان الإنسانية لما كان يمكن أن ينتجه هؤلاء من القتل وخسرنا جزء

من حضارة العالم التي كانت لدي الهنود الحمر والتاريخ المشترك بين البشر وخسرنا ما هو أهم هو الحب وزعت الكراهية بين الناس. وكان هذا قريبا مما حدث في فلسطين ولكن مع الفارق أنهم لم يستطيعوا أن يبدوا أهل فلسطين وان كان كثيرا منهم يريد ذلك. لم يكن للفلسطينيين أي علاقة لهم بما حدث لليهود من اضطهاد ولكن كانوا هم من يستطيعون الانتقام منهم. تصور لو أنهم لم يتقاتلوا بل تعاونوا كيف كان يمكن للبشرية أن تصل. لا يتعاونون من أجل صد عدو من خارج الأرض كما يقال دائما بل من أجل التقدم سويا في اتجاه المعرفة التي نصل بنا إلي الغاية المنشودة من معرفة الحقيقة بمعناها الواسع وكل الحقيقة وتكون الحقيقة ح. أن علي يقين أن حلم المدينة الفاضلة سيكون بدائيا وما نحلم به سيكون الرفاهية والكرامة والتقدم والعلم سيكون تافها، أتدري إلي أين كان ممكن أن نصل بالطبع لأرقي كثيرا مما نريد. أتدري إلي أين كان ممكن أن يأخذنا الحلم والطموح. ربما تفوقنا علي الشياطين وقهرناهم ربما صافحنا الملائكة جهارا ربما غزونا الكون الفسيح ووصلنا إلي المعرفة الحق والتي هي غاية الغايات.

قال عادل والذي كان صامتا ينظر لمحسن بإكبار:

- أنه لهدف عظيم أن تعيش من ذلك. من أجل أن يحب البشر بعضهم بعضا من أجل أن لا يتقاتل الناس ومن أجل الأمم أن تتقدم في طرق الحضارة.

فقال محسن بهدوء:

- إن لم يرد القادة فلا معني للمحاولة. فقال عادل ولكن يجب المحاولة فقال محسن ربما ولكنني لا أقدر فقال عادل عليك

المحاولة والتوفيق من الله. لم يجب محسن ولكنه بدأ أنه يفكر. أنهى عادل تدريباته وأصبح جاهزا للسفر لإسرائيل ليكمل المهمة وكان عادل قلقا جدا من هذه الخطوة وبدأ يشعر بالخوف من الخطر الكبير الذي سيقدم عليه. كان لمحسن دور كبير في طمأنه عادل وأكد له أن الأمور ابسط بكثير مما يظن وتذكر محسن ما كان عليه في مثل ظروف عادل وكيف طمأنه محمود وزملائه في المخابرات فابتسم وقال لعادل لقد كنت في نفس الموقف وتولي السيد محمود طمأنتي وها هو اليوم أتولي أنا الآن نفس الأمر.

بدأت المفاوضات بين الجانب المصري والإسرائيلي لتبادل الأسرى بين الطرفين. كان الطرف المصري مصر علي استرجاع كل الأسرى المصريين وكان الطرف الإسرائيلي يراوغ من لن يبقي عدد منهم لعله يحتاج إليهم في مهمة أخرى. كانت المفاوضات صعبة جدا بين الطرفين ورغم أن الطرف الإسرائيلي كان يؤمن بأنه الرابع الأكبر من هذه العملية الكثير جدا فها هو يستعيد جاسوسه الإسرائيلي عساف من ناحية ومن ناحية أخرى يأخذ صيد ثمين حاولوا معه الكثير من قبل وها هم المصريين يعطونه لهم كهدية وقد أصبحوا علي يقين أن يوسف سيحب إسرائيل ويفضلها علي العراق وأنه سيكره العرب كلهم بعدما سجن في مصر لفترة طويلة وفي ظروف صعبة وقاسية ومع ذلك كان متشددا جدا لعله يربح أي شيء حتى إن لم يكن هنالك ما يكسبه.

كان الجانب المصري هو الآخر يؤمن أن هذه من أفضل العمليات التي قاموا بها رغم استعادة إسرائيل لعميلها عساف وليوسف وهذا فقط من الظاهر أما من الباطن فالحقيقة مختلفة فها

هي إسرائيل تستبدل عساف بمحسن ولكنها الآن تستبدل الأسري المصريين بالجاسوس المصري عادل والذي يعد نصرا حقيقيا لمصر باستعادة أبنائها وبزراعة عميل هام جدا لها في إسرائيل ومع هذا كان متشددا جدا حتى يستعيد كل الأسري المصريين ومعهم عدد من الأسري الفلسطينيين من ناحية وحتى لا يشك الطرف الإسرائيلي في شيء إذا شعر بتساهل المصريين. وكان لتشدد المصريين رد فعل عنيف من الجانب الإسرائيلي وخاصة عندما طلب أشخاص بعينها من الأسري الفلسطينيين والتي تشعر إسرائيل بأنهم خطر علي أمنها وادي ذلك إلي توقف المفاوضات بين الجانبين.

كان قلق الضباط الأربعة شديد علي فشل المفاوضات ولكن العقيد حلمي كان يطمئنهم ولكن حالة العميد بكري وشحوب وجهه كان يشعرهم بعكس هذا ويزيد من قلقهم فقد كانت الخطة بأكملها مهددة بالفشل وكان يعني فشل هذا الجزء من المفاوضات بخسارة الجانب المصري بتسليم عساف ولذلك كانت المجموعة بأكملها تخشي فشل المفاوضات وان حاول بعضهم طمأنة الآخر. بينما كان محسن وعادل في وضع خاص فقد كانوا يتمنوا نجاح المفاوضات لاستعادة الأسري من ناحية ولزرع العميل في إسرائيل ولاستعادة مصر كرامتها من ناحية أخرى ولكن هذه النقطة كانت تعني سفرهما تباعا لإسرائيل مما جعل كل واحد يخاف علي نفسه وعلي الآخر. ولذلك كانوا أحيانا لا يتمنوا نجاح المفاوضات إلا أن حبهم لوطنهم كان يغلبهم في النهاية ويتمنوا نجاح المفاوضات. أستمر الشد والجذب بين الطرفين لفترة طويلة حتى تم الاتفاق بينهما في النهاية علي نفس الشروط دون تغيير غير زيادة معاناة الأسري في السجون.

كانت لحظة الفراق بين عادل ومحسن صعبة جدا وتمني كلا منهما أن يظلا معا حتى اللحظة الأخيرة ولكن كان هذا الأمر مستحيلا بالطبع لذا سلم كلا منهما علي الآخر وهو يبكي ويتمني التوفيق للآخر. اصطحب محمود عادل إلي خارج المزرعة حتى وصل للسجن ثم تم اصطحابه من السجن إلي الحدود الدولية وكان وجه عادل شاحبا وحاول السيد خالد مع السيد محمود أن يطمئنه وأكدوا له انه لا بد أن يبدو عليه السعادة لتحرره من الأسر. ولكن ظل عادل قلقا حتى وصل إلي الحدود المشتركة ووقتها تقمص دور اليوسف وبدا عليه السعادة والتكبر حتى نظر إليه الجنود المصريين علي الحدود بغيظ وكراهية وهو ينظر إليهم بتكبر ويضحك في نفسه ويقول يا ليتهم يعرفوا الحقيقة

وأدي استفزاز عادل لهم أن هم أحد الجنود بالاقتراب منه والاشتباك معه لو تدخل الجنود الآخرين وقالوا له دعه يذهب ملعون.. ملعون أبوه المهم أن يعود إخواننا

تمني محسن أن يكون مصطفى معه في هذه اللحظة واستمر يشاهد الأخبار ويتابع مضايقة عادل للجنود علي الحدود وهو يقول هذا هو عادل لن يتغير وسعد عندما رآه متقمص لشخصية اليهودي الكاره للمصريين ولكنه سعد أكثر مما فعله الجنود المصريين. جاءت لحظة التبادل وأصبح الأمر واقعا وتذكر عادل ما كان يقوله محسن وقال مثله وه ويحاول أن يبلع ريقه الذي جف (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد).

سافر محسن إلي العراق للقاء ليلى كان الطريق طويلا جدا جدا ولكنه أخذ يفكر كيف سيكون اللقاء كان يعلم انه

سيكون رائعا و غريبا في آن واحد واخذ يفكر في ليلي  
 كم هي جميلة كم هي حساسة كم هي رقيقة كم ..وكم .....  
 وكم؟ فقد كانت في نظرة أجمل وأرق امرأة في الوجود.  
 كان يقول في نفسه نظرة في عيناها تغني عن الدنيا بما فيها.  
 لمسة يدها تنسيني همومي كلها مع كثرتها.  
 عذوبة صوتها تذيب قلبي وتشكله من جديد قلبا ابيض تماما  
 ليس فيه نقطة سوداء.  
 إذا تزوجتها فيكون حرام علي النظر إلي غيرها.  
 أستحق النار إذا أحببت غيرها أو حتى نظرت لغيرها.  
 مهما كبرت ومهما تغير شكلها بعد الزواج إن قدر لي ذلك.  
 كم ستكون سميئة إذا حملت؟  
 كم سيتغير وجهها مع الزمان؟  
 كم سيزيد وزنها مع الوقت؟  
 إنني أحبها الآن وسأحبها دائما علي كل شكل وهيئة.  
 نعم يا رب ستكون لي دائما سبب لعفتي إذا تزوجتها كما كانت  
 من قبل أعدك بذلك  
 زوجني إياها يا رب أكن عفيفا في كل شيء.  
 هذا عهد بيني وبينك.  
 إن خالفت ذلك فافعل بي ما تشاء. خاف من شدة العهد ومن  
 ضعف نفسه فقال كن بي رحيمًا يا رب.  
 وصل باب العمارة التي تقطن بها تسارعت ضربات  
 قلبه لدرجة لا يمكن تخيلها صعد درجات الدور الأول في قفرتين  
 ثم جلس علي السلم يلتقط أنفاسه ويستعد للقائها  
 هل هي تحبني كما أحبها؟

كل شيء كان يدل علي ذلك.  
 هل مازلت تحبني أم نسيتني؟  
 قام وصعد باقي الدرج متأنيا.  
 وقف أمام الباب قليلا ثم استجمع قوته ودق الجرس.  
 يا ليتها لا تفتح الباب يا ليتها هي من تفتح.  
 لم ينتظر طويلا فتحت ليلى الباب ونظرت إليه في تعجب.  
 تجمدت في مكانها كما تجمد هو لا تتحرك إلا أعينهما.  
 تنظر إلي الآخر تدقق فيه لعلها تتأكد من حقيقة ما تري.  
 مد كل منهما يده ليجس الآخر ليتأكد من انه ليس بشبح.  
 ربما تعانقا.

قالت ليلى يوسف .... مصطفى...ثم صمتت.  
 فهي قرأت كثيرا ورأيت مسلسلات كثيرة عن المخابرات فهي  
 كانت تظن أن أي اسم يقوله لن يكون حقيقيا.  
 كانت أمها قد وصلت الباب فلما وجدته حتى ذهلت وتسمرت.  
 لكن الأخ الأصغر لليلى قد دعاه إلي الدخول ولكن أحد لم يسمعه  
 تحدث كثيرا بلا جدوى حتى امسك كلا بيده وادخله حتى  
 أجلسهم جميعا بما فيهم أمه التي كانت أكثرهم دهشة  
 كان لقاءه بها قد أنساه كل همومه وأحزانه علي كثرتها وكان  
 يشعر ويتمني لو انه ولد الآن ومات قبل نهاية اللقاء بين يدي  
 ليلى.

كان عادل هو الآخر قد وصل إلي إسرائيل وسط  
 ترحاب كبير وحذر منه حيث أجريت اختبارات الحمض النووي  
 بدقة متناهية وبعناية خاصة للتأكد منه فكانت النتائج لصالحه  
 لذا لم يشغلهم كثيرا أمره إلا من حين لآخر لما اعتراه من تغير في

تصرفاته وحياته التي أصبحت همجية بهيمية.  
كانت راشيل في البداية تظنه كما هو يوسف حبيبها أو حتى محسن ولكن للأسف فبعد إصرارها علي المبيت معه و حتى ألقّت نفسها علي السرير وقالت له ليس هنالك قوة علي الأرض ستنجيك مني ولا حتى الموت.

ابتسم من قال انك ستفلت مني اليوم خلعت ملابسها الخارجية في ثوان معدودة وأكمل هو الداخلي في ثانية واحدة.  
كانت تخاف أن يهرب منها لذا أغلقت عليه كل منافذ الهرب ..  
اشتم رائحتها الأنثوية المثيرة وقبلها وقبل رقبتها وصدرها.  
ارتقيا علي الفراش جسدا واحدا.

كانت علاقة جميلة حميمة في البداية وكانت تدخل جسدها في جسده حتى يكاد يكونان جسدا واحدا كانت سعيدة وجميلة لدرجة لا يصدقها أحد حتى كانت جسدها الخمري ينبض بالنور من شدة سعادتها وجسدها أصبح أكثر أنوثة وإثارة وجهها جميل كوجه طفلة صغيرة ليس فيه شيء واحد يشوبه أو يؤخذ عليه ولكنها أبت أن تكمل سعادته أبداً فقد خافت أن يتركها كما فعل محسن من قبل فانقلب وجها علي النقيض تماما وجها أسود قبيح بعيون حمراء وشعر هائش يكاد يري من بينه قرون كشيطانها إلا أنها بالطبع لن تكون قاسية هكذا علي شيطانها الذي تحبه.

حاول أن يهرب منها ولكن هيهات.. هيهات وكانت معه كملكة نحل بكل ما تعني الكلمة تكاد تمتص أحشاءه امتصاصا. حتى إذا ما انتهت العلاقة وكان يشعر أنها لن تنتهي أبداً وكان جسدها فوقه كأنه جبل قد سقط عليه متهاك القوي

لا يستطيع حتى النظر إليها وقد استلقت بجانبه كقطة وديعة وأخذت تنظر إليه وتقول استراحة قصيرة لم تتركه إلا حينما شعرت انه قد خارت عزيمته تماما وقالت له وهي تخرج من عنده في ابتسامة ماكرة لن ابقى لك حتى رغبة لتفكر في امرأة غيري. ولو للحظة سأعود لك قريبا جدا انتظرنى بكى بكاء شديدة وكان الدمع يجري أنهار كصخرة انفجرت فخرج منها الماء لم يصدق ما فعله ولكن صورة محسن وما حدث له جعل عنده رعب آخر جعله يفعل كل شيء في البداية وان لم يكن مقتنعا لعله إذا حدث له ما حدث لمحسن يكون قد نال حظا من الدنيا

مع الوقت أصبح يتهرب منها كثيرا فقد وجدها جنة ونار كما قال له محسن.

كانت تمثل المرأة تماما بكل ما تحمل من تناقضات ولكنها صريحة جدا فيها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. لا يمكن إصلاحها أبدا فعندما تكون رقيقة لا يمكن إصلاح عيب فهي عندها تبكي بكاء يجعلك تدم علي محاولة إصلاحها. وعندما تكون شرسة فلا يمكن إصلاح أنعوجها أيضا فإنها تهاجمك في شراسة كبيرة تدم معها أيضا علي محاولة إصلاحها ولكن في النهاية يجمع بينهما إنهما لا يصلح حالهما كجميع النساء فهو دائما أمل الرجل الذي لا يمكن تحقيقه و مع ذلك كان يعود إليها ويشتاق لها بمجرد فراقها ويحب فراقها وهي معه.

كان عادل يتهرب منها كثيرا ويسيء معاملتها فهاجمته مرة وقالت له أنت لا يمكن أن تكون يوسف الذي أحببته و لا حتى هذا الشاب المصري فأنت شيطان كبير عبثت بي ثم ألقيت

بي في البحر يا ليتك كنت أحد منهما صدقني سأدمرك. لم يشغل بال الإسرائيليين أمر يوسف فهو اليوم بين أيديهم متأكدون من انه يوسف والأهم المال الذي معه وان كان كل من حوله قد استغربه ولكنهم دائما يرجعوا ذلك لقسوة ما حدث له في الفترة الأخيرة.

أقام علاقات جنسية كثيرة مع كل النساء تقريبا الآتي قابلهن من روزا إلي سارة إلي جارتة والسكرتارية الخاصة و العاملات معه وكان يخص نفسه بثلاثة فتيات كسكرتارية خاصة يغيرهم كثيرا ربما كل عدة أيام أو شهر. انفق كثيرا من المال علي شهواته ونفسه وان كانت الأموال تنمو هي الأخرى كثيرا بعد إتمام صفقة الغاز وكذلك من المبيدات والمنتجات الزراعية ولكن كان الإنفاق أيضا كثيرا. أقام في فنادق خمس نجوم لفترة طويلة وفي ارقى الأجنحة فيها ثم اشترى فيلا راقية جدا و عدد من السيارات الفارهة ناهيك عن احدث صيحات الموضة في كل شيء من ملابس إلي أثاث و تليفونات وغيرها.

كان غريب في تصرفاته كان لسان حاله يقول سأستفيد من كل شيء هنا حتى إذا حدث لي شيء مثل محسن أكون قد استفدت كثيرا من هذه المهمة. فكر جديا في نقل جزء من ثروة يوسف باسمه في بنوك في أوروبا وغيرها وخاصة من الأرباح الكثيرة التي يجنيها كل يوم بل فكر أيضا في تحويل جزء من هذا المال باسم محسن الذي لم يحصل حتى الآن علي شيء تقريبا. كان ما يراه كل يوم من رجال أعمال ومسؤولين مصريين وعرب يلتقون يوميا بإسرائيليين لمصالحهم الشخصية وتجارتهم بل لتدمير آخرين والتأمر عليهم قد غيره تماما. كان يشرب الخمر كثيرا حتى ينسي

ما يراه ويسمعه كل يوم. كان يري أناس كثيرون كانوا يهاجمون إسرائيل والمتعاملين معها يأتون لإسرائيل راكعين ساجدين يقبلون الأيدي والأقدام. منهم أعلامين ملئوا الدنيا ضد التطبيع وهم يطبعون بشفتهم علي أيدي وأقدام اليهود.

لم تكن مشاهد ساخرة مضحكة بل تدمي العين بل الجسد كله والروح أيضا.

لم يكن يظن يوما انه سيري هؤلاء الناس بالأخص هاهنا. لم يعد يتعجب من أي شيء حتى إذا رأى أباه غدا في إسرائيل. سقطت كل الأفتنة وسقط معها كل القيم والمثل. انهارت مثله العليا.

سخر من كل شيء وأول من سخر منه هو نفسه. وأكثر من سخر منه هو محسن.

ذاك الشاب ذو المثاليات والأخلاق والذي لم يجني من وراءهما إلا الذل والهوان والمرض والسخرية.

كان يلقي تعنيفا كثيرا من المخابرات المصرية وكان هو الآخر يلقي بها تحت قدميه

ليس هنالك معني لأي شيء غير هذه الشهوات والمتع.

ولكن مع الوقت كانت له علاقات وطيدة مع النخبة في إسرائيل من رجال سياسة وإعلام ومال بل ودين استطاع أن يستغل خبرته وأمواله في التقارب مع الجميع.

أصبح قادرا علي جمع المعلومات بسهولة ويسر فقد كانت تأتيه علي طبق من ذهب بدون مجهود.

لذا لقي ثناء كثيرا فيما بعد حتى نسوا محسن أو تناسوه.

كان يعرف كل ما يدور في إسرائيل ومصر بل أمريكا والعالم كله

وهو يجلس في صالة قمار أو في حضان امرأة أو جلسة مزاج. أقام كثيرا نقاشات طويلة مع نفسه أو بالا حري مع محسن فقد كان يشفق عليه أحيانا ويهاجمه كثيرا ويصفه بالسفيه والدرويش ولكنه لم يكره أبدا بل ظل يحبه ويراه الإنسان العظيم في دنيا الخطيئة.

لم يكن من الممكن أن يشك أحد في أن هذا سلوك عميل أبدا. حتى إن شكوا في ذلك فماذا يمكنهم أن يفعلوا؟ فهو له كل الصفات الوراثية وان لم تكن السلوكية.

ومع ذلك ونتيجة للضغوط ممن حوله خاصة الرجل العجوز وراشيل فقد استجابوا لهذه الضغوط. لذا طلبوا منه أن يفحصوا حمضه النووي تحت أعينهم وبأن يحجز في مكان خاص حتى تنتهي كل الفحوص ويتأكدون من كل شيء. استهزاء بهم عادل وقال لهم لقد قمت بالفحص أكثر من مرة بدون علمي فماذا عساكم أن تفعلوا الآن. أكد له الضابط موشية أن الأمر هام جدا ولا مجال للسخرية فيه. لكن عادل أستمتر مستهزأ بهم. ولكن موشية أصر علي ذلك. أضطر عادل للرضوخ لهم ولكنه أوضح لهم أمران الأول أن هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي يطلبون فيها هذا الأمر والثاني أنه بذلك لن يستثمر كل أمواله في إسرائيل ولكن تكون إسرائيل مكان أقامته الدائمة عقابا لهم علي أرغامه علي تحليل الحمض النووي. مع هذا صمم الضابط موشيه علي ذلك وأقسم عادل أمامهم أيضا علي ما عزم. كان الضابط موشيه يعلم أن يوسف سيفعل ما قال بالضبط أو يزيد ومع ذلك صمم علي تحليل الحمض النووي وبهذه الطريقة حتى يقطع الشك باليقين فلا يكون هو وجهاز الموساد مسار سخرية

الناس في إسرائيل ومصر والعالم أجمع. كذلك للضغوط عليه من الرجل العجوز بنيامين الذي استغل نفوذه ليضغط عليه كذلك وعده بجائزة كبيرة بعد إنهاء التحاليل. كذلك ضغوط راشيل والتي أظهرت له الحب والتقدير وضغطت عليه بجمالها وأنوثتها ليتأكد بنفسه من كل شيء. وكان عادل هو الآخر سعيد بذلك أولا ليتأكد الجميع من أنه يوسف ثانيا ليستطيع التحرك داخل وخارج إسرائيل بحرية أكثر ثالثا ليفعل في المال ما يريد بدون رقيب رابعا رغم أنه كان يستبعده إذا ما طلب جهاز المخابرات المصرية عودته وسفر محسن بدلا منه يكون من المستحيل عمل تحليل الحمض النووي له وبذلك يكون قد حمي محسن مما حدث له من قبل.

كان الرجل العجوز غاضب منذ أول مرة التقى فيها عادل لم يشعر ولو للحظة أنه يوسف بل كان يشك فيه منذ اللحظة الأولى ولم يطمئن إليه ورغم أن الضابط موشيه أكد له أكثر من مرة أن الحمض النووي أكد أنه هو إلا أنه لم يصدق. حاول أن يتأكد أكثر من مرة من خلال الحديث معه فقد سأله عن أمور كثيرة تخص يوسف وعائلته فوجده يعرفها جيدا. وسأله عن أشياء بينهما فوجده يعرفها أيضا ومع ذلك لم يشعر أنه يوسف ولم يحبه بل كره خاصة بعدما أقترب من أبنته وعلم ما بينهما من علاقة. لم يرد أن تتطور علاقته بابنته أبدا بل حاول إنهاءها سريعا كان يشعر بالنفور منه. حتى المشروعات الجديدة لم يجعله شريكا له وحاول أن يقلل علاقته معه بل ويخرجه من المشاريع القديمة. لم يكن وجهة نظر عادل هي الأخرى تختلف كثيرا فهو لم يرتاح قلبه للرجل العجوز ولا أبنه أما أبنته فقد

كانت محاولة لكسب وده حتى يتقي شره فأنقلب إلي العكس من ذلك وزادت التوتر بينهما. كان عادل أيضا يريد الابتعاد قدر الإمكان عنه حتى يشعر بحرية أكبر أنه غير مراقب فقد كان يشعر أن العجوز يراقبه ويراقب تصرفاته لذا كان البعد عنه يعطيه حرية كبيرة خاصة للتصرف كما يشاء بالمال.

أجريت الفحوص بدقة متناهية وأظهر عادل غضبه الشديد من ذلك وكانت النتائج في صالحه كما كان يعلم ومع ذلك لم تتغير وجهة نظر راشيل أو الرجل العجوز وظلا علي يقين من أنه ليس يوسف واتفقا سويا على بذل كل الجهد لإثبات ذلك ولكن دون جدوى بل تقربت منه راشيل بعد ذلك لتنال منه شهوتها وأيضا لما يغدقه عليها من المال ولكن أيا منهما لم يطمئن للأخر. كذلك اضطر الرجل العجوز على أبقاء بعض العلاقات معه ليحافظ علي المشروعات القائمة بينهما و لعله يستطيع أن يستوضح الحقيقة من ناحية أخرى لعل يوسف يفعل شيء يؤكد ظنونه أو يثبت أنه يوسف.

كان عادل هو الرابع الوحيد مما حدث فقد أثبت للجميع بما لا يدع مجال للشك أنه يوسف وأغلق ملف الشك فيه إلي النهاية. وأصبح أكثر حرية في كل شيء فأصبح يتحرك داخل إسرائيل وخارجها بدون حذر أو خوف ويفعل ما يشاء في المال بدون توتر.

سافر عادل للعراق ووصل بيته ليلا لم يكن يريد أن يقابل أحد حين وصوله ونام في البيت حتى الصباح وحين خرج من بيته لم يعر انتباهها لجارته زينب والتي ألقت عليه التحية فرد عليها ببرود كبير. صمتت قليلا ثم قالت من هذا؟ الهيئة هيئة يوسف

ولكن الروح ليست ليوسف. خرج من البيت حتى وصل المتجر ورغم أن محسن مدح له كثيرا صفات محمد إلا أنه لم يهتم بذلك. رحب محمد به في البداية ولكنه لم يبادل له الود وتفرد في وجه محمد ليبحث عن يوسف فلم يجده. طلب عادل الدفاتر فتأخر في عرضها عليه حتى طلبها مرات عدة. أعطاهم له في النهاية علي الرغم من أنه لم يقتنع أنه يوسف ولكن ماذا يمكنه أن يفعل ففي النهاية هو يملك كل ما يثبت أنه يوسف وان لم يقنع أحد. محمد كان يريد أن يتصل بالرجل العجوز ليتأكد أن كان هذا الشخص يوسف أم لا لذا ذهب إلي أحد أقاربه وطلب منه أن يتأكد من العجوز أن هذا يوسف. كان الرد عليه أننا فعلنا كل شيء لتأكد أنه هو يوسف وكان كل شيء في صالحه حتى اختبارات الحمض النووي فلا نملك إلا التصديق بأمه يوسف حتى لو لم نشعر به ولكن لعله تأثر بما عانى في الفترة الأخيرة ولعله يرجع إلي نفسه في يوم من الأيام. محمد مازال لا يعتقد أنه يوسف رغم أنه حاول التودد معه والتقرب منه إلا أنه لم يشعر أبدا أنه يوسف. عادل حكي له كثيرا مما كان بينهما ورغم ذلك لم يشعر أنه يوسف. عادل لم يعد يعرف كيف يثبت للجميع أنه يوسف فقد حاول كثيرا ولكنه فشل دائما.

أصبح عادل علي يقين أنه لا بد من المواجهة مع الجميع فكان أهم الأشخاص هو بنيامين لذا عندما عاد إلي العراق ذهب لمقابلته وقال له:

- كيف حالك يا عمي.

قال له العجوز:

- الحمد لله كيف حالك يا فتى؟.

أظهر الحزن والغضب وقال له

- لماذا لم تقل يا يوسف أو يا بني كما كنت تقول دائما.

قال له العجوز في استسلام و غضب مكتوم:

- ماذا تريد بالضبط

قال عادل:

- أريد أن يعود كل شيء كما كان.

قال العجوز في ابتسامة غيظ:

- قل للزمان أرجع يا زمان.

قال عادل:

- قل لي ماذا بك حتى نصل إلي نتيجة

قال العجوز بهدوء خلفه الكثير:

- قلبي لا يستريح لك.

قال عادل حزينا:

- وماذا أفعل حتى تستريح لي.

قال العجوز:

- قل لي الحقيقة.

قال عادل في تعجب:

- أي حقيقة؟.

قال العجوز:

- من أنت؟.

قال عادل في ذهول:

- أنا يوسف.

صمت العجوز قليلا ثم قال:

- كل شيء يؤكد انك هو ولن قلبي لا يصدق هذا ليت هذا

الشاب المصري يخبرني الحقيقة.

قال عادل في دهشة:

- أتصدق مصري وتكذب يهودي كيف هذا؟.

قال العجوز:

- لو أني قلبي صدقك لما لجأت لأحد.

قال عادل وقد أقترب من العجوز و وضع يده فوق يد العجوز:

- صدقني وليطمئن قلبك أنا يوسف بشحمه ولحمه.

قال العجوز في حيرة:

- نعم بشحمه ولحمه ولكن ليس روحه.

قال عادل:

- صدقني أنا هو.

قال العجوز في حسرة:

- وماذا أمامي غير هذا ولكن عليك أن تباعد عن أبنتي.

قال عادل:

- ولكنك كنت تحب أن أقترب منها وأتزوجها.

قال العجوز:

- لماذا هي؟. فالنساء أمامك كثيرات جدا.

قال عادل:

- ولكني كنت أحب أن أتزوج أبنتك ولكن سأحترم رغبتك.

قال العجوز:

- و أمر آخر أيضا فلتحافظ علي هذا المال فقد عاني يعقوب

كثيرا في جمعه.

قال عادل:

- ولكني عانيت كثيرا وأصبحت أؤمن أن علي التمتع بالمال ومهما

أنفقت فلن يقل إني أعرف كيف أضعاف المال أضعاف كثيرة. يا عمي ليكون بيننا صفحة جديدة ولتثق أنني أنا يوسف وكل ما في داخلك هو وهم لست أعرف من كان ورائه.

قال العجوز بهدوء:

- ليكون يا بني.

ضحك عادل وقال:

- نعم الآن صدقت أنك رضيت عني.

كانت مهمته مع راشيل أبسط بكثير فقد عرف انه يمكن شراء رضاها ببعض الهدايا والكلام المعسول واللقاءات الجنسية الساخنة. أما محمد فقد حاول معه ليقنعه من خلال أثبات خبرته في التجارة و الحديث عن الذكريات المشتركة وخاصة القديمة والتي كاد هو نفسه أن ينساها وزيارته لقبر والديه والبكاء بجوارهما كثيرا. وقبل سفره زاد له راتبه ليطيب خاطرة. كل ما فعله عادل كان محاولة أخيرة لكسر ما كان يشعر به من حصار وكان يعلم أنه لن يغير كثيرا مما يشعر إلا أنه سيكون مثل المسكن يخفف الألم إلي حين وهذا هو ما كان يريد فقد أصبح يؤمن أن أمد العملية لن يطول كثيرا. كان أشد ما تعجب منه أن جميع من حوله في إسرائيل غير الرجل العجوز وراشيل لم يشغله حقيقته هل هو يوسف أم لا. كانت هذه النقطة هي الأغرب فمثلا سارة ابنة بنيامين لم يشعر أبدا أنها مهمة بهذا الأمر وهو واحدة لا يظن أنها تحتاج منه شيء فهي ثرية جدا وفي مركز مرموق لذا ليس من المعقول أن تنافقه ومع ذلك لم يتغير سلوكها معه في أي فترة خاصة قبل وبعد إجراء تحليل الحمض النووي. وكان كثيرا غيرها مثلها علي رأسهم سارة ووالدها حتى الجنرال

ايزاك. لم يستطع أن يصل لتحليل دقيق ولكنه كان يرى أنه ربما مفهوم الوطن والوطنية مختلف أو ربما ضعيف. وكان يظن أيضا أنه ربما لأنه يتعاملون معه كإنسان ليس أكثر أو أقل. ولكنه لم يقتنع بأي من الرأيين. حاول ألا يفكر كثيرا في هذا الأمر وعاد لحياة الرفاهية مرة أخرى وجني أرباح طائلة من القمار أكثر من المشاريع وأصبح محترف هذه اللعبة في إسرائيل وخارجها كان كما يقال يتحول التراب في يديه ذهب. كان شديد التعجب من هذا الأمر فهو رغم عمله الدائم في المشروعات التجارية إلا أنه لم ينجح بهذه الطريقة من قبل فكل يوم تشرق عليه الشمس يربح من المشاريع وعند الليل أيضا يربح من القمار حتى وهو نائم تتضاعف ثروته في البورصات الخارجية. كان يحب أن يخسر ولو مرة ولكن هذا لم يحدث. أثار هذا الأمر التساؤلات في نفسه بل من حوله. لم يصدق أحد هذا الأمر. كان هذا يساعده على أن يسرف في الأنفاق أكثر وأكثر ولكن دون جدوى مازلت أمواله تتضاعف. لم يعد يعرف ماذا يفعل بها وتمني أن تكون هذه أمواله حتى تمنى أن يكون يوسف. ولكنه لم يؤمن بجدوى المهمة ولا أهميتها وأصبح يؤمن أن يخوض حربا لا يعرف السبب فيها ولا دوره الذي يجب أن يلعبه ولا الهدف من هذه الحرب.

في تلك الآونة كان مصطفى هو الآخر يسمع ويرى ما يحدث في مصر وسبب له ذلك إحباطا شديدا ولم يعد يري أن لمهمته هدف أو معني فما المغزى من تطوير أفكار لن تستفيد منها بلده وهي التي ضحي من اجلها بكل شيء حتى نفسه فهو لم يكن يريد مجدا شخصا بل تقدم وطنه ورقيه لذا أصبح يخطط لتغيير أسمه ليس مصطفى بل أسم جديد

يختلف عن محسن ومصطفى ويكون أسما جديدا لا يشعره بالغيرة والتفرقة العنصرية التي يشعر بها في وجوه من يتعامل معه وربما قاده ذلك لتغيير لون جلده وشعره ومن بعدها ديانتته حتى لا يشعر بما يشعر به وليصبح شخصا آخر كأنه ولد في ألمانيا من البداية ولينسي أو بالأحرى يتناسى الماضي الذي أصبح يكرهه. وكان الضباط أيضا يلقون تضيقا وضغوطا شديدة لإنهاء العملية أو علي الأقل تميمها وهم إن كانوا يقاموا الآن فإنهم لن يستطيعوا حتى النهاية.

كان محسن علي الجانب الآخر يحارب حربا شديدة مع عائلة ليلى لإقناعهم بالزواج والعيش معه بين مصر والعراق. كانت حربا صعبة كأنه اخطأ حين طلب الحلال ففي مثل هذه المجتمعات يصبح الباطل حق والحق باطل ولكنه وبمساعدة أطراف كثيرة قد نجح واتفق أن يتزوجا في الشهر القادم. كان بعد خلاف كبير علي مكان الإقامة في شهر العسل اقترح محسن بعدما ذكر له محمود عن جمال الإقامة بالقرب من الحرمين عندما عرض عليه العمرة فقد اقترح أن يكون شهر العسل كله بين مكة والمدينة.

تعجبت ليلى من هذه الفكرة في البداية ولم تكن متحمسة لها ولكن لأنها لم يتفقا علي مكان واحد ولإلحاح محسن وتأكيده لها أنها ستكون فرصة عظيمة وجو جميل وبركة فقد وافقت. كانت لحظة عظيمة حين طالعا سويا الكعبة المشرفة لأول مرة وان كان قد سمعا من قبل عن جمالها وبهاءها إلا أن من سمع ليس كمن رأى.

دعوا كثيرا جدا وخاصة محسن نسي كل تعب وشقاء وغضب

وكراهية حتى دعي وهو في الحرم لكل الناس الصالح والطالح حتى من ظلمه و أساء إليه حتى الذين خانوه والذين عذبوه. كانت فرصة عظيمة للدعاء حيث دعا الله ألا يدخل في تجربة عصيبة كالتي مرت مهما كان جزاءها في الآخرة لأنه كان يؤمن انه لن يقدر عليها. كانت فرصة أكبر للبكاء الذي يغسل القلب ويمحو ما به من سواد.

كان وهو في غرفته التي تطل علي الحرم مباشرة ينظر للحرم ولا يتكلم لساعات طويلة

شعر بالرضي الكامل عن الله وتنمي أن يكون الله راضي أيضا عنه وان يكون قد سامحه عن أي تطاول قد صدر عنه في الماضي. سجد لله سجده لم ينبس فيها بنبت شفة كان ملئوها الرضا كانت سجدة طويلة جدا خرج خلالها من كل الدنيا الضيقة إلي رحاب اكبر وأوسع بكثير.

رحاب ليس فيه إلا الخير المجرد من كل شر إلي عالم الحقيقة واليقين تاركا ثقل جسده وذنوبه إلي خفة روحه وجمالها. شعر بالسعادة المطلقة ولم يخرج منه إلا ليالي حين حركته بيديها الجميلتين الرقيقتين لخوفها من أن قد أصابه مكروه ونادت عليه وهي قلقة.

وكان لأول مرة في حياته يغضب من ليالي وربما الأخيرة ولأول مرة أيضا لا يراها جميلة فقد رأى الجمال الحقيقي.

كان يتمني أن يظل علي هذه الحالة حتى وان كان بعيد عن ليالي. كان وجهه يملئه النور حتى شعرت ليالي بالقلق فقد كان وجهه صافي تماما لا يعكره شيء وعين أوسع وأجمل من الغزلان وأرق منها وكانت المرة الأولى والأخيرة التي تخاف منه وهي لحظة

خوف الإنسان من أول ضوء للشمس يراه إنسان بعد سجنه بعيدا عنها لسنوات طويلة حتى هو نفسه أصابته رعشة حين نظر لنفسه في المرآة فلم يصدق عينيه. ولكن سرعان ما عاد ثانية إنسان بوجه يبدو فيه اثر الحياة بمصائبها ومشاكلها.

هنا تمت ليلى رغم جبهها لوجه انه ظل علي هذه الحالة الملائكية ولكن هيهات فهي شيء يحدث للمحظوظين فقط مرة في العمر وللأكثر منهم حظا مرتين وعجبا لمن حدثت له أكثر من ذلك أن يرضي أن يستمر حيا.

كانت أيام أخري جميلة في المدينة المنورة والتي أزالتي من قلوبهم رهبة المسجد الحرام رغم انه أكثر جمالا وبهاء فيمنع شدة بهاءه وجلاله الناظر من الإمعان فيه ولكن حينما تهم بتركه فانك تشتاق إليه وأنت تنظر إليه ثم إذا التفت عنه لا يسعك إلا التفاف إليه والتمعن فيه ومليء عينيك منه مع وعد بالعود إليه. أما المسجد النبوي وساكنه فقد كانت لهما روح هادئة جميله يستطيع الناظر أن يملئ عينيه منه دون رهبة.

مضت الأيام الجميلة سريعا كعادتها وعاد ثانية لحياته التي يملئها الحيرة و القلق من الغد المجهول فقد كان يؤمن وكذلك عادل أن مهمته في إسرائيل لن تنجح أبدا فرغم ما حققه هؤلاء الضباط من نصر إلا إن الحرب ما زالت في بدايتها. إن العملاء منتشرين في كل مكان داخل وخارج المخابرات وما هم إلا ضباطا ينفذون الأوامر وأنهم مهما حاربوا فلن يستطيعوا الخروج عن الأوامر وسوف يرضخون في النهاية للأوامر رغم تعهده و إياهم ببذل كل شيء لنجاح المهمة ولكنه كان يؤمن أن قدراتهم محدودة في كل هذا الجو من الخيانة.

كان يسير في الشارع ينظر في وجوه الناس ويتفحصها كأنما يبحث  
 عن شيء ما  
 ويقول في نفسه هذا يحب وطنه وهذا خائن  
 هذا صادق وهذا كاذب هذا يبيع وطنه ودينه بعرض من الدنيا  
 وهذا لا يفعل  
 هذا ..... وذاك.....

كان يبحث في وجوه الناس لعله يعرف ما في نفوسهم وضمائرهم  
 ولكن هل يمكن لأحد أن يعرف ما في ضمير من حوله انه أحيانا  
 كثيرة لا يعرف ما في ضميره هو. كان يرجو ألا أن يصدق حدسه  
 هذه المرة.

اضطر عادل للعودة لمصر لظروف والده وكان لابد من المكوث  
 طويلا في مصر لذا فقد سافر مصطفى بدلا عنه. تعجب الجميع  
 من ذلك بما فيهم مصطفى فقد كانت الخطة أن يسافر محسن  
 ويستقر هنالك ولكن كانت الأوامر عكس ذلك. تعجب محسن  
 من ذلك في البداية ولكنه حمد الله انه لم يسافر لإسرائيل لأنه  
 كان يؤمن أن النتيجة النهائية ستكون الفشل ومع ذلك شعر  
 بالغدر وعاد إليه حزنه و اكتئب وكان يحدث نفسه لما هذا  
 الشعور المتناقض ولكنه لم يصل لشيء فقد كان ككل شيء من  
 حوله لا يظهر خيره من شره.

أما مصطفى فقد كان لا يريد السفر لإسرائيل من البداية  
 فصورة محسن كانت ملتصقة بعينيه لا يري غيرها التقى راشيل  
 لأول مرة ارتمي في حضنها أحبها ولكنها كرهته وسار ذليلا لها  
 تحركه كيف تشاء أعطاهما أكثر مما طلبت ومع ذلك لم تحبه كان  
 يمشي في ظلها وكالخاتم في يدها ولكنها لم تحبه. حاول معها بكل

الطرق ولكنها لم تستجب له أحبها حتى في أشد حالات غضبها وهياجها وكلما أحبها كانت تكرهه كانت لأول مرة تتهرب من يوسف لا تريده فهو ليس يوسف حبيبها و لا محسن الفارس ولا عادل زير النساء كان لكلا منهم سببا لحبها له إلا مصطفى كانت تكرهه وكلما لفظته أحبها أكثر وتعلق بها.

كانت تعرف انه ليس يوسف و مع ذلك لم يشغلها حقيقته فقد أعطاها أكثر مما تحلم وكانت ترفض الزواج منه رغم انه كان حلما قديما وعدها بكل ماله إن مكنته من نفسها لكنها رفضت لم تفهم هي لماذا ذلك إنها مارست الجنس مع كل الناس حتى عامل البوفيه وأمن الشركة التي تعمل فيها و أكثر من ذلك مع رجال غرباء لم ولن ترهم إلا مرة واحدة . كان الوجه وجه حبيبها يوسف وكذلك فارسها محسن وحتى عادل حيث العلاقة الغريبة من الحب والكرهية والرغبة والنفر الصدق والكذب أما هذا فلا مهما كانت المغريات. كان حبها يوسف حبا صادقا و في سن لم تعرف فيه معني المصالح والمال ولا حتى الشهوة بوجهها ألبهائي. أما محسن فقد أحببت فيه طهره وبرأته وكانت تؤمن بأنه يحبها ولكنه لم يقولها فحينما كانت معه عارية تماما كانت تنظر في عينيه وهو ينظر يهما إلي الأرض فترفعهما بيديها الرقيقتين و تقترب منه حتى تتلامس الأعين فترى فيهما أحبك أكثر مما تظنين ولكني لا أقدر اعلم إنني سأندم ولكني لا أقدر.

أما عادل فكان يلعب بها وتلعب به فهي تحبه وتكره وهو كذلك حين يبعد عنها تشتاق إليه وحين يجتمعان معا تتمني أن يتركها ولكن يذهب كل هذا لحظات لقاء جسدي

بينهما ثم سرعان ما يعودا لسابق عهدهما. أما مصطفى فقد أصبح يحبها أكثر من نفسه ووطنه وحتى دينه وكل شيء وهي تعلم ذلك ولكنها كانت تكره من كل جوانبها ولا ترضي أن يلمس بيده جسدها الذي لمسه الجميع ولكنها لا تعرف لماذا ساذج أمامها مستعد لإعطائها كل شيء حتى حياته وما هو أهم من حياته ولكنها لا تريد منه شيء كلما أحبها كرهته كلما اقترب منها لفظته تكرهه بالقدر الذي أحبها به. لم تتعجل الإدارة في مصر من سحب مصطفى رغم ما كان يفعله كأنها تنتظر أن يحدث شيء وكذلك كانت إسرائيل تري انه ليس يوسف ولكنها لم تفعل هي أيضا شيء كان الجميع ينتظر ولكن لا يفعل شيء ولكنها اضطرت في النهاية لإعادة عادل بعدما شعرت بالحرص الشديد.

عاد عادل لإسرائيل ولم يهتم بإصلاح ما أفسده مصطفى فقد أعطي راشيل ما تريد من المال واخذ هو أيضا ما يريد ولم يطلب منه أحد شيء ولم يحاسبه أحد رغم خوفه في البداية . لم يعد يفكر في شيء ولا يتحدث مع نفسه كأنما اتفقا سويا علي التمتع بالحياة دون مشقة العقل.

ظل محسن خارج اللعبة حزينا وسعيدا في نفس الوقت ولكنه شعر انه لا معني لحياته وفكر في الانتحار ولكنه لم يفعل . كان يقول في نفسه علي أن انتظر ربما اعرف يوما شيء أو أفهم شيء. ولم يكن حال الضباط بأفضل من ذلك فالأمور في داخل الجهاز وخارجه لا تبعث علي الأمل. أما محمود فقد شعر بالضجر من كل شيء وشعر أنه مسئول عما وصل إليه الشباب الثلاث خاصة محسن التقى محسن الضابط محمود وكان محسن

في حالة نفسية سيئة جدا وكان عنيفا لأول مرة مع محمود. حاول محمود السيطرة علي محسن الذي فقد كل المعاني في لحظة واحدة.

قال محسن ياسا:

- هل هنالك معني للدين أو للوطن بالله عليك ؟

قال محمود متعجبا:

- إلي أي شيء ترمي يا محسن؟.

قال محسن:

- هل كنت ساذج لهذا الحد؟.

قال محمود:

عن أي سذاجة تتحدث؟.

قال محمود:

اكتشفت كم أنا غبي لا معني لشيء إننا لسنا بشيء من الأساس وليس هنالك أساس.

قال محمود:

مالك يا محسن؟

قال محسن متعجبا:

ألا تعرف ؟ سقطت الأقتعة عن الكل أصبحنا في العدم لسنا موجودون أصلا أننا فراغ في فراغ ليت لنا حقيقة واحده نبني عليها عدم في عدم.

قال محمود غير مصدق ما يسمع:

كيف هذا السنا معا.

قال محسن ساخرا:

هذا ما يقوله السفهاء أما الحقيقة أن لا حقيقة.

إلي ماذا تريد أن تصل.  
لا وطن لا حياة لا حقيقة لا اله.  
انك تهزي.

تلك هي الحقيقة أن لا حقيقة.  
قال محمود:

لقد فقدت كل المعاني حقا.  
قال محسن:

لقد كنت ساذج لقد تربيت علي الأخلاق حب الوطن حب  
الأخر حب الله فاكشفت أن لا معني للحب وان الكراهية هي  
ربما الحقيقة التي ربما يمكن أن نبدأ من عندها هي الإله إن كان  
هنالك اله.

قال محمود:

لقد أصبت بالجنون.

قل لي ما هي الحقيقة التي يمكن أن تبني عليها لتصل إلي  
الحقائق الأخرى.

كثيرة مثل .... و ....

قال محسن وهو يضحك:

لقد تلعثمت.

لا لم افعل ولكن ابحت عن حقيقة ربما تؤمن بها أنت إني اشعر  
أنني لا أعرفك.

قال محسن حزينا:

ولا أنا اعرف نفسي وان كنت موجودا من الأساس.

قال محمود:

إننا ها هنا معا كيف ليسنا موجودان.

قال محسن:

أتؤمن بذلك؟.

قال محمود في تلعثم:

بالطبع.

قال محسن وهو يبتسم

يبدو انك مؤمن حقا.

قال محمود متوترا:

ما أنت فيه يوترني لست محسن الذي اعرفه الشاب الوطني الذي يحب وطنه ويفديه بنفسه والمؤمن حقا الذي يخاف الله ويتقيه في كل وقت والذي انتصر علي كل أنوثة و إغراء راشيل بدينه ووطنيته وحبه لليالي.

قال محسن في حسرة:

يا ليتني أصغيت إليها ونلت منها متعة ولو لدقائق معدودة كم كنت ساذجا كم اندم علي ذلك.

قال محمود:

بدلك الله بمن هي خير منها وتحبها وتحبك أيضا.

لم يعد هنالك معني للحب.

وأعطاك أبناء.

هن اجلهم فقط لم أقتل نفسي وكانوا عقبة في طريقي.

لابد أن تتجاوز هذه المحنه وإلا ستقتل نفسك بهذا الفكر.

لقد مت بالفعل من وجهة نظرك.

لا لم تفعل بل أنت حي و أنا حي والكون من حولنا حي والله

موجود ووطننا يستحق حبنا.

قال محسن باستخفاف:

هل تؤمن بذلك؟.

قال محمود بثقة:

- نعم يا محسن.

لأنك لم تخض تجربتي يا ليتني لم أوافق.

لكل واحد منا تجربته ولقد خاض غيرك تجارب مماثله وربما أصعب ولم يحدث لهم ذلك و استطاعوا أن يخرجوا منها ويعودوا لأنفسهم.

ليست الناس متشابهة.

اعلم أن هذا الكلام ليس من داخلك ما زلت متيقن بذلك ستخرج مما أنت فيه وتعود أفضل مما كنت.

قال محسن في تهكم:

تكذب علي نفسك.

لا أنا علي ثقة لو توضح المشكلة.

لن تفهم ولن تشعر بما أنا فيه.

سأفهم صدقني.

قال محسن:

مات الأمل عندي وهو كل شيء كلما تعرضت لسوء من أي نوع كان عندي أمل إذا ظلمت إذا خانني أحد إذا كنت فقير ضعيفا مريضا كان هنالك أمل أما الآن فقد مات الأمل ولن يعود لا أمل لا معني.... لا حياة.....لا.... لا.... لا...لقد تأمر الجميع علي الأمل فقتلوه كمدا ولم يستطع أحد محاسباتهم.

قال محمود:

الأمل موجود في كل وقت.

انك لا تفهمني.

أنت تظلم نفسك وترهقها.

قال محسن في غضب:

هي من بدأت لقد كانت تريد الكمال فوصلت أسفل سافلين.

قال محمود:

من قال هذا انك عند الشعرة التي بين كل شيء بين الجنون والحكمة الكفر والولاية انك عند الشعرة التي بين كل شيء و نقيضه من الحضيض إلي الكمال وأنا علي ثقة انك ستصل.

قال محسن:

انك تزرع نبتة ميتة. لقد مات القلب والروح معا وهما السبيل للوصول للغاية وبدونهما نضيع في الطريق ولا سبيل لنا غيرهما.

قال محمود:

بل مازال فيها فرع حي سينمو ويصبح شجرة كبيرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

قل لي يا محمود لم ترسلون عملاء لكم إلي إسرائيل والمشكلة عندكم انتم .انتم تخربون بيوتكم بأيديكم وحدكم.

أفهم كلامك.

قال محسن:

ليس المهم أن تفهمه المهم أن تفعل شيء لقد كنا في خلاف علي ما يجب فعله وما نستطيع فعله فاكتشفنا أننا لا نفعل شيء لا تظن أن العميل الذي باعني وأمثاله هم الخونة فقط بل هنالك ملايين كل فاسد في مكانه عميل كل مهمل عميل كل مقصر عميل انظر أين أنت الآن وأين من حولك حتى من الدول العربية لقد ركبت النيزك الساقط علي الأرض بدلا من الصاروخ الصاعد إلي السماء لقد أصبحت عبئ علي البشرية وعار عليها شعب عجيب

لا يقدر أحد علي فهمه يعشق الحياة وهي تكره وكلما كرهته أكثر أحبها هو أكثر وكلما قست عليه تمسك بها أكثر و أكثر يضطهد في أرضه وخارجها فلا يثور ابداً غضبا ولا حتى ينتحر تزداد الأمور سوء ويزداد هو خنوعا وتمسكا بالحياة. يظن نفسه الأذكي ولا اغبي منه ويظن نفسه الأسعد ولا أتعس منه ويظن نفسه المؤمن ولا اكفر منه يتعبد لكل شيء اقوي منه أو يحتاجه وأكثر ألهته عشقا هو المال والحياة وجعلهما اله واحد لا شريك له. ليس عنده مشكله أن يعبد الله والشيطان في أن واحد إذا كان هذا سيبقيه علي قيد الحياة كم هو ساذج من يعبد سيدين يخسرهما.

قال محمود حزينا يائسا:

عود علي مبتدأ

قال محسن:

باختصار وكما قلت لك من قبل انظر كيف وصلت لمكانك ستعرف أين سنذهب, ولا تشغل بالك بي ولا تهتم لأمرى ودعني وربي.

قال محمود:

- لا أستطيع.

ولا أنا أستطيع أعذرني سأرحل.

أستمر محمود في مكانه ولم يتحرك وأخذ يحدث نفسه.

لما وصل محسن لهذا الحد لقد كانت تجربة صعبة حقا ولكن ما وصل إليه كان أصعب انه منهار فعلا يا ليته لم يدخل التجربة لست أعرف من سيكون أفضل عند الله من هؤلاء الثلاثة محسن الذي استخدم عقله وعصر ذهنه حتى وصل إلي ما هو

فيه أم عادل الذي أسرف علي نفسه في الشهوات ليهرب من  
مصير محسن أم مصطفى الذي لم يفكر من الأساس ؟ من فعل  
الصواب؟ وهل هو أفضل أم من لم يدخل التجربة من الأساس؟.  
يا ليتني اعرف ولكن لا بد  
من وجود أمل إذا قتل الأمل فلا معني لاشيء لا بد من وجود أمل  
لا بد من وجود أمل.

## الفصل العاشر

كثرت الدعوات للتظاهر في ٢٥ يناير تزامنا مع عيد الشرطة تنديدا بعنف الشرطة وسوء معاملتها مع الشعب. لم يكتف محسن أو عادل أو مصطفى لهذه الدعوات فقد أصابهم الإحباط. نزل بعض الشباب في ٢٣ وما بعدها حتى كانت جمعة الغضب. كان محسن مؤمنا انه لن ينزل أحد وان ما نجح فيه التونسيون لن ينجح فيه المصريون. لن يكن يؤمن بأن النظام قويا كما يدعي ويروج له في الداخل والخارج بل علي العكس تماما فهو نظام هش للغاية ولا يحتاج إلا إلي نفخة هواء ولكن من أين سيأتي هذا الهواء. مر الخامس والعشرون والذي بدلا من أن يكون يوم لاحتفال مصر ببواسل أهلها من الشرطة في الإسماعيلية أصبح يوما ضد الشرطة المصرية وليس الأجنبية.

بعد صلاة جمعة ٢٨ يناير خرج أعداد كبيرة لم يصدق محسن وهو يشاهد التلفزيون وقد هاله خروجها من المساجد والكنائس علي حد سواء وفي اتجاه واحد إلي ميدان التحرير. شاهد عادل والذي كان يحتسي الخمر مع بعض اليهود المشهد فلم يصدق والقى الكأس من يده وانتبه لأول مرة منذ فترة طويلة وأراد ألا

يسكر مرة أخري

وكذلك كان مصطفى فلأول مرة منذ فترة طويلة يخرج من الاكتئاب والإحباط مع تزايد أعداد الشباب في الميدان وتمني كما تمني عادل أن يتواجد محسن مع الشباب لان ذلك سيعطيهم دفعة كبيرة. لم يخيب محسن رجاءهما ونزل مسرعا إلي الميدان ورأي الشرطة تضحك والشباب يدخل إلي الميدان فقد فهم ما يريدوا وأصبح متأكدا من غباء واضعي الخطة لجمع الناس في صعيد واحد لسهولة التعامل معهم. قرأ محسن التاريخ جيدا وعرف أن هذا خطأ هم التاريخي الأكبر الذي سيندمون عليه طويلا فقد شجعت الأعداد الشباب وقوتهم وأعطتهم ثقة لا حصر لها وجعلتهم كحائط ضخم لا يمكن كسره احتمي داخله الضعفاء وكانوا أيضا لبنه تقوي الأقوياء. استمر الشد والدفع طويلا بين الشعب والشرطة وبدا الناس اقوي وأعظم وعرفت الشرطة جرمها وخطيئتها بانصياعها للنظام و إساءتها للشعب ولكن كان الوقت متأخرا.

بدء أفراد الأمن المركزي الذي كان بلا ذنب إلا انه كان غصبا من جنود فرعون بالخروج عن الأوامر بعد أن تملكه الجوع والعطش وقله والنوم وملئت انفه بالغازات

لم يصدق الضباط ذلك وقد أدهشهم أكثر حين رأي الشباب يعطيهم ماء وطعام فتركوا كبرياءهم وعلموا أن المعركة قد حسمت ولاذوا بالفرار دون انتظار تعليمات لهم

لم يصدق الشباب أنهم كسروا شوكة الشرطة في هذه الساعات القليلة والتي ظنوا أنها لن تنكسر أبدا ورغم سعادتهم فقد كان الحزن بادي علي وجه الكثير منهم لأنهم في النهاية منهم.

احتفل الشباب بانتصارهم الأكبر والأول وعلموا جيدا أن الحرب كلها ستكون له لقد فقد النظام سلاحه الوحيد وأصبح اعزل ومهما حاول المقاومة فلن يستطيع. لمح بعض الشباب محسن فحملوه علي الأكتاف وهتفوا لمصر في سعادة لن يحظوا بها أبدا حتى مع سقوط الرئيس. رأي مصطفى وعادل محسن علي الأكتاف فسعدوا لأنه لم يخيب رجائهم وتمنوا لو كانوا معه ومع الشباب في الميدان.

كان تصريحات مبارك لا ترقى لطموحات الشباب التي كانت ترتفع مع كل خطاب من عيش حرية عدالة اجتماعية إلي إسقاط النظام وكان مبارك دائما متأخرا بخطوات كثيرة. دفيء المشاعر جعل المتظاهرين لا يشعرون بالبرد ولأول مرة شعر محسن انه وسط أهله وفي بلده.

لن ينسي محسن أبدا الصدق والحب الذي كان يملئ الميدان فقد كان يصب الماء عليه لوضوئه مسيحي ويحمي كلا منهما الآخر حين الصلاة. اجتمعت القلوب الشتى في مكان واحد وعلي قلب رجل واحد فلا فرق بين الأديان ولا المذاهب ولا الطوائف الكل مصري يتمني مستقبل أفضل لمصر.

كان عادل يتفاخر بين نفسه بما أنجزه شعبه خاصة حين خرج بعض اليهود في المظاهرات رافعين علم مصر ضد سياسات حكوماتهم كان يتمني أن يقول انه مصري وشعر بالفخر لأول مرة منذ فترة طويلة بذلك وكذلك كان مصطفى في ألمانيا وعمل كلا منهم بجهد من جديد.

أعلن مبارك تخليه عن السلطة انصياعا للجماهير ولكن محسن لم يعرف لما سلم السلطة للمجلس العسكري. هل كان عنده حسن

أو سوء نية أو ربما لم يكن خياره

كان محسن يتحدث إلي الشباب كثيرا عن تجربة عرابي وخوفه من تكرارها فقد كان يحذر من ترك الميدان إذا تنازل مبارك عن السلطة لان الثورة يجب أن تستمر حتى تصل مصر لبر الأمان. لم يستمع الشباب له وهو يقف في الميدان يطلب منهم إلا يخلو الميدان الآن وان ينتظروا حتى نصل لبر الأمان الحقيقي. شعر مصطفى وعادل بما شعر به محسن فهم يعلموا أن هنالك آلاف بل ملايين من مبارك في كل مرافق الدولة وكان لابد من سقوطهم معه فقد عاينوا ذلك بأنفسهم وكانت الصورة أوضح وكاملة وهم ينظرون عليها من الخارج ولكن الشباب لم يفهم هذا. سعد الشباب بهذا النصر ولم يروا أن الحرب لم تنتهي بعد وخرجوا يحتفلون في الشوارع والميادين بنهاية الحرب ولم يدروا أن الحرب الحقيقية بدأت وتذكر محسن غزوة أحد. و علم أنه سيكون هنالك الألف من عرابي ومني أن يخيب ظنه ولكن للأسف صدق.

سارت الأمور من سيء لأسوء وامن الجميع انه لا جدوى وانه لن يحدث تغيرا حقيقيا وان الجميع التف علي الثورة وأصبحت هوجة كهوجة عرابي و أصبح الجميع يظهر عيوبه ولا يخفيها وامن الجميع انه لن يحاسب في الدنيا ولا الآخرة فسقطت الألقعة وبدت وجوه الشياطين الحقيقية واحتضر الأمل وأصبح علي فراش الموت لا ينتظر قبلة الحياة لأنه لا يريد لها ويعلم انه لن يرضي أن يعطيها له أحد.

أضافت تلك الأوضاع السيئة الكثير والكثير علي الشباب الثلاث فعاد محسن لتساؤلاته التي لم يجد لها معني وسار

مجنونها. أما عادل فعاد للسكر مرة أخرى وعاش عيشة شهوانية مع راشيل وغيرها كان يقترب من راشيل حتى يكون معبدوها ويتعد عنها حتى تكون معبودته يمعن في الشهوات حتى يكرها ويتركها ثم يعود إليها سريعا حتى أصبح عبدا لها ورغم كثرة الأمراض التي أصابته بسبب هذا الإسراف علي نفسه ولكنه سار في نفس الطريق.

أما مصطفى الذي أصبح لا يري إلا راشيل يحبها حبا مخلصا وهو يعلم كم هي تكره ذاب في حبها حتى أصبح معبدوها ولا يري غيرها.

حتى راشيل لم يكن حالها بأفضل من ذلك راشيل فقد كرهت كل شيء واستخفت به وتمنت لو أحبت شخص واحد وتزوجته وعاشت لتتجنب الأطفال تلك الحياة التي كانت ترفضها من قبل. لم تعد الحياة بريقها يؤثر كما كان من قبل لذا عملت مع المخابرات المصرية و الإسرائيلية معا و كانت تستخف بهما ولا تري معني لكل هذا فالشباب الثلاث ضائعون.

أما الضباط وخاصة محمود كانوا يشعرون بواجب أخلاقي علي الأقل تجاه هؤلاء الشباب الثلاث وبالأخص محسن لذلك فحين قابل محمود محسن لقاء أخيرا رآه شخص آخر لا يعرفه و بدا انه في طريق لا يعلم أحد أين يبدأ ولا أين ينتهي طريق ضيق مظلم كأنه سم الخياط من دخله لا يعرف أحد ما يحدث له. فقد قال

- انه لا معني لشيء كل الأمور تساوت لا معني للحق والظلم الفاسد يحاسب الفاسد علي نفس فساده دون أن يراجع نفسه الجميع في الهاوية. الطريق مغلق والأمل في فتحه مفقود والناس

تموت علي الطريق دون أن تصل. منهم من نسي الطريق ومنهم تناساه ولكن لا أحد أصبح يفكر في العبور ومن فكر سقط في الشكوك الذي يغلق الطريق.

ابحث عن حقيقة واحدة فلا أجدها كنت حتى أريد ثابت ارتب عليه المتغيرات فلم أجده.

قال محمود محاولا فهم ما وصل له محسن:

هل أصبحت لا تؤمن بالله؟.

قال محسن وهو يفكر:

- تذكرني بعالم كان لا يؤمن به أو لا يريد أن يؤمن به وكان يبحث في الفضاء وكان يعمل علي كشف عمر الكون و يتمني أن يكون أزليا بلا بداية فلما علم أن له بداية أي مخلوق قال أصبح من المستحيل إنكار وجود الله. للأسف تلك هي الحقيقة إذا نظرت إلي الكون الفسيح وجدت الله في كل شيء وإذا نظرت إلي الأرض وجدت الشيطان في كل شيء. والناس في هذه الأرض امنوا بذلك فمنهم من لم يفكر إلا في نفسه ومنهم من جعل الله ليريح ضميره قليلا فقال إن كان الله موجودا فقد عبدناه و إن لم يكن فقد عصيناه. وهنالك من جعل الله والشيطان اله واحد وادخل معهما ألهة أخرى كهواه ومنهم ..... ومنهم. أقول لك شيء وهو ممسك ببعض المال هذا هو الإله الحق للأسف المال من أجله سقط الجميع . أو بالأحرى الحياة بل الدنيا نفسها يفعل الإنسان كل شيء ليبقى فيها يبيع الحق بالباطل والخير بالشر ولا يشعر بذنب فقد قتل أول ما قتل ضميره وهو طفل ليظل يري كل شيء بعين الطفل فهو يقتل في اللعبة وهو سعيد ويضحك ويريد أن يقتل أكثر وأكثر ليربح أكثر وأكثر. إن عميل

هذا الزمان وفي هذه الأرض هو الأغرب لأنه لم يعد واحد يبيع الجميع بل أصبح الجميع يبيع الواحد وليس لبلد آخر بل إلي لا شيء والمقابل البراز قرف كلها الحياة و مقرفة وقد أصبح كبار العملاء لا يرضوا للصغار أن يأخذوا نصيبا من هذا البراز فيجعلونهم يتقاتلوا ويتقاتلوا ولا يحصلوا علي شيء فتضيع ديناهم وما بعدها وتبدأ دائما بمظلوم واحد قد يكون يتيما أو أرملة أو مستضعف ثم سلسلة لا تنتهي من الظالمين والجميع يري نفسه المظلوم لا الظالم وبدلا من لوم أنفسهم أو سادتهم فهم لا يجرؤ علي لومهم فيلوموا الله ويكرهونه هو لا أنفسهم ولا سادتهم ويكرهم الله ولا أحد يربح حتى الشيطان والذي بدي كتلميذ صغير بليد في مدرسة الإنسان وافقا مع أبناءه سعيدا مما وصل إليه الإنسان وغير مصدق يغطي أحيانا أعين أبناءه كي لا يروا ما يفعله الإنسان بأخيه ناظرا بوجه القبيح إلي السماء مبتسما ابتسامة سوداء قائلا يارب و أنا أوؤمن بك ربا برئ مما وصل إليه أبناء ادم مع بعضهم كبراءتي من الدم الأول واشهد أنا لا نفعل بأنفسنا ما يفعله أبناء ادم بأنفسهم ثم يعاود ناظرا إلي السماء همكر ولسان حاله يقول شامتا هذا من فضلت علي.

والجميع يموت علي الطريق تاركا جسدا عاري كما جاء عاري ولا أحد يعرف أين سيذهب بعد ذلك هل سيعبر الطريق أم سيسقط في الشوك ولا أحد يعرف أين سيأخذه الطريق بعد ذلك وذلك هو الخسران المبين.

قال محمود وهو يحاول إمساك الخيوط وفهم ما وصل له

محسن

وأنت ماذا تري؟.

أري براز يتقاتل عليه الناس ولا يستطيع أن أقاتلهم عليه ولان حاولت فقد رأيت الحقيقة وأصبحت أري الحياة مبولة كبيرة. انك تهذي.

تلك هي الحقيقة.

للحياة جمالها.

حدثني عنه.

في منظر خلاب و امرأة جميلة و ....

لقد عاينت هذا وأكثر ولكن البصر فقد.

لكن مازال السمع واللمس.

ذهبا.

والفؤاد والعقل.

سبب المشاكل كلها ومتقلب والعقل عاجز وادعوا فلا يستجاب

أدعوا فلا يستجيب حتى أني دعوت الشيطان فلم يستجيب

قال محمود في تعجب شديد:

ماذا تنتظر من الشيطان؟.

قال محسن بفتور:

لا أعرف.

قال محمود غاضبا:

لما دعوته إذا؟.

لأني فقدت الأمل.

هل سيحل لك تلك المشكلة؟.

لا علي العكس تماما.

إذا لما دعوته؟.

لأني عالق في الشوك ولا أحد يخرجني حتى من أوّمن انه المنقذ.

هل سينقذك هو؟.

لا سينهي معاناتي حين يقذف بي في قاع الشوك المجهول.

قال محمود:

لا استبدأ المعاناة الحقيقية.

قال محسن:

ربما.

أريد عبور الطريق وحسب بأي طريقة.

لكن هذا الطريق سيوصلك لطريق آخر غير الحقيقة.

ليس بعد هذا الطريق إلا الحقيقة وان اختلفت.

قال محمود:

عد لرشدك قبل فوات الأوان.

قال محسن:

دعني وربى وانظر إلي الآخرين فاني في طريق أوْمن إني في نهايته

سأصل للحقيقة وهذا هو أملي الذي لن أفقده ولأن القي الله

وأنا في منتصف الطريق عالق في الشوك خير لي من أن ألقاه

خارجة مع الذين يتقاتلون علي البراز كل ما أريده أن لا أؤذي

أحد أما ما بيني وبينه فهو بيننا واني أثق في عدله ورحمته.

الأهم أن الأمل يحتضر ويريد قبلة حياة أعطوها له الآن قبل أن

يموت فيضيع الجميع وخاصة الأجيال القادمة. افعلوا شيء لله.

إن من يريد تشويه الثورة وهي كانت الأمل الوحيد هو أسوء

عميل لأنه سيقتل الأمل وينهي الحياة ويكره الله إلي الناس

ويكره الناس إلي الله.

قال محمود غاضبا:

فكر في نفسك.

قال محسن ببرود

أنا أعرف طريقي.

قال محمود وقد أزداد غضبه:

أنت لا تعرف شيء.

قال محسن ببرود أشد:

سأعتزل العالم.

كيف؟.

الطرق كثيرة.

قال محمود في توتر:

بحق ما بيننا وإياك لا تقتل نفسك.

قال محسن:

لقد ماتت منذ زمن بعيد إلي لا لقاء.

قال محمود:

محسن... محسن.

إلي لا لقاء.

لقد جعلتني والضابط اليهودي في كفة واحدة

إلي لا لقاء. سار وهو يتحدث مع نفسه يا رب انك تري كل شيء

وليس لنا أمل إلا فيك فان كنت قد اختبرت هذا الشعب بالعسر

فرايت ما وصلوا إليه أسالك دعوة واحدة أختبره باليسر وأني علي

يقين انه لن يفعل أسوء مما فعل لقد كره لله إلي الناس وكره

الناس إلي الله برحمتك لا بعدلك يا رب.

تواترت الأخبار في الصحف العالمية ويليها المحلية عن موت رجل

الأعمال الشهير يوسف يعقوب إسرائيلي بعدما سقط من شرفة

منزله بأحد ضواحي لندن. وقد شغلت القضية الرأي العام فترة

طويلة رغم أن هذا الأمر متكرر كثيرا وكان لها أسباب كثيرة. أولها كونه يهودي الديانة والجنسية وثانيها قوة ومثانة علاقته بالحكومة ورجال الأعمال الإنجليز. طريقة الوفاة والتي تكرر غالبا مع أشخاص لهم علاقة بأجهزة المخابرات. وعلي الرغم من أنه لم يكن معروفا أي علاقة له بأي جهاز مخابرات ولكن الشكوك كانت تحول حول هذا الأمر.

وعندما بدأت الأمور بالهدوء قليلا اشتعلت مرة أخرى حينما طالبت أسرة مصرية باستلام جثته ودفنها في مصر طبقا للشريعة الإسلامية بل والأكثر من ذلك الحصول علي كل أمواله وثورته. في هذه اللحظة هاجت الأرض ولم تهدأ فقد أصبحت الأمور مختلفة كثيرا مع دخول أجهزة المخابرات المصرية والإسرائيلية. أعلنت المخابرات المصرية أن الفقيه ما هو إلا عادل فهمي السيد المصري الجنسي والمسلم الذي أرسلته المخابرات كعميل لها في إسرائيل ليجسد شخصية يوسف يعقوب الشاب الإسرائيلي الذي وافته المنية في مصر حين كان هاربا من محاولات اليهود لتهجيريه لإسرائيل والذي أوصي أن يدفن في مصر أو العراق ولا يسلم أبدا لإسرائيل حيث دفن في مصر في مدافن اليهود. أما عادل فهو شاب مصري كان عميلا موريا مخلصا قدم لوطنه الكثير والكثير من المعلومات الهامة والقيمة. ونعت المخابرات المصرية وفاته وأكدت أن وفاته كان ورائها جهاز الموساد الإسرائيلي. نفت إسرائيل ذلك تماما وأكدت أن يوسف يعقوب هو يوسف يعقوب وأن كل ما تقوله المخابرات المصرية هو كذب وعلي المخابرات المصرية أثبات ما تقول. علقت انجلترا أمر تسليم الجثة وكلما يخصه لديها حين التأكد من حقيقته رغم المحاولات الحثيثة من طرف

خاصة الطرف الإسرائيلي . أكدت مصر أحقيتها لأبنها عادل ولكن كان عليها أثبات ذلك خاصة أن تحليل الحمض النووي للجثة اثبت أنه ليوسف يعقوب إسرائيل.

لذا أكد الجانب المصري أن الأمر مختلف تماما لأن هنالك سر كان مخفي أن لعادل نفس الحمض النووي ليوسف. كان الأمر مستغربا لعدم تسجيل ذلك لذا لجأت مصر لأمر هام وهو إظهار جثة يوسف والمدفون في مصر وتم فتح المقبرة في حادث مؤذي ولكنه ضروري وبحضور طرف دولي وعلماء متخصصون في هذا المجال بل ووفد يهودي. كانت المفاجأة هو أن القبر بدا كأنه قد نبش بعد الدفن وكان واضحا أنه من مدة طويلة وعندما فتح وجدوا لا شيء بداخله ولكن مع ذلك بدا جليا أن القبر قد نبش وبناية كبيرة فليس هناك أثر بتاتا لجثة كانت موضوعة في القبر وقد رفعت تربة الأرض واستبدلت بتربة أخرى جديدة مختلفة اللون عن التربة بعد قرابة نصف متر لتمحو نهائيا أي أثر و قد جمعت عينات كثيرة من أماكن مختلفة لعلها ترشد لأي شيء ولكن دون جدوى. لم يستطيع أي طرف أثبات شيء وحاولت الجهات المصرية بكل الطرق أثبات ما تدعيه ولكن دون جدوى وتراشق الطرفان الاتهامات المتبادلة. حيث أكد الطرف المصري أن الجثة تعود عادل فهمي وأن إسرائيل هي من بدلت الجثة لتخفي الحقيقة بينما أكد الطرف الآخر وبسخرية كبيرة من هذه المقولة وأكدت أن الطرف المصري هو من ادعي بالباطل وأنه حاول بما فعله بالقبر من إثبات وجهة نظره لذا فعل ما فعل من أكاذيب.

لم تتغير الأمور رغم ما أكدته مصر من صحة وجود

شخصية عادل فهمي ومن خلال تسجيله في سجلات المواليد القديمة وشهاداته الدراسية وصورة وسط أهله وأصدقائه وحتى تحاليل الحمض النووي وغيره ولكن لم يقتنع الطرف الانجليزي بذلك خاصة عدم وجود أي شيء معه يؤكد ذلك فهم معه جواز السفر الإسرائيلي وليس هنالك أي شيء آخر أو أوراق ثبوته أخرى كانت معه لعادل أو لغيره وأيضا تحليل الحمض النووي. أصبح الأمر محسوما لصالح إسرائيل وسلمت الجثة وكل ما يخصه لإسرائيل والتي سارعت بمراسم الدفن و أقامت عليها حراسة كبيرة. ولكن عند الدفن وعندما فتح التابوت لم يجدوا الجثة وتبادلت الاتهامات مع الجانب المصري بل والانجليزي. ومع ذلك لجأت الحكومة المصرية لتأكيد أن الجثة لعادل وقد أعلنت عن تفاصيل العملية كاملة كاشفة كل شيء عن عادل ومصطفى ومحسن ليعرف الجميع في الداخل والخارج عن حقيقة المهمة. وطالب الجانب المصري بالكشف عن حقيقة ما حدث من سقوطه من الشرفة وأكدت للجميع أن وراءه جناية وأنه لا يمكن أن ينتحر وأن من وراء ذلك هو الجانب الإسرائيلي. لم يختلف الوضع مع الجانب الإسرائيلي الذي طالب هو الآخر بالكشف عن الحقيقة وأن ما وراء الحادث بالطبع الجانب المصري الذي حاول تجنيده ولكنه فشل.

قرأ محسن الأخبار باهتمام لم يشعر به منذ فترة طويلة بكي كثيرا وكان يظن أنه لم يعد يملك من الدموع شيء ولكن خاب ظنه وبكى كثيرا حتى لم يعد لديه دموع حقا وجفت البئر إلي حين. شعر بالحزن والآسى لفراق عادل والذي التقى به لفترة قصيرة ولكن جمع بينا صداقة قوية حتى لو تفرقت الأجساد

ولكن الأرواح تتلاقى حتى لو اختلف الفكر وتغيرت النفوس إلا أن ما بينهما كان أكبر بكثير مما يظن هو نفسه. شعر بغضب كبير لما حدث له وشعر بمرارة في حلقه وعلم أنه ضاع كما ضاع من قبل هو وكان يظن أن النتيجة ستكون مختلفة ولكن كانت واحدة. شعر أن الدقائق وربما الساعات الأخيرة في حياته كانت حقا وبكي مرة أخرى وقال لنفسه ماذا حدث في هذه الساعات الصعبة والعصيبة. كان علي يقين أنها لن تقل أبدا عن لحظاته الصعبة سواء مع الآخر أو مع نفسه والتي كانت هي الأصعب. كان يشعر أنها كانت رهيبة حقا وبالطبع لحظة سقوطه كانت أصعب منها بكثير وكان يتمنى أن يعرف التفاصيل. صمت قليلا ثم نهض وصلي وأخذ يدعو له ولفترة طويلة وكان يتذكر ما قيل عنه من عربدة و فجور فيزداد دعاء له وتمني أن كان حضر دفنه ولكن هيهات...هيهات.

كان يؤمن أن هذا لن يكون نهاية الأحداث وربما تعرض هو أو مصطفى للإيذاء أيضا. وبالرغم من ذلك رفض في اتصال هاتفي مع العميد بكري أي محاولة منه لتأمينه وقال له وهو يضحك في سخرية أ تريد أن تحرسني حين يأتي الغالي. وكان يعلم أنهم سيحاولون حمايته ولو بصورة غير مباشرة فقال له أن الأولي بهذا هو مصطفى فبحق كل ما في نفسك من خير بل بحق الله أمن مصطفى بشكل جيد ودع ما بيني وبينهم ولا تشغل بالك فرمما أنال ما كنت أرجو. حاول العميد بكري كثيرا معه ولكن دون جدوى. طلب محسن منهم شيء آخر أن يتركوه في حاله وألا يكون بينه وبينهم أي اتصال حتى من جانب محمود.

لم يكن حال مصطفى بأفضل من ذلك فقد نزل عليه

الخبر كنيذك ساقط محترقا من السماء فجلس علي الأرض باكيا ويلطم خده وهو ما لم يفعله من قبل. بالرغم من أنه لم يقابله من قبل إلا انه كان يثق فيما يقول محسن ويصدق حسن ظنه بالناس وبالرغم أيضا من أنه كرهه كرها حقيقيا عندما أحب راشيل وكانت هي تكرهه ولكن الموت حدث جمل تصفو فيه النفوس لبعض الوقت ويشعر بالآسي علي المتوفي رغم من أنه كان أولي أن يشعر بالآسي علي نفسه. كان يريد الاتصال بمحسن رغم أنه تردد قليلا ولكن قال لنفسه إن العملية برمتها قد انتهت لذا وضع يده على مفاتيح التليفون المحمول وضرب علي الأرقام التي كان يحفظها عن ظهر قلب وهو مغمض عينيه ويديه ترتجف. كان الرد أسرع بكثير مما يظن فسمع صوتا محسن الرخيم متحشرج في فمه ولا يكاد يخرج ويقول كيف حالك يا مصطفى؟ زفت العيون دمعا ممزوجا بالآسي وقال الحمد لله يا محسن كيف حالك أنت؟. ساد صمت طويل ثم قال محسن لله الأمر من قبل ومن بعد وما حدث قد حدث ولا راد لقضاء الله ثم صمت قليلا وقال احترس يا مصطفى لا يبدو أن الأمر ستسير في طريق الخير أبدا. ساد الصمت قليلا ثم قال مصطفى ولتحذر يا محسن أنني أشعر بما تشعر به والأيام القادمة ستكون صعبة علي الجميع ثم ساد الصمت بينهما حتى خرج صوت مصطفى لا يكاد يسمع ومتقطع أدعو لي... ولا تنسي عادل ثم سمع صوت ضعيف يقول بنبرة فيها شيء من السخرية من يدعو لمن ؟ فلتدعوا أنت لي يا أخي فقال مصطفى أنني أو من أنك الأنقى والألقى فينا فسمع صوته يقول وأنا أو من أنني الأسوأ علي الإطلاق. ساد الصمت قليلا وكان البكاء هو الصوت الأعلى حتى قال مصطفى كلنا

ضياح فليدعوا كلا منا للأخر ولابد أن نذكر عادل. ظل مصطفى طويلا صامتا جسده يرجف من أعلي رأسه إلي باطن قدمه ويبيكي بحرقه علي ما وصل إليه الجميع وعلي ما سيحدث لهم وأصبح علي يقين أنه لابد أن يموت عما قليل مهما تعددت الطرق. حتى فكر في قتل نفسه.

مرت الأيام أكثر بطأ علي الجميع وتوالت التقارير الإخبارية حول حقيقة يوسف أو عادل وكان كل طرف يحاول أن يثبت أنه علي الحق كأن هذه العلية هي نهاية الحرب بين الطرفين ولابد أن يخرج واحد فقط هو الرابع أما الخاسر فهو أناس أحررون وقعوا في براثن هذه العملية بإشكال مختلفة وكان ذنبهم أنهم من مواطني مصر أو إسرائيل في زمن تغيرت فيه المفاهيم كثيرا. كان التقرير غير الرسمي يشير إلي انتحار يوسف يعقوب ولكن الجانب المصري رفضه بشدة مؤكدا أن إسرائيل كانت هي من وراء هذا الأمر. كان الأعجب أن إسرائيل أكدت نفس المعني وأكدت أيضا أن الجانب المصري هو من كان وراء قتله. هدأت الأمور قليلا ثم ذكر في تقارير غير رسمية أن السبب وراء ذلك كان ولهذا لكثرة علاقاته الغرامية هو أن زوج أحد السيدات الآتي كن علي علاقة معه ضبطهما سويا لذا ألقاه من الشرفة انتقاما لشرفه وأن هذا الرجل ويدعي مايكل جورج قد انتحر بعد ذلك. كان مصير هذا التقرير غير الرسمي مشابه لما سبق فقد رفضه الجانبان رفضا باتا وانتظر الجميع التقرير الرسمي النهائي ولكن دون جدوى.

كان حال راشيل ليس أفضل من الجميع فهي علي الرغم من أنها كانت المستفيد الأكبر من هذه العملية فقد

جمعت مالا لم تكن تحلم به وأصبحت ذات نفوذ في إسرائيل لعلاقتها بالمخابرات وذات أهمية لدي المخابرات المصرية ولكن كل هذا لم يعد يعني لها شيء. فكل شيء أصبح سخيفا ومخيفا فبعد مقتل يوسف وظهور تفاصيل العملية يوما بعد يوم أصبحت هي أيضا في خطر فقد يفشي المخابرات المصرية بخاصة بعلاقته به فتكون سببا لمحاكمتها ولذلك قررت ترك إسرائيل و اختارت التنقل الدائم بين المدن في أمريكا حيث الجميع يتوه فيها. حزنت كثيرا حينما علمت خبر مقتل يوسف فهو حبيبها وعدوها والموت قد أرعبها علي نفسها و أصبحت لا تعرف حقيقة إن كان هو يوسف أم عادل فكل شيء أصبح جائز.

لم يكن حال العجوز بخير منها فقد أصابه الحزن والكآبة وفقد القدرة علي الكلام لوقت وجن جنونه وهاجت نفسه وأصبح معتزلا الناس جميعا ولا يتحدث حتى مع نفسه. فهو لا يعرف أيجب عليه السعادة أم الحزن؟ وهل كان يوسف حقا أم عادل كما تدعي مصر؟ وهو الذي لم يرتاح له منذ عودته من مصر ولكنه لم يرفضه مائة في المائة كان داخله ما يقول له ربما هو يوسف رغم كل هذا التغيير وخاصة أنه كان يعمل بجد واجتهاد في المال حتى ضاعفه أضعاف كثيرة وبدأ يشعر بأنه يوسف مع الوقت وكان يشعر أنه لا بد له من أن يقابل محسن ولكن أين السبيل إلي ذلك؟. وزادت حيرته و خوفه من لقاء يعقوب والد يوسف فلم يعد يعرف ما يقوله له فان الأمر ازداد تعقيدا.

تتابعت التقارير الإخبارية في الصحف العالمية تؤكد أن يوسف كان عميلا مزدوجا لمصر وإسرائيل بل وأكثر من

ذلك قدم خدمات لأجهزة أخرى كالبريطانية والأمريكية وأنه يملك ثروات ضخمة بأكثر من أسم مستعار منها محسن ومصطفى وغيرها. قابل الرجل العجوز محسن ولم يصدق محسن ما يري وظل صامتا لفترة من الزمن لا يتكلم ثم خفض عينيه ولم يريد أن تلتقي عيناه بعين العجوز والتي بدت مرهقة شبة ميتة وكان بداخل كل منهما الكثير ولكن العجوز قال له سؤال واحد يا محسن وقل لي الحقيقة ولا تكذب ولا تخبأ شيء فقد انتهت المهمة بأكملها ولم يعد هناك ما يجب أن تخفي وقل لي هل كان يوسف حقا. ظل محسن صامتا يسترجع كل ما حدث وبالرغم من أنها أحداث كثيرة من المؤلم والمفرح إلا أنه تذكرها كلها في غمضة العين وتعجب من ذلك ثم قال له أتريد أن تعرف الحقيقة. قال له سريعا نعم أرجوك فنظر محسن للأرض وقال له ولا تناقشني فأجابه نعم فقال محسن الحقيقة الواحدة التي يجب أن تعرفها أنه ليس هناك حقيقة وكان يجب علينا أن نرفض أن نأتي للحياة لنعاني ونجعا الآخر يعاني. بدا الغضب في وجه العجوز واحمرت عيناه وقال له عما تتحدث أنت وعما أتحدث أنا أريد أن أعرف الحقيقة. تبسم محسن ابتسامة ميتة وقال له ما قلته هو ما يفيدك وما الفرق إن كان يوسف أو عادل أو محسن الجميع سواء وهو في ذمة الله أحب كلمة إلي قلبي في ذمة الله.

- قيل لي كثيرا انك تهذي ولكن لم أكن أصدق أنك وصلت لهذه الدرجة.

قال محسن بابتسامة مقتولة

- أنت تعلم أنني أقول الحقيقة وأنت حين تموت لن يشغلك أمر أحد إلا نفسك وأي ما كان بعد موت فلا فرق سواء كان موتا

ليس فيه حياة أو حياة أخري في جسد أخري أو جنة أبدية أو نار أبدية لا فرق لأن الروح سيموت فيها ذاتها.  
قال العجوز غاضبا:

- أنك تهذي أنت لا تعرف ما فعلت حتى أصل إليك ولا ما كلفني ذلك ثم تقول لي هذا الهديان ثم علي أي دين أنت لقد قلت ما في العقائد المختلفة.

قال محسن وهو يضحك ساخرا:

- أنني أقول لك ما ينفحك لم يكن لك القدرة علي تغيير ما حدث ولا ما سيأتي ولكن لك القدرة علي تطهير نفسك وأحياء روحك حتى إذا ما وصلت لحظة الموت وغادرت الحياة وتركت جيفتك كما تترك برازك أقبلت علي ما بعد ذلك مطمئنا لذا أقول لك افعل الخير لتجد الخير ولا تؤذي أحد. إن كان واحد يولد في مكان ما يدين بدين ما ربما لا يستطيع تغيير دينه فقد تربي وتعلم علي أنه الدين الصحيح وما سواه خطأ وان رجال الدين والآباء والمعلمون ليتحملوا ذلك ولست أعلم إن كنا في حاجة لأنبياء جدد أم لا لأنه صعب أن يغير الناس ما هم عليه أنهم لا يغيرون عادة سيئة حتى لو ضارة بصحتهم فكيف بهم ليغيرون دين حتى لو ضار لأخرتهم ولكن ما يستطيعه هو أن يفعل الخير وألا يؤذي غيره.

قال بنيامين بعد صمت طويل:

- أنا المخطأ ثم هم بالمغادرة.

قال له محسن ناصحا:

- لقد قلت لك الحق وأنت علي وشك المغادرة.

قال العجوز في حنق:

- ربما تموت قبلي.

قال محسن وهو سعيد:

- يا ليت لي ذلك.

قال العجوز بحنق أشد:

- يا ليت لك ذلك.

قال محسن:

- شكرا لدعائك لي وفكر فيما قلت لك.

تركه العجوز وهو يهمهم بينما محسن يضحك.

تتابعت أخبار جديدة عن العثور علي الشاب المصري مصطفى مشنوقا في شقته في برلين بألمانيا. كان الخبر صادما للجميع. كانت الأخبار متضاربة بين من يؤكد أنه هو من قتل نفسه وبين من يؤكد بأن الحادث جنائي و ورآه أطراف بعينها بالطبع اتهمت أجهزة المخابرات في مصر وإسرائيل والتي هي أيضا اتهمت الطرف الآخر. كانت له جنازة عسكرية مهيبه من الجانب الرسمي والشعبي ووقف محسن بين الجميع لا يهتم بأحد إلا جثمان هذا الشاب والذي كان يراه أمامه ولكن لا يتحدث إليه والدمع يملأ عينيه يريد أن يتحدث ولكنه لا يستطيع ولكنهم تبادلوا الحديث بالروح سأله محسن:

- ماذا حدث؟.

- لم انتحر.

- اخبرني ماذا حدث؟.

- لم انتحر.

- أنا أعرف هذا ولكن ماذا حدث؟.

- ليس هذا هو المهم ولكن انظر ما وصلنا إليه؟

- مادمت لم تنتحر فأنت في مكان أفضل مما نحن فيه أخبرني عنه؟.

- مازالت انتظر أن أعرف ثم اختفي عنه في لحظة واحده فنظر إلي القبر فوجد الجسمان قد نزل فيه وقد أغلق القبر ومعه الأمل المفقود.

كان قد تلقي محسن خبر الوفاة كالمنتظر لحدث سيء مما يقال فيه وقوع البلاء أفضل من انتظاره وعلم أن ما كان يخشاه قد حدث وأن الدور عليه لا محالة. وبكي كثيرا عليه وترحم عليه وكان حزينا أنه آخر الثلاثة ولن يوجد من يترحم عليه منهم. كان يدعو لهما في كل وقت ناظرا بعين يملؤها الرجاء باللحاق يهما وقال لنفسه إن الحياة ظهرت بوضوح كقذرة حقيرة أكثر بكثير مما كنت أظن. ولكن مازلت أعتقد أنه كان ممكن أن تكون أفضل بكثير حتى من أحلامنا ولكننا مشينا في الاتجاه العكسي بكل قوتنا حتى أهلكنا غيرنا أو غيرنا يهلكنا ثم يدفن الميت كأننا قمامة يريدون التخلص منه ويحمل الابن أباه وأب ابنه ثم يضعه في حفرة ويغلق عليه وينساه مع الوقت كأنه لم يكن من الأساس ويكمل في طريقه ثم يلقي به أهله ويتركونه ولا أحد يفكر أبدا فيما حدث ولا يفكر القاتل من قتله ويكمل حتى يأتي من يقتله وهلم جرا. كان ممكن أن تكون الحياة أفضل من ذلك ولو بقليل ولكن من يقود الناس يأخذهم حيث يشاء وهم يسرون معه في هذا الطريق ولا يرجعون عنه. لقد كنت أظن الناس ستتبع الدجال عن جهل ولكن اكتشفت عكس ذلك الناس ستتبعه وهي تعلم أنه الدجال حتى إذا قال لهم أنه الله ومكتوب علي وجه كذاب فأنهم سيتبعونه مادام لديه القوة

والأهم منها مادام يملك أقوات الناس ويستطيع أن يرضي أطماعهم. إن التجربة صعبة حقا إن الناس تطيع من يملك أقواتهم حتى وان كان هو لا يمكن حتى قوت نفسه ولكن كل القرائن تؤكد انه يعطي ويمنح يحي ويميت ينعم من يشاء في جنته ويعذب من يشاء في ناره فكيف لهم أن يعصوه حتى وان عصوا ربهم المال الحقيقي لكل شيء. إن الإنسان يؤمن بما يري وليس بما لا يراه ويقول البعيد عن العين بعيد عن القلب. إن كان الله قد اختار الاحتجاب عن الناس وأنزلهم في تجربة قال عنه أنه كان ظلوما جهولا حين اختارها. وأعطى مصائر الناس في قاداتهم ومكنهم فيه حتى اتبع الناس من يحمل السلة وليس من أرسلها طمعا فيما يحمل فلن يكون هذا مستغربا علي الإنسان التي تتصارع داخله قوي الشر القوية وقوي الخير الضعيفة فتنصر غالبا قوي الشر علي الخير. ومن يقود الدفة يؤمن أن بالكرهية يسود فيجعل من معه درجات ويقلب هذا علي ذاك ثم يقبلهم علي الآخرين ويؤكد لهم أنهم علي الحق دائما فيقتلون الآخر ويمثلون بالجنث ويغتصبون ويسرقون وهم يؤمنون وعلي رأسهم قاداتهم بأنهم يفعلون إرادة ربهم فتكون كل الجرائم مباحة بل ومثاب عليها. وتكون جرائمهم فيما بينهم هي أيضا من أجل الوطن فيسرقون الخيرات ويقتلون ويسرقون ويغتصبون ويمثلون بالجنث من اجل الوطن أيضا زمن يقتلون من خارج بلادهم هو أيضا من اجل الوطن. فيصبح الحق باطلا والعبد معبود والمعبود منسي والخيانة وطنية. ثم حين يأتي وقت الحساب يجد كل شيء علي العكس فما الحاكم إلا عبد لا يملك من أمره شيئا حتى يملكه لغيره وكل ما فعلوا من عبادته والسجود والخنوع له إلا ذنوبا يضاف

إليها كثيرا غيرها من القتل والسرقة وغيرها. ويعرفون أن السرقة والقتل لا يمكن أن تكون وطنية وأن الإنسان مخلوق عظيم أهدر بغير حق وبدون علم وأن الحياة كانت يمكن أن تكون أفضل بكثير وأن الإنسان لم يعيش الحياة كما كان ينبغي وأنه خرج من الحياة بدون أن يصل للهدف منها وأنها تركها رغم أنه عاريا كما جاء عاريا وتاركا كل شيء ولم يتمتع بالحياة كما كان يمكن مهما ظن ذلك ولكنه قد جاء محبوبا وخرج مكروها وقد جاء نظيفا وقد خرج مليء بالأخطاء التي لا يمكن التخلص منها لأن الوقت قد فات وانتهت اللعبة وليس هناك محاولات أخرى.

مرت شهور طويلة لم يتعرض للقتل وكان ينتظر الموت ولكن الموت كان يهرب منه. أمور كثيرة قد حدثت كان ممكن أن يموت فيها ولكن لم يموت. كان أولها عندما انقلبت به سيارة أجرة علي الطريق الزراعي بنها حينما ذهب ليعود صاحبه المريض محمد عبد الموجود. كان القدر أن يموت الجميع بما فيهم سائق السيارة ولكنه يخرج من الحادث معافي تماما وبلا حتى خدوش. بل ويساعد في إسعاف المرضى بينما الطبيب يؤكد له ضرورة إجراء إسعافات طبية له هو شخصا وأشعة خوفا من حدوث نزيف داخلي ولكنه يرفض ويستمر يساعد في إسعاف الآخرين وفي نفسه يتمني أن يكون هنالك نزيف داخلي يفضي لموته ولكن يخرج سليما معافي وعندما يخضع للكشف الطبي بعد عدة ساعات وعلي مضى يحترار الأطباء من كونه سليما مائة في المائة. وحادث آخر أغرب من ذلك فقد كان يمر في شارع به عمارة جديدة وكان العمال يعملون في الدور السابع علي تكسير مسلح الشرفة فسقطت قطعة كبيرة تزيد عن نصف متر عرضا

ومتر طولاً وكانت وهي تهبط يحذر العمال المار والذي كان من بينهم محسن والذي أفلت منها بخطوة واحدة وقد سقطت تكاد تلمس مؤخرة رأسه وظهره واستمر في المشي كأن شيئاً لم يحدث هائماً في الملكوت واندهش حين أوقفه الناس من كل اتجاه يهنتونه علي النجاة بينما هو ينظر للخلف يتحسر علي النجاة. أما الحادثة الثالثة فكانت أنه تعرض للغرق في أحد شواطئ الإسكندرية في يوم كانت الأمواج عالية وقذفت به الأمواج في اتجاهات مختلفة حتى ألقته به في النهاية علي الشاطئ والتي كانت لي ليلي منهاراً تبكي والدمع يغطي وجهها وصدرها وتكاد تجن بينما يجلس أبناءه إلي جوارها خائفين مذعورين لا يفهمون ما يحدث. وبالرغم من أنه ظل فترة طويلة مغمي عليه تتقاذفه الأمواج ونقل إلي المستشفى سريعاً في يأس من حالته فلم تفلح كل محاولات قام بها أطباء تصادف وجودهم علي الشاطئ. وظل فاقد الوعي لفترات طويلة فقد معها الأمل إلا أنه أفاق في النهاية ولكنه شخص آخر. فتح ذراعه لزوجته التي كانت تبكي فاقدة الأمل ولا بناءه المذعورين ولأبيه وأمه وأخته وكان يبدو أن ذراعه قد يتسع العالم كله وهو ما لم يفعله منذ زمن بعيد. خرج من هذه التجارب وخاصة الأخيرة بفكر جديد مفاده طالما أن الله لم يرد له الموت فمعناه أنه يريد له الحياة ومادام يريد الحياة فلا بد من هدف. هنا بدء يفكر فيما رفض من قبل لماذا لا نجعل الحياة أفضل ولو بقليل. وأصبح يؤمن أن هذا هو هدفه في الحياة والذي لا يجب أن يحيد عنه ولا بد أن يتحمل في سبيله أي مشقة مهما كانت. كان يعلم جيداً أن الطريق مليء بالأشواك بل بما هو أكثر لأنه سيتحدى أرادة القادة ومن ورائهم العامة ولكنه

كان يعلم أنه يبحث عن الخير في داخل البشر والذي لا بد أن يكون موجودا ولو قدر أمثلة وعليه تنميتها أكثر وأكثر وتذكر قول الكثير من الذين اشتركوا في الحروب من ندمهم علي ذلك وتذكر كم خسر العالم حين لم يجد هؤلاء طريقا يمكنهم فيه من التكفير عن ذنوبهم أو حتى كثيرا منها علي الأقل. إن الإنسان يخطئ ويظل يخطئ إذا لم يفتح له باب ليفعل الصواب. استعد لهذه المعركة وأعلن عن فكرته أمام العالم وبالطرق المختلفة. البعض لم يهتم بالفكرة وهم الغالبية والبعض الآخر سخر منها والبعض رفضها وعزم علي محاربتها وكان هناك البعض قد تحمس لها. كان من هؤلاء الناس قدامي محاربين من دول مختلفة يشعرون بالذنب لما ارتكبوا من ذنوب بحق الأخر. لم يكن مستغربا أن يكون منهم من مصر. لم يكن مستغربا أن يكون منهم قدامي محاربين من الحرب العالمية الثانية ممن كان لا يزال حيا من ألمانيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا واليابان وغيرها. لكن كان أيضا من الإسرائيليين بعضهم من الهاجاناه نادمون علي ما اقترفت أيديهم. على الرغم من عظمة الفكرة ونقاء صاحبها ومن معه وطهارة أيديهم إلا أنهم اتهموا في كل شيء في سوء نيتهم وبأنهم خونة وعملاء لأجهزة مخابرات وأنهم لصوص وغيرها من التهم ولكن محسن كان يتقبل كل هذا بسعادة وهدوء لا يصدقه أحد. لأنه كان يعلم أن هذا سيحدث بل ومنتظر حدوثه بيقين كامل.

كان أول من انتمى لهذه المؤسسة الخيرية التي لا تهدف للربح زوجته وأبيه وأمه وأخوته وبعض أصدقاءه بل وأبناءه وكان هو يعرف عنهم ذلك لذا كان ينتظر غيرهم من داخل مصر وخارجها. كان من مصر الأستاذ عبد الغني الذي قابله

سعيدا به وقال له أنني يسعدني أن أكون معك وعلي الرغم من أنني كنت أدافع عن أرضي حين قاتلت اليهود إلا أنني أكون حزين أحيانا من أنني ربما قتلت جنود كان لهم من ورائهم آباء وأمهات وأخوة وزوجات وأخوة بالطبع حزنوا كثيرا لفراقهم وربما أيضا تسببت في عاهات مستديمة لآخرين كما حدث لي لذا وجب علي أن أكفر عن ذلك ثم قال والدمع يملئ عينيه ألم أقل لك أنك من المؤكد أنك ستجد يوما ما هدفا حقيقيا لحياتك. ابتسم محسن والذي كان يقف سعيدا بما يقوله الأستاذ عبد الغني نعم يبدو أنك كنت علي صواب. كان الأغرب هو الضابط محمود والذي ترك الخدمة مؤمنا أنه يستطيع أن يقدم للناس من خلال هذه الجمعية الكثير والكثير لذا استقال وتفرغ كليا لذلك. انضمت جمعيات كثيرة في العالم لهذه الجمعية وأنشئت أخري تابعة لها حتى أصبحت في غالب بلاد العالم. كان محسن يلتقي الأعضاء المؤسسين في كل بلد ويستمع إليهم ليعرف لماذا فكروا في الانضمام لهذه الجمعية. كانوا في الغالب هم أناس ارتكبوا أخطاء كثيرة ندموا علي فعلها وأرادوا التكفير عنها. كان محسن سعيد بهذا رغم أنها كانت مدعاة لسخرية الكثير إلا أنه كان سعيدا فقد تذكر قول النبي محمد (لولا تذبون فتستغفرون الله فيغفر لكم لأهلككم وأتي بآخرين يذبون ويستغفرون فيغفر الله لهم) وتذكر قول المسيح من عظمت ذنوبه عظمت توبته. كان حين يراهم يعملون بجد واجتهاد ويفعلون كل ما يمكنهم حتى غسل أقدام المرضى وأجسادهم وإدخالهم إلي الحمامات متحملين ذلك بل سعادة به وتذكر المرأة التي غسلت قدم المسيح بالدهن ومسحتها بالدمع والشعر بينما بطرس يري ذلك كما يراه الناس

الآن و لم يتعلموا فما زالوا يسخرون منهم حتى الآن. حين سافر إلي ألمانيا التقى عدد كبير من قدامى المحاربين والذين كانوا يحزنون لأنهم كانوا مضطرين أن يقتلوا الآخرين حتى لا يقتلوا هم ثمني الكثير منهم لو كان رفض تنفيذ الأوامر ليقتل هو لا غيره. زار أمريكا في افتتاح المقر وخطب فيها قائلاً ماذا لو تعاون الأوربيون والهنود الحمر وماذا لو تعاون الإسرائيليون والفلسطينيون ماذا لو تعاون البيض والسود ماذا لو تعاون كل البشر لهدف واحد الوصول لهدف حياتنا لا يمكن أن يكون أوجدنا الخالق لنؤذي بعضا بعضا ولكن لابد أن يكون من أجل أن نتعاون. إن التعاون بين البشر سيؤدي لرفاهية كل البشر وربما استطاعتا أن نخلق جنة حقيقة علي الأرض لننظر إلي الأرض قبل وجود الإنسان وبعده. كان الكوكب أكثر هدوء. لنعيد إلي هذا الكوكب ما كان عليه ولنضيف له كائنا جديدا يريد الإصلاح ما استطاع. إن ما أنجزه الإنسان في طول عمره من مبادئ سامية قدمها لنا أنبياء ومصلحون وما أنتج من حضارات علي أيدي علماء وفنون من جميع الفئات لهو أمر عظيم وكما حلم من كان قبلنا بمدينة فاضلة علينا نحن أيضا أن نحلم بكون فاضل نسرح فيه جميعا لنري عظمة الكون وما أهم منه عظمة خالق هذا الكون. إن ما أومن به هو أن لهذا الكون خالق عظيم حكيم رحيم ودود عليم قدير ومع كامل احترامي وتقديري لكل فكر غير هذا ولابد أنه كان يريد الخير للبشر حين خلق. إنني اقرأ في القرآن فأجده يقول ( إني جاعل في الأرض خليفة) وأراه يقول (ولقد كرمتنا بني آدم) وأراه يقول (يا معشر الأنس والجن إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان). ويقول أيضا (وكم من

آية في السماء والأرض يَمرون عليها وهم عنها معرضون) ويأمرنا بأن ننظر في خلقه في السموات والأرض وفي أنفسنا لنعرفه بل يقول أيضا (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وليس لتتناحر إننا وفعلنا عكس ما كان يجب أن نفعل تماما. إنني أوْمَن أن هذه اللحظة في تاريخ البشرية هي الأهم فان الحروب مستعرة بشكل أو آخر بين البشر وإذا اتحد الناس اليوم علي إرادة الخير فان قادة العالم سوف يرضخون لهذه الإرادة. فيا سكان الأرض اتحدوا علي المحبة واتحدوا لنهضتكم واتحدوا لعالم أفضل. ويا من يقدر علي تشكيل وجدان الناس اتقوا ربكم وعلموا الناس حب بعضهم بعضا وأهدوهم سبل الخير. ليس أمامنا شيء نفعله غير ذلك ليكون لنا الخير في هذه الحياة وما بعدها ويحضرني قول النبي محمد (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرها)، أنه يريد للناس أن تفعل الخير حتى مع نهاية الحياة وأنهي هذه الخطبة بقول المسيح وما أوجنا إليه (أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم ) وقوله (إن أحسنتم لمن يحسن إليكم فما الفضل لكم) إننا جميعنا قد تعرضنا للظلم وللإساءة ولكن لا يجب علينا أن نعيش أسري لما حدث حتى لا يفسد علينا ما بقي فلننسي وتتناسى الماضي البغيض ولننتفتح علي الحياة بفكر جديد يكون الغفران والأمل والعلم والأخلاق هي من تقودنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والمملك لله في الأعالي وعلي الأرض السلام وفي الناس المسرة.

بينما كان يجلس في مكتبه في أمريكا منشغل في أوراق أمامه إذ أحس بخيال إنسان يقف أمامه فنظر بعينه فإصابته الدهشة. إذ براشيل تقف أمامه وقد غيرها الزمان وجهها وجسدها لم تعد

تلك الفتاة المثيرة كما كانت ولكن أصبح وجهها شاحبا وزاد وزنها كثيرا وكان يبدو عليها أنها حاولت بطرق مختلفة إخفاء عوامل الزمن معها ولكنه أحس بكل تغيير فيها سواء خارجيا أو داخليا ومازال يراها جميلة وفاتنة رغم ما حدث لها. لقد شعرت بما شعر به تجاهها لذا ارتاحت وجلست هادئة أمامه ولم تتحدث كأنها تنتظره هو أن يتكلم. قال لها وهو يتسم راшил جميلة الجميلات فابتسمت وقال لعلي كنت كذلك يوما ما فقال لها ومازلت كذلك ثم قال مسرعا كأنه يريد أن يتخطي هذه النقطة:

- كيف حالك يا راшил.

قال راшил وهي تنظر في عينيه:

- بخير كيف حالك أنت.

قال محسن وهو ينظر في عينيها:

- بخير والحمد لله هل تعيشي هنا في أمريكا؟

قالت وهي حزينة:

- كان يجب عليك أن تعرفني وضعي كصديقين علي الأقل ولكن لا مشكلة فانا الآن أعيش هنا وقد غادرت إسرائيل ولا أظن سأعود إليها ولكن لما سمعت عن فكرتك فقد أسعدتني كثيرا وأرادت أن أنضم إليك.

كان هو في إثناء ذلك يستمع إليها ولا يصدق ما وصلت إليه فهي كانت الفتاة الجميلة المثيرة التي تهتم بنفسها تعشق الحياة والمال وتفعل أي شيء لتحصل علي ما تريد تحب أن تستمتع بكل شهوتها في الحياة وتخاف الموت فلم ينسي كيف خرجت عارية تماما من غرفة الفندق حين دق ناقوس الخطر وتذكر كم كانت جميلة رشيقة وكيف أصبحت بدينة وملئت التجاعيد وجهها ثم

أنتبه لها وقال إنني أرحب بك في كل وقت ويسعدني أن تنضمي إلي ومد يده لها باستمارة وطلب منها أن تقرأها. بينما كانت هي تملأ الاستمارة علي بعد خطوات تذكر كيف كان يحبها وكم كان يتمني أن يقيم علاقة معها وكم كان يشتهي كل شيء فيها وكم كان يندم لأنه لم يفعل معها علاقة كاملة بل علاقات وعلاقات بقدر قوته وهو شاب صغير يملئه القوة والرغبة ولكنه الآن يحمد الله علي ذلك. لقد أكتشف أن كبح جماح الشهوة أفضل ألف مرة من الوقوع في الخطيئة والتي يأتي ورائها الندم. انتبه فإذا بيدها الصغيرة تمتد له باستمارة وسمعتها تقول تفضل. امسك بالورقة في يده ولمست يده يدها فارتجف كلاهما ثم نظرت في عينيه ونظر في عينيها ثم قالت له هل تسمح لي بالانصراف نظر إليها وفي عينيه حب وقال لها بالطبع وسأتصل بك بنفسي لأخبرك قبول عضويتك كم أن سعيد برؤيتك يا راشيل ابتسمت له وفي عينيها التي لمعت حب وقالت سأنتظر اتصالك ثم سارت في اتجاه الباب ثم عاودت النظر إليه وقالت علي استحياء هل لي في حضنك إنني في اشتياق له. نظر إلي الأرض ثم رفعها وقال وأنا أيضا.

كانت المحطة الأخيرة هي فلسطين وإسرائيل وكان يعلم ما سيقال عليه من كل الأطراف ولكنه اعتاد علي ذلك ولم يعد يخشي شيء ولا يهتم بما يقوله أي شخص مادام مقتنع بما سيفعل. استقبل بفرحة كبيرة وبغضب شديد في الأراضي الفلسطينية وفي الأراضي المحتلة ولكنه سعد أن الكثير معه يريدون حياة آمنة مطمئنة و لا يعترضوا علي وجود اليهود علي أرض فلسطين ولكن بالطبع ليس بهذه الطريقة ويرحبون بالتعاون معهم لخير

فلسطين ووطنا واحد للجميع بكل الحقوق للطرفين. وقال البعض إن الظروف اضطرت الكثير منا للعمل مع الإسرائيليين وبإخلاص ولكن ما بداخله تجاهه لا يمكن أن يكون حبا إن لم يكن بغضا فكيف لو عملنا معا وبيننا حبا فكيف ستصبح أرض فلسطين بالطبع ستصبح جنة. ولقد قال البعض إن كثير من قادة العالم الغربي لا يريد مصالحة حقيقة بيننا ولو أرادوا لكان لهم ذلك لأنه ضد مصالحه فمن مصلحته تعميق الخلافات وإشعال الحرب بيننا. وتحدث البعض في غضب عن رفض المصالحة مع إسرائيل التي اعتدت علي الأرض والنفس فكيف يمكن نسيان الدم والعرض. وتكفل أعضاء الجمعية بالرد علي الجميع خاصة فيما يخص الدم فقال لا أحد يريد أن ينسي الدم لأنه ان نسيناه فسنتني التاريخ ولا نقول أنه لا يجب أن يحاسب المخطئ فهذا إفساد في الأرض ولكن الواقع الذي نعيشه أن لدينا دولة معترف بها دوليا اسمها إسرائيل تسكن جنبنا إلي جنب مع دولة أخرى لم يعترف بها من الكثير اسمها فلسطين والأهم من الاعتراف هو الوجود إذ أن كل طرف موجود بالفعل لذا فهل خير لنا جميعا أن نكون دولة واحدة أو علي الأقل دولتين متجاورتين متعاونتين بينما احترام متبادل أم نكون متحاربتين متنازعتين ويذوق الناس في كل جانب ويلات الحروب. أننا جميعا عانينا من الحرب والكرهية أو ليس علينا أن نجرب السلام والحب. أعرف أن الأمر صعب ولكننا كلنا ضيوف إلي أجل علي هذه الأرض وهي لله يعطيها من يشاء.

لم يكن الأمر في إسرائيل بأفضل من ذلك فمن ترحيب شديد لرفض شديد ولكنه شعر بالأمل فكثير من قدامي المحاربين فضلوا الانضمام إليه وقالوا أننا جربنا الحرب فلم تصل بنا إلي

الأمان الذي كنا نحلم به ولم يجعل من بلدنا الحلم الذي نحلم به ولقد فقد الكثير منا أبناءه وأخوته وأقاربه في حروب ما بعد التحرير والتي كنا نؤمن أنها حرب وجود بالنسبة لنا وأنا سنقضي علي الفلسطينيين ونأخذ الأرض التي حرمتنا منه وسيكون لنا وطننا حقيقيا ولكن هذا لم يحدث فالحروب استمرت وازدادت الكراهية من الطرفين بسبب الحروب والعمليات التي يقوم بها الفلسطينيون ولم يستطيع أي منا القضاء علي الآخر أو حتى الاستغناء عنه فالكثير من الفلسطينيين يعملون في إسرائيل وكثير من اليهود يستثمر في فلسطين وأصبح عددا كبيرا من الفلسطينيين يحملون الجنسية الإسرائيلية وعملتنا واحدة ورغم التعاون المشترك الذي اضرنا إليه فمازلنا نكره بعضنا بعضا فلماذا لا نجرب الحب والسلام والتعاون البناء لعنا استطعنا نَمحو الكراهية من القلوب. لقد كان منا من يعيش في فلسطين قبل قيام إسرائيل في وئام ومحبة مع العرب والغريب أنهم انقلبوا أعداء في يوم وليلة كأنهم هم أنفسهم ليس هم أنفسهم ما أسوء السياسة التي فرقت القلوب وزعت الكراهية واقتلعت الحب من القلوب. قال أحد المحاربين فيما يسمي بحرب التحرير أعترف أنني كنت مخطئ عندما جاءت لفلسطين عام ١٩٤٧ كنت فلت بأعجوبة من ألمانيا وكنت مملوء بالكراهية لما عانيته هنالك وبدلا من انتقم ممن أساء إلي فعلت ذلك مع الفلسطينيين الذين لم يكن لهم ذنبا. كنت اقتل منهم من أجل الانتقام الذي مليء قلبي وجعله أسود كم أتذكر حين كنت أقتل الأطفال الفلسطينيين عن عمد واراهم يصرخون ويبكون وأنا أضحك وسعيد بما أفعل انتقاما لما كنت أراه يحدث لأخوتي وكان من يقتلهم يضحك. إنني

اليوم أبكي علي ما فعلت وأتمنى لو لم أفعل وأرجو ممن فعلت معهم ذلك أن يسامحوني هم وذويهم الذين سببت لهم من المعاناة ما أعرفه جيدا ولست أعرف من قتل أخوتي هل يشعر بالذنب مثلي أم ماذا. سأظل أشعر بالذنب دائما ما حييت وعلي أن أفعل ما في وسعي لمنع حدوث هذا مرة أخرى وأعلن أنني سامحت من فعل هذا مع أخوتي وأتمنى أن يسامحني من فعلت به هذا.

أما المتشددون فهم يرون ذلك خارج عن إرادة الله ومعصية له فهم عليهم قتل العرب وأبادتهم لتحقيق إرادة الله ولذلك أعلنوا أنهم ضد هذا الفكر وسيحاربونه بكل الطرق ولم يختلف وجه النظر في الجهة الأخرى عن ذلك فقد كانوا يرون أن إقامة سلام ومصالحة مع اليهود مخالف أيضا لإرادة الله وأنهم سيحاربونه بكل شكل.

استمر محسن ثلاثة أيام في إسرائيل يلقي محاضرات وفي أحدي المحاضرات وجد الرجل العجوز بنيامين في وسط الحضور ورغم أن المحاضرة كانت طويلة إلا انه بدا منتبها سعيدا مع ظهور علامات التعب عليه. وبعد اللقاء قال له لقد اقتنعت بما قلته من قبل لي في مصر ولهذا جئت لأقابلك وأشجعك لتمضي قدما في هذا الطريق فلقد عانينا جميعا من إرادة القادة حين زرعوا الكراهية في نفوسنا وجرونا جرا لنصدم ببعض وعلينا نحن أن نجرم اليوم للمصالحة. وليكن ما حدث بينا مثالا علي هذا فلقد أحببتك كإنسان وكرهتك كمواطن من دولة معادية وكذلك كان الأمر عندك ولكننا اليوم نقف سويا متحابين ولا يهمنا هذه العداوة ولن نسمح للسياسة أن تفرق بيننا بعد اليوم أنهم

يلتقون بالأحضان ويحتسون الخمر سويا ثم يريدوننا نحن أن نتقاتل وسأقدم لك شيكا بمبلغ أعلم أنه قليل ولكن أعدك بغيره قريبا وأتمنى أن نصبح أصدقاء حقا ثم سكت قليلا ونظر إلي الأرض ثم قال متلعثما هل كان فعلا يوسف أم لا ضحك كثيرا محسن ولم يستطيع التوقف ثم قال له أنك حقا تاجرا كبيرا لا يفوتك أن تكسب في كل وقت ولكن لترتاح أنني علي ما أعرف فان الشخص الذي قابلته في مصر باسم عادل كان عظيما وهذا ما أشعر به وبأن يوسف كان قد توفي حقا ولكنك تعلم أن ما يخفي في هذه الأمور أكثر بكثير مما يظهر ولقد أظهرت إسرائيل دلائل عجيبة كما أظهرت مصر ولكن ما الفرق الآن كلاهما في دار الحق ونحن من سيلحق بهما ومن واجبهما علينا الدعاء فقط. فابتسم الرجل العجوز وقال صدقت.

أصبح هنالك أمر واحد لا بد من انجازه في إسرائيل وهو مقابلة الجنرال موشية والذي طلب مقابلته والعمل معه في هذه المؤسسة ورغم انه تعجب من هذا الأمر لما يعرفه عن شخصيته ولكنه تذكر من كثرت خطيئته عظمت توبته لذا أحسن الظن به. لكن كان في نفسه منه شيء ورغم أنه حاول كثيرا أن يعفو عنه ولكن بقي في نفسه نقطة لا يقدر عليها لذا أجل قدر الإمكان هذا اللقاء وقال لنفسه وقد اتخذ قرار اللقاء وعليك أن تعفو كما تحث الناس علي ذلك. حين دخل عليه تسمر في مكانه وتسمرت عينيه أيضا فلم يرمش ولم ترفع عينيه عنه وأيضا دخل عليه وهو يحدق فيه ولا ترمش عينيه حتى اقتربا من بعضهما البعض فرفع يديه إليه ليصافحه ورفع هو أيضا يديه ليصافحه التقت الأيدي لثوان معدودة ثم سحبت

وجلس هو في مقابلة. حاول محسن تلطيف الجو أدبا منه لأنه في مكتبه رغم أنه هو علي أرضه وكان يتذكر ما فعله معه وما عرف من جرائمه مع غيره من العرب ولا بأخلاق العربي قال له في ابتسامة خفيفة كيف حالك سيد الجنرال هنالك ساح الجليد قليلا وقال له وما زال ينظر إليه:

- بخير كيف حالك أنت؟

- أود أن أعرف سبب هذه الزيارة.

قال الجنرال موشية:

- نعم أولا لقد تركت الخدمة العسكرية والآن أود أن أعرف كيف يمكنني الانضمام إليكم وما هي الشروط.

قال محسن وهو يفتح ذراعيه:

- لا شروط أيها الجنرال إلا إحساسك أنت أنك أذنبت في حق غيرك حين استخدمت سلطتك وقوة مركزك وأساءت لغيرك وتريد تكفير الذنوب هذه.

قال موشية في تعجب:

- ولكنني لم آت لتغفر لي خطيئتي بل لأعمل خيرا فقط.

قال محسن وقد ملأته الدهشة:

- كيف تعمل خير مع غيرك وأنت لا تفعله مع نفسك.

- كيف أفعل الخير مع نفسي. لقد كنت أفعل ما يجب علي فعلة.

- أنا لسنا في حاجة لمن هو مثلك ولكنني أشعر أيضا أنه ربما تكون هنا لمراقبتنا

ابتسم موشية في غيظ وقال:

- لو أردوا ذلك لكان أبسط من هذا بكثير ولما احتاجوا للواء

متقاعد بينه وبينك ما تعرفه.

قال محسن محاولاً أن يطمئنه:

- لقد غفرت لك ما بيني وبينك ولكن لا بد أنت أن تفعل الخير مع نفسك ليكون لك مكان عندنا هنا وحتى تستطيع أن تساعد غيرك لأن نفسك تشعر أنها لم تخطئ في حق أحد فبالتالي لا تستطيع أن تخدم بإخلاص ورضا لقد رأيت بعيني رئيس دولة سابق يدخل رجل مسن بنفسه إلي الحمام يحمله علي كتفه في رضا تام لذا فأنت مرحباً بك إن استطعت أن تفعل ذلك وأنا أنتظرك في كل وقت وسأدعو لك.

قال موشية ساخراً:

- هذا يعني أنك تريد الخطأين.

قال محسن في ثقة واقتناع:

- بل أريد التوابين فمن عظمت خطيئته عظمت توبته.

نظر إليه في غير رضا أو اقتناع كأنها يرفض ما قيل.

فقال له محسن لا بد أن تقبل الموعظة الحسنة حتى لو من دين آخر.

تركه موشية ورحل دون كلمة واحدة.

سافر للعراق لزيارة أهل ليلى معها ومع أولاده وبينما

كان يمشي بالقرب من متجر يوسف نظر إليه علي استحياء ثم

نظر إلي الأرض ورحل سريعاً. كان يتمني أن يدخل ليسلم علي

محمد وجميع العمال فكم كان يتمني أن يكون محمد صديقه

هو كمحسن لا كيوسف ولكنه استحي وبينما هو يمشي يسرح في

ملكوته فإذا به يصطدم بإنسان آخر وعلي الرغم من أن الضربة

في كتفه كانت قوية إلا أنه شعر تجاهها بود كأنه صديق يعنفه.

نظر بعينيه وقال في دهشة وهو ينظر إليه سريعا ثم ينظر إلي الأرض:

- محمد....كيف حالك؟.

قال محمد في ابتسامة معاتب:

- محسن كيف حالك؟.

قال محسن في سعادة:

- اشتقت إليك والي كل من يعمل معك.

قال محمد مبتسما:

- ولماذا لم تزورنا؟.

قال محسن:

- استحييت.

قال محمد:

- لا يستحي الأصدقاء من بعضهم ولقد كان بيننا خبز وملح.

قال محسن مبتسما:

- أ صحيح هذا؟ كم تمنيت أن نكون أصدقاء.

قال محمد:

- نعم أننا كذلك ولكنك من اخترت البعد.

قال محسن:

- لا والله ولكن الظروف كانت ضدي والسياسة دخلت بيننا.

قال محمد:

- لا تشغل بالك بهذا فهناك الأهم كيف نسيت وطنك العراق؟.

قال محسن

- وكيف أنساه وهو وطني ووطن زوجتي وأنت تعلم ما يقول

جحا.

قال محمد معاتباً:

- عيب عليك أن تسعي للوحدة بين البشر وتنسي ما يحدث في العراق وأنت كنت ضحية التفجيرات وهذه التفجيرات لا تساوي شيء مقارنة لما في الصدور.

قال محسن:

- نعم صدقت أنا مخطأً.

قال محمد:

- الوقت ليس في صالحنا فلنعمل ما يجب فعله.

قال محسن:

- صدقت الوقت دائماً ليس في صالحنا.

ذهب محسن لزيارة السيدة زينب والتي أنهال الدمع في عينيها حينما رآته وأقبلت ناحيته بلهفة الأم لابنها ووقفت بينها وبينه مسافة صغيرة حتى كادت تحتضنه ثم تراجعته وقالت لا لن أحتضنك فلست تستحق فنظر بعينه إليها فرأت فيها الحب والحياء والشعور بالذنب ورأت من وراء ذلك دموع كثيرة فقالت له لا يا بني لا أحب أن أراك هكذا واحتضنته طويلاً وقالت له اليوم عيد يا بني أن أراك سمعت عما تفعل وسعدت بذلك وسوف أكون إلي جوارك وسوف أدعوا لك ليوفقك الله لخير الناس جميعاً.

وقف محسن يخطب في بغداد بعد تأسيس فرع للمؤسسة في

العراق فقال:

- أهلي أهل العراق أنني أقف في بغداد حاضرة العالم حزينا علي وصلت إليه ووصل حال العراق كله فأصبح أسم العراق مناسب أكثر له. يا شعب العراق أنكم تدمروا أنفسكم بأيديكم ولن

يربح أحد أبدا. لابد أن تعرفوا أنه لو كان هنالك سبب للفرقة فهناك أيضا مائة سبب للوحدة. إن قتل الأنفس التي حرمهما الله لن يزيح ما في قلوبكم من كراهية بل سيزيدها ويكون كاللفظ إذ يلقي علي النار. فكروا جيدا إلي ما وصلتكم له. أنكم شعب عريق كريم متعدد الأعراق والأديان والمذاهب وكذلك كان منذ عهد بعيد. أنني أناشدكم بالعفو والوحدة من أجل العراق ومن أجل البشرية جميعا. الكثيرون ينتظرون من العراق الخير الكثير. إن فرق العرق فليجمعكم الدين وبالعكس أيضا وأن فرقت المذاهب فليجمعكم الدين وان فرق الدين والعرق فليجمعكم العراق وان لم تجدوا فيما سبق ما يجمعكم فليجمعكم أنكم بشر وأظن أن هذا لن تختلفوا عليه لتعفوا ولتغفروا إلا تحبون أن يغفر الله لكم. أن لي أصدقاء في العراق لم أسألهم عن دينهم ولا مذهبهم و لا عرفهم بل أقول لكم ما هو أكثر من ذلك لي زوجة من العراق لم أسألها عن ذلك بل جمعني وإياها الحب فليجمعكم الحب لكم ولأبنائكم ولوطنكم وللإنسانية كلها.

كانت رسائل التهديد تأتي له كل يوم وبكل مختلفة لم يعد يشعر بأن شيء ما سيحدث غير الحياة الروتينية وأنه سيموت حين يأتي وقت الموت له ولن يستطيع هو أن يغير ذلك وبالرغم من أنه كان يرغب في الموت إلا أن حياته أصبح لها معني وبالرغم أنه غفر لمن أخطأ في حقه إلا أن ظل لذلك ظلال تقتحم حياته إلا أنه سرعان ما كان يقمعها فتتلاشي.

عاد لحياته اليومية واقترب من زوجته وأبناءه وأخوته وقدم لهم كل ما يجب عليه تجاههم ولكنه كان كروح بلا جسد فلا يستمتع بشيء من الحياة إلا قليلا. أصبح يعيش لغيرة لا لنفسه

التي أهلكها لتنسي الماضي وتفتح علي الحاضر والمستقبل . شعر بأنه وصل إلي كثير مما كان يجب عليه أن يفعله وشعر أنه ومن معه حققوا كثيرا مما كان يجب عليهم فعلا وأوشك هو ومن معه أن يكونوا خلفاء الله في الأرض فهم يخدمون غيرهم ويجاهدون من أجل نبذ الحرب وتحقيق المصالحة والسلام والمحبة بين الناس بعضهم بعضا. يزيلون الحواجز النفسية والدينية والجغرافية والعرقية بين الناس ليكون الناس سواسية متحابين. يحاربون القسوة والعنف بين البشر. يساعدون المخطئ علي تكفير خطيئته ويساعدون المظلوم علي الغفران. كانوا يبذلون جهدا ما كان يظن أنه وهم يستطيعون ذلك وبارك لهم الخالق في الوقت فأصبحوا ينجزون في اليوم الواحد ما كان يمكن أن يأخذ شهر. وشعر بالرضي تجاه خالقه وتمني أن يرضي هو عنه. أصبح علي يؤمن أن الناس ليست في حاجة إلي أنبياء ولكن في حاجة أن يرشدوا هم أنفسهم وبمساعدة بعضهم بعضا. لقد فهم كيف يحبب الناس إلي الله ويحبب الله إلي الناس. ومع ذلك كان يحب الموت ليس هربا من الحياة ولكن لأنه يعشق الحقيقة والتي كان يؤمن أنه لن يصل إليها كاملة وهو حي لقد فتح له سمو نفسه كثيرا من أبواب المعرفة بلا وسيط بينه وبين مرسله إلي الأرض وأصبح يؤمن بأن تمام المعرفة سيصل إليه بعد الموت وليس وهو حي ولقد كان يأخذ هذا الأمر من التهديدات علي أنها يجب أن تحدث خاصة بل إن بعضها قد حدث بالفعل وأصيب في بعضها ولكنه لم يمت وكان سعيدا أنه يمكن للمؤسسة أن تعمل بجد وبشكل صحيح في حال موته لقد استطاع أن يخلق مؤسسة حقيقة توزع فيها المهام بشكل صحيح بحيث يعمل الجميع في تناغم تام وحيث تجري

انتخابات بشكل دوري يقدم فيها كل واحد انجازاته وطموحاته ليستطيع الجميع المعرفة الجيدة بمن هو الأفضل في هذا المنصب أو ذاك ويتقبل الآخر القرار بشكل رحب بل يكون أول مهناً ويكون أكبر مساعد له ويرى أن محبة الأعضاء لبعضهم بعضاً وقدرتهم العقلية وعزيمتهم وقدرتهم علي العمل ستساعد دائماً علي تخطي المشاكل الداخلية والخارجية. كان يعمل أن الطريق طويلاً جداً وأن ما قدموه هو نقطة في بحر واسع وأن ما يبدو لهم من موافقة من كثير إنما يضر غير ذلك وأنهم سيحاربون هذا المشروع من الباطن وسوف يعملون بجد كبير علي إفشاله ولذلك كان يحذر من معه من ذلك كثيراً ويؤكد لهم أن النجاح في المحبة والاتحاد والقلوب المفتوحة. وقد اتخذ قرار بان تكون هذه هي الدورة الأخيرة له كرئيس للمؤسسة وأنه سيكون عضو عامل ما دام حياً ليري ما سنصل له المؤسسة.

بينما هو في خضم فكره إذ دخلت عليه راشيل بدون زينة وقد عادت أجمل مما كانت عليه واختفت التجاعيد من وجهها وعاد لوجهها جماله ولمعت عيناها بالحياة مرة أخرى وعاد جسدها ممشوقاً وعاد إليها بهجتها وتفاؤلها وليس هذا وحسب بل أصبحت أكثر إشراقه وسعادة ورغبة في الحياة وحباً للناس وقد اختفت الكراهية . كان سعيد بما يري يتمني لو كان معه عادل ومصطفى ليروا بأنفسهم ما وصلت له راشيل ورأي فيها ليلى فقال لها مداعباً مرحباً براشيل الجديدة التي تشبه ليلى إلي حد كبير ولم يعد يشعر ناحيتها بشهوة بل بحب صافي خالي من الغرض.

كان محسن قد أجل معركته الأهم إلي آخر المطاف

حيث كان ينوي أن يطلق مبادرة للمصالحة في مصر والتي فرقها الثورة بدلا من أن تجمعها حيث ساد الغل والحقن بين الجميع فمن أصبح يملك أصبح يحقد علي من كان يملك من قبل لكثرة الخير عنده. ومن كان يملك أصبح يحقد علي من يملك الآن. انتشرت الكراهية بين الناس أكثر وأكثر وأنتشر الفساد أكثر وأكثر بلا استحياء أو خوف من محاسبة. هو لم ولن ينسي حين ذهب لموظف خزنة بعد الثورة مباشرة فدفن له ثلاثون جنيها وكان المطلوب هو ٢٩,٧٥ جنيها فقال للموظف الذي بدا ليس معه ربع جنيها ليس هناك مشكلة أنه لا يستحق العناء فقال الموظف لا يا حضرة خذ حقك كاملا. كان هذا الموظف هو هو من كان يأخذ جنيها أو أكثر قبل الثورة ولا يرجعه لك غير مهتم ولا يخشي حسابا والذي عاد بعد قليل من الثورة أسوء من ذي قبل فيتعامل بكبرياء مع الناس ويأكل في جيبه جنيهاات كثيرة من كل واحد. ليس هذا فحسب بل إن الموظف ثروت تم تعيينه بعد الثورة وكيل وزارة كان يؤمن أن الإصلاح في مصر لابد أن يكون عنوانه الغفران والقضاء علي الفساد. اتهم بالخيانة والعمالة للدول الأخرى تقريبا جميعها من اليهود والأمريكان والغرب عموما بل والشرق أيضا. لم يكتفوا بذلك بل بالكفر أيضا. علي الرغم من أنه لم يفعل إلا أنه دعي للمحبة بين الناس وغفران الماضي إلا أن جميع الأطراف قد سدت أذنها ورأت الأخر إما خائن أو كافر ولا يمكن التعامل معه بل التخلص منه. وانهالت عليه الدعاوي في المحاكم لسحب الجنسية ودعي عليه في المساجد وغيرها أما رسائل التهديد فكانت أعنف من كل ما سبق. لم يتعجب وكان ينتظر ذلك وأكثر. كان يقول وهو يبتسم في غضب إن أريد إلا

الإصلاح ما استطعت.

بينما كان يمشي في أحد الشوارع يسرح في ملكوت الله  
فسمع صوت انفجار شديد وبالرغم من أنه معتاد علي ذلك فقد  
سار في اتجاه الانفجار غير مبالي ثم ساد صمت تام.  
- من أنا؟

لقد استيقظت بعد ثبات عميق جدا . الحمد لله أنني اشعر أنني  
إنسان جديد لا أتذكر شيء شكرا لك يا رب.  
- من أنت؟.

- لا أريد أن أعرف. لا بل اعرف جيدا أنا إنسان جديد أشعر  
بالسعادة ولا مكان للخوف أو القلق وعندي رغبة قوية للمعرفة  
وعندي القدرة لذلك.

- من أين جئت؟.

- لا أريد أن أعرف.

- أين أنت؟.

- لا أريد أن اعرف.

- هل أنت حي؟.

- لا أريد أن أعرف.

- ماذا تريد أن تعرف؟.

- الحقيقة.

- الحقيقة؟.

- نعم.

- أي حقيقة؟.

- كل الحقيقة.

- كل الحقيقة؟.

- نعم.
- ربما لن تقدر عليها.
- بل سأقدر ومن أجلها خلقت.
- لقد سألت عن عزيز وعليك الانتظار لتعرف.....

يتبع.....

التواصل مع الكاتب من خلال البريد الالكتروني

mzsbiopharm@yahoo.com

أو علي الهاتف: ٠٠٢٠١٢٧٥٤٧٠٥٩١

أو موقعه على فيسبوك،

mohamedzakipharmacy